الكاتب الفلسطيني

63

العدد ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب الفلسطيني

فصلية عن الاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين
العدد ١١ ، كانون الثاني ١٩٨٠

رئيس التحرير
ناجي علوش

نائب رئيس التحرير
رشاد ابو شاور

الشؤون المالية
حسيب الجاسم

امانة التحرير
حنا مقبل
يحيى يخلف
هاني هندس
جميل هلال
عبد القادر ياسين

المستشارون عبد الكريم الكرمي ، إحسان عباس ، محمود درويش ، معين بسيسو ، بسام ابو شريف ، ناصيف عواد ، علي اسحق ، خالد ابو خالد ، د. سعيد حمود ، معن بشور .

29 -08- 1993
Library

المحتويات

٢	خمسة عشر عاما ونحن نقوم من الموت (الافتتاحية)	رشاد أبو شاور
٥	الثورة الفلسطينية والمثقفون	اعداد : عبد القادر ياسين
٢٢	طوبى للأرض التي مزمت محتليها (تعليق)	د . مصطفى جقاق
٣٦	الحزب الشيوعي في فلسطين ١٩٢٤ ـ ١٩٢٨ (القسم الثاني)	ماهر الشريف
٤٦	بين كردستان والجزائر و « اسرائيل » (رسالة)	هادي العلوي
٤٩	الأعلام الانعزالي دعاية تسير على وقع اقدام غوبلز	زهير هواري
٦٠	الثورة التي لم تكتمل (تعليق)	أحمد المصري
٦٣	الجبهة الوطنية المتحدة ـ دراسة في التجربة البلغارية	جميل هلال
٧٥	نظرة على الوضع العربي (تعليق)	شريف جيوسي
٧٩	خبرات تنظيم سري مفتوح الذراعين	عبد القادر ياسين
٩٠	انتفاضة ضد عصر القرود (تعليق)	رشاد أبو شاور
٩٦	نظام تبادل حقوق والتزامات اقامة الصناعات العربية	د . عبد الرازق حسن
١٠٤	ارتباط اسرائيل بالسوق الاوروبية المشتركة	محمد قرش
١٢٥	قراءة في الشورى	يوسف حداد
١٤٨	كلافديا فكترفنا عودة فاسيليفا (كلثوم نصر عودة)	مجموعة من تلامذتها
١٥٢	سفيديكم واحداً واحداً	علي حسين خلف
١٥٨	الطفلة ذات القبعة (قصة قصيرة)	جميل حتمل
١٦٠	الخنجر والعصفور (قصيدة)	د . شوقي العمري
١٦٨	تنشط اللعبة فوق الخشبة (قصيدة)	محمود علي السعيد
١٧١	« زمن ... بحجم معارك الفقراء » (قصيدة)	عصام ترشيحاني
١٧٦	السنديانة (قصيدة)	مؤيد البحش
١٨١	ايها الاقليم اعلن العصيان (قصيدة)	أمجد ناصر
١٨٥	(كتب) قراءة نقدية لجدل الشعر والثورة ـ خيري منصور ، كتاب أقلت من مؤلفه المنهج وأشياء اخرى ـ أحمد شاهين ، رسالة من محمد الاشعر	

Digitized by Birzeit University Library

كلمة الكاتب

خمسة عشر عاماً ونحن نقوم من الموت

خمسة عشر عاما ... عشرات الاشهر . مئات الايام . ألوف الشهداء ، ملايين طلقات الرصاص ، والقذائف والصواريخ .. حواجز ، وحدود ،وبوليس، وتخريب في الصفوف ، حصار للقواعد الاولى في اغوار الاردن بعد هزيمة حزيران .

فدائيون قلائل ينتصرون على جيش العدو في تلك السفوح التي تتناثر بالقرب منها بيوت الطين لفلسطيني مخيم الكرامة . ابراهيم .... الفتى لذي لم يبلغ السابعة عشرة أصيب في عينه .. ومات وراء صخرة . ومعه كان رشاش بور سعيد .. به واجه الدبابات . والهليوكبترات .. وابراهيم كان يأتي قرب مخيم جبل النصر ، يشعل النار في الوادي،ويتدفء مع اولاد المخيم ، يحكي لهم، حول النار ، عن النار التي في الروح والقلب ... نار الغل ، والقهر ، والشوق.. يحكي لهم عن الجيوش التي لاذت بالفرار في حزيران ، والانظمة التي تهاوت ، وانكشفت هشاشتها ، يحكي لهم عن الشعوب التي تصنع ثوراتها ، وتخوض معاركها وتنتصر ... ابراهيم راح ، ولكن عنه امتلأت ـ بدلا من البؤبؤ ، والشبكية ، والبياض والشرايين ـ بأشجار فلسطين ، بترابها ، بالنهر الصغير الثرثار المجنون المركض ، الذي اسمه الاردن ، بأريحا ونخيلها .. ابراهيم ، ابراهيم مات فوق ، عند القمم ، بين الصخور .. فكانت الكرامة ، فعلا ، وليست اسما بالصدفة ... اربعة عشر عاما .. ألوف الشهداء ، زغاريد ، ورصاص ، ودم ، وبطولات ، أمهات يزغردن ـ ثم يبكين بصمت وكبرياء بين الجدران ـ ويمضين الى المقابر مع أبنائهن ... العرسان الذين تزوجوا المجد والبطولة... ومضوا بكرامة ، ولم يعيشوا بفرح ، لانهم بلا وطن ، بلا فلسطين ..

خمسة عشر عاما .

أنظمة تعانقنا ، وتغرس الخناجر في ظهورنا ، تلف العباءة من حول الفدائي .. فاذا بالعباءة شبكة مسمومة .. وليست أخوة ورفقة عربية ، واذا العباءة سوداء ، لزجة ، ووسخة .. ونفط .

Digitized by Birzeit University Library

خمسة عشر عاما ٠

والله كبرنا ٠٠ نحن الجيل الذي كان دون العشرين حين دوت رصاصة ٦٥/١/١ ٠ فقدمت الفلسطيني للعالم ، رشيقا ، حادا ، حارا ، عنيفا ، وأنهت زمن التيه ، وأسست لزمن البطولة ٠

والله كبرنا ، وامتلأ القلب فخرا ، وفاض القلب حزنا ، وبكينا احبابنا بصمت ـ لان الرجال لا يبكون ـ بيننا وبين الجدران ، ولم نشك من عدونا ،ذلك انها الحرب ٠ ولكننا بكينا قهرا من بقايا العرب البائـــدة ٠٠ عـــرب النفط ، وذويهم ، في عبـاءة العار ، والتآمر ، والدنس ، والخيانـة ٠ ثم اكتشفنا ان العواطف لا تحل المشكلة ، وان عبارات العتاب لا تردع الذئاب ، فرددنـا النار بالنار ، وأشهد أن شعبنا بخبراته كان يقول لنا : الأفعى لا تضع في العب) ٠٠ ولدغتنا الافعى مرات ، وأوشكنا ان نموت ، وما متنا ، وهذا هو سر فلسطين ، فهي قبل كل موت تقوم ، ورغم كل موت تقوم ، وهذا مقاتلها العنيد الذي انطلق الى جبال يعبد مع الثائر العربي **عز الدين القسام** ، ومع **عبد القادر الحسيني** ، ومع **أبو علي أياد ، وكمال عدوان ودلال** ٠٠ والوحدات والاحراش ، وأيلول ٠٠ والجنوب ، والشمال ٠٠

خمسة عشر عاما ٠

والله كبر جيلنا ٠

نحن الآن في العقد الرابع ، وأخوتنا الصغار الذين درجوا حفاة علـــى تراب المخيمات ٠٠ يدرجون ، الآن ، في الجنوب بكلاشيناتهم ٠٠ ويحكون فـي الثورة ، والتنظيم ، والالتحام بالجماهير ، ورفقة السلاح مع فقراء لبنـــان ، وعرب لبنان ، ومقاتلي لبنان ، الوطنيين التقدميين ٠٠٠

كبرنا ، هذا صحيح ، امتلأت القلوب حزنا ٠٠ وفخرا ٠٠ وبكينا أحيانا ٠٠ فنحن لسنا حجارة ٠٠ نحن بشر ، ألسنا نقاتل من أجل بشريتنا ؟ من أجـــل الانسان فينا ٠٠

أعذرونا : ان رأيتمونا نسيل دمعتين ونحن نستعرض طوابير مقاتلينـــا وأشبالنا وزهراتنا ، وأمهاتنا ، وأراملنا ، وأخواتنا ، بكوفياتهم ، واعلامهم ، ورياتهم ٠

ولا تنسوا أن أقلامنا ، ودمنا ، نحن كتاب هذا الشعب الجسور ، تمر دائما في العرض ٠٠ وان خفت عن العين الغشيمـة ٠٠ ألم تروا غسان كنفـاني ٠٠ وكمال ناصر ٠٠ وعز الدين قلق ٠٠ ورشاد صالح ٠٠ وغيرهم ٠ وغيرهم ٠٠

Digitized by Birzeit University Library

من العام الخامس عشر تنطلق معا ·· بأقلامنا ·· بالاتنا الموسيقية ·· بكلاشيناتنا ·· بوعي جماهيرنا ·· وثوارنا ·· بمقاتلينا ·· بالرفقة الدائمة ، العميقة مع أهلنا في لبنان ·· حتى تعود فلسطين ··

فاكبري ايتها الثورة ، واتحدوا يا رفاق السلاح ، واشهروا أقلامكم وكاميراتكم وقصائدكم يا كتاب وفناني وشعراء فلسطين ·· وزمان فلسطين ··

خمسة عشر عاما ·

ما قدمناه ، من دم ولحم ·· من شباب ·· وشابات ·· من اشبال وزهرات ·· من رحيل وعذاب ·· انه كثير ·· كثير جدا ··

لا · انه قليل ·· ففلسطين ،

أمنا ، كبيرة ·· وغالية ··

فيا مرحبا بالاجيال الجديدة التي ستعطي ·· ومرحى ·· للاجيال التي ما زالت في الميدان ··

والمزيد ·· المزيد من الوحدة ، والرفقة ··· والانتصارات · والمزيد ، المزيد ، من الديمقراطية يا ثورتنا ·· كي نكون نحن البؤرة ·· والواحة ·· والعلامة لكل فقراء العرب ·

ويا من تكتبون بالدم لفلسطين · بدم القلوب ، والاعصاب ، والشرايين·· المزيد ، المزيد من العطاء ، والمزيد من الحفاظ على ثقافة شعبكم ، ولتتعزز جبهتكم الثقافية ·· ولترتفع ، عالية ، شامخة ، شريفة لا يمكن تزييفها ، او تخريبها ·

رشاد أبو شاور

Digitized by Birzeit University Library

الثورة الفلسطينية والمثقفون

اعداد : عبد القادر ياسين

المثقفون هم عقل الثورة وضميرها . ولعل من فضول القول ان المثقفين الفلسطينيين وقفوا في الصفوف الاولى من ثورتهم . أما التباين في المواقف السياسية بين كتلتهم الاكبر وبين القيادة السياسية فأمر صحي ومنطقي . صحيح انه خلاف سياسي . لكنه يظل في اطار الثورة ، وفي نطاق الحوار . وليس ثمة تناقض ذا شأن بين القيادة والمثقفين ، وان كان بعض المندسين والمنتفعين بالثورة نجحوا في دفع التناقض الهامشي بين القيادة السياسية والمثقفين الى السطح ، أكثر من مرة ... بالنميمة والدس والافتراء !

ولان المثقفين الثوريين هم الاحرص على الاستراتيجية ، فانهم سرعان ما يصرخون بـ « لا » بمجرد احساسهم بان ثمة تكتيكا تجري ممارسته على حساب الاستراتيجية . ومن هنا تتولد التناقضات الثانوية ، العابرة ، المؤقته ، بين القيادة السياسية والمثقفين .

المهم ، أن ثمة أزمة في العلاقات السائدة داخل الثورة الفلسطينية ... أزمة في علاقات التنظيمات ببعضها البعض ، وازمة في علاقات القيادات بالقواعد ، وثالثة في علاقة التنظيمات بالجماهير ، ورابعة في علاقة بعض قادة الثورة بالمثقفين ... والازمة الاخيرة مفتعلة ، يمكن اجتيازها بترسيخ بعض القواعد والتقاليد السليمة بصدد هذه العلاقة ، مع العمل على شل تاثير المتسللين والمنتفعين بالثورة ، هنا وهناك .

وعن علاقة الثورة الفلسطينية بالمثقفين ، كتب ستة من مثقفينا أراءهم . اثنان من المنخرطين في تنظيمات المقاومة : نزيه أبو نضال (فتح) ، وحسين علي خلف (الديمقراطية) ، وأربعة من المنضوين تحت راية الثورة الفلسطينية ، دون انتماء لاي من تنظيماتها : د . أنيس صايغ ، فيصل دراج ، خيري منصور ، وميشيل النمري .

ولعل مما له دلالته أن أربعة مثقفين ملتزمين بفصائل المقاومة لم يتقدموا باجابتهم عن اسئلة الاستفتاء ، كما لم يعتذروا . والشيء نفسه فعله مثقف مستقل واحد !

Digitized by Birzeit University Library

العلة في الجهل

د. انيس صايغ

" اصر الدكتور أنيس صايغ الا ان يكتب عن الوطن العربي كله "

عرف السلطان عبد الحميد ، فيما عرف به ، بانـــه كان واحدا من أسوأ السلاطين العثمانيين الذين خضع العرب لحكمهم أربعة قرون كاملة . لكنه كان أسوأهم ، بلا منازع ، من حيث سوء علاقاته مع الشعب ، مع رعايا امبراطوريته الواسعة ، من عرب واتراك وغيرهم فقد حبس نفسه بعيدا عن الشعب ، لا يقيم من صلات الا عبر مـا يدسـه الوشاة والندماء والبطانـة الفاسدة . فاقتصرت علاقاته مع الرعية على جانبهـا السلبي : الكبت والقهر والكـره والتجسس والملاحقة والمنع والعقاب الوحشي ، مـن جهة الحاكم ، والهلع والحقد والتململ واليأس والهرب ، من جهة الشعب . واتسعت الهوة بين الحاكم والمحكوم حتى نسي الفريقان ان الحكم انما أوجده الشعب لخدمة الشعب ولمصلحـة الشعب ، لحمايته ورعايته وتعهد أمنـه وسلامته وتقدمـــه . وكأن بالسلطان عبد الحميد (الذي عرف ، أيضا ، بالسلطان الاحمر ، لكثرة ما أراق من دماء بريئة) ، الذي جهل اللغة العربية جهل معظم من سبقه من سلاطين ، كان يعاني بجهل تام باحرف الجر . فخلط بين حرفي الجر من و على واستعمل الواحد منهما حيث كل يجب ان يستعمل الاخر . فقد ظن أن على الحاكم أن يخاف من الشعب ، لا ان يخاف على الشعب . ونسي ان سلطة الحاكم تنبثق من الشعب وتصرف وكأن الحاكم مسلط على الشعب . وكانت النتيجة ، بعد ثلث قـرن مـــن العذاب ، ان اسقط الشعب ذلـــك السلطان الاحمر والأحمق من على ظهره ، واجبـره على التنازل وطرده من السلطة .

لقد منع عبد الحميد الشعب ان يتكلم ، وأن يفكر ، وأن يكتب ، وأن ينشر ، وان يتنقل ، وان يتعلم ، وان يعمل ، وان يتململ بحرية . قائمة طويلة عريضة من الممنوعـات والمحرمات ، عرفها أجدادنا ، وآباؤنا ، وبعض كبـار السن منا ، وأختبروا قسوتها ، وقاسوا منها وعاشوا في ظل كابوسها . لكنها ، على كـــل بشاعاتها ، كانت قائمة واحدة واضحة ، معروفة .

غير ان القائمة الواحدة ولدت قوائم وقوائم ، مثلما ولدت الامبراطوريـــة الواحدة دولا وأقطارا ، وقلما خلف السلطان الواحد سلاطين بالجملة .

لقد استبدل نظام الحكـــم العثماني ، المهترىء والعاتي بدساتير وقوانين

Digitized by Birzeit University Library

وأنظمة تنص على حريـــة المواطن ، وتكفل حق الانســـان ، وتتغنى بالعدالـة والمساواة والاصلاح ·

غير ان الخلط بين أحرف الجر بقي على ما هو · وبقي خوف السلطان من الشعب يحل محل خوف السلطان على الشعب · حتى وجد الانسان نفسه خارجا على القانون في كل ما يفعل وما لا يفعل ، وعرضة للملاحقة (وما تؤول اليه من اهانة ، وتعذيب ، وسجن ، وتشريد ، وقتل ، وتدمير) ·

فأنت لا تستطيع ان تسافر مـــن بلدك الا بأذن · ثم لا تستطيع ان تعود الا باذن · بل أنك لا تستطيع ان تحتفظ بجنسيتك (وهي حق تكتسب منذ المولد) الا باذن السلطة ، التي بامكانها ان تسحبها منك لاي سبب ·

وأنت لا تستطيع ان تحتفظ باسمك نعم : اسمك الا اذا شاءت السلطة · ثم لا تستطيع ان تحجب اسمك الا اذا شاءت السلطة ·

أنت تذنب اذا حملت معك آلة تصوير · وتذنب اذا حملت آلة كاتبة · وتذنب اذا حملت مكبرا أو ناظورا · وتذنب اذا استعملت هاتفا خارج بيتك أو مكتبك · أفلا تدري أن آلة التصوير ، والالة الكاتبة ، والمكبر ، والهاتف ، هي ، كلها ، من ادوات التآمر على السلطة ؟

وأنت مذنب اذا أذنب أخوك ، أو أبوك ، أو ابنك · بل انت مذنب اذا أذنب جارك ، او زميلك ، أو أحد معارفك · بل أنت مذنب اذا تعاملت مع انسان قبل أن يذنب · فقد كان عليك ان تعرف أنه سيكون متآمر قبل أن يتهم بالتآمر ، بالفعل ·

وانت مذنب اذا كتبت مادة استخدمها غيرك للتآمر · وأنت مذنب اذا قرأت مادة كتبها غيرك للتآمر ·

وانت مذنب اذا اطلت شعرك · الا تعـــرف ان الشعر المرسل على الكتفين علامة التآمر على السلطة ؟

وأنت مذنب اذا تبادلت الرسائل مع رفاقك · الا تعرف ان الخونة المارقين يتواصلون بالرسائل ؟

وانت مذنب اذا تكلمت لغة أجنبية · اتتكلم لغة الاستعمار ولا تخجل ؟!

لذلك ، وخدمة للمواطن العربي ، سنحاول ان نضع قائمة اوليـــة ، مسودة لائحة بالممنوعات والمحرمات ، حتـــى يتحاشى المواطن اقتراف المخالفات (أو الجرائم) وينجو من العقاب ·

Digitized by Birzeit University Library

● خطأ الانسان العربي الاول ، جريمته الاساسية هي أنه ولد · صحيح أن مسببي الجرم هما والده ووالدته قبل أن يقترف هـــو الجرم بعد تسعة أشهر · لكنه ، مع هذا ، يظل مسؤولا ، لانه سمح لنفسه بأن يخرج من بطن أمه ·

● وخطأه الثاني ، وهو متمم للاول ، أنه انما سمح لنفسه بأن يلد فوق هذه الارض الطاهرة المقدسة فدنسها بمجيئه اليها · كـان عليه أن يختار مكانا آخر يخرج اليه من بطن أمه ، أرضا أخرى غير الارض العربية يدنسها هي لمصلحة الارض العربية ·

● خطأه الثالث أنه ذهب الى المدرسة ، وتعلم القراءة ، فجهز نفسه ليصبح متآمرا ضد السلطة وضد السلطان ، ابن الشعب ، وحامي حماه ، ولو بقي جاهلا لما كان قد اصبح قادرا على التآمر ·

● خطأه الرابع أنـه يستعمل عقلـــه · ان العقل في الانسان العربي أداة يستعملها السلطان لصالح الشعب ، ولا حق للانسان ان يستعمل فكره لان الفكر ملك السلطان ·

● خطأه الخامس أنه يستعمل لسانه وفمه لاغراض أخرى غير تلك التـي ارادها الله من خلقهما ، أي للاكـل وللتقبيل (تقبيل يـــد السلطان ، طبعا) · والكلام الوحيد المسموح به هو ما يعترف للسلطان بفضلـه ، ويتغنى بحمده · وما زاد عن ذلك فهو حرام وتآمر ، يستحق العقاب ·

● خطأ الانسان العربي السادس أنه مقيم في بلده صامد في دياره · كان عليه ان يهاجر · واذا تعذرت الهجرة فبامكانه أن يموت · ووسائـل الانتحـار كثيرة · ومن لا يعرف كيف يستعملها يجب أن يقتل ·

هذا الحديث غير موجه الى قطر عربي معين ولا يعني قطرا عربيا معينا · انه موجه الى القطر العربي الاخر ، ويعني القطر العربي الاخر · أما قطرك أنت، أيها القارىء ، فهو فوق الشبهات · والحال فيه بألف خير · والسلطان يخـاف عليك · أنه القطر الاخر الذي يخاف فيه السلطان منك · والحياة جحيم لا يطاق · لذلك لا تبتئس ، ولا تنزعج ، ولا تحمل هما ، ولا تنشغل فكرا · ومـا من أحـد يدعوك للانتحار والهرب من الحياة · فانت ميت أصلا ·

Digitized by Birzeit University Library

المثقف علاقة ثورية ام اداة استعمالية ؟!

فيصل دراج

علاقة الثورة بالمثقف هي علاقة الثورة بالثقافة ، أي موقفها من الثقافة وشكل تعاملها معها · لان هذا الموقف وهذه المعاملة تعكسان مستوى فكريا معينا ومفهوما معينا للعالم · والسؤال هنا هو ما يلي : ما هو وضع الثقافة في الثورة ؟

وضع الثقافة في الثورة هو وضع الثورة أي مستوى وعيها ودرجة تطورها ومدى ارتباطها بالشعب والتاريخ والواقع ·

اذا كان وضع الثقافة ومستوى تطورها ومستوى التعامل معها مشروطا بالممارسات السياسية فمعنى ذلك ان السؤال يبدأ من السياسة، يبدأ من المؤسسات القائمة التي نرى أفعالها ونسمع أصواتها · اذا ابتعدنا عن التجريد والعموميات النظرية وقاربنا السؤال بجرأة ووضوح نقول : ما هو شكل التعامل الراهن الذي يحكم العلاقة بين المؤسسات الفلسطينية والثقافة ؟· ان وضوح السؤال ، يساهم في وضوح الجواب · لهذا نقول من جديد : ان الموقف الذي يحكم علاقة المؤسسات الفلسطينية بالثقافة لا يعكس ممارسة واحدة بل يعكس عدة ممارسات في ذات الوقت · لن نعالج هنا الا سؤالنا ، وبايجاز شديد وبرقابة ذاتية محدودة ·

ان دراسة الوضع الثقافي الفلسطيني الراهن تشير الى حقيقة أولى وهامة : ثانوية وهامشية وذيلية المستوى الثقافي بالنسبة الى المستويات الاخرى ، فمكان الثقافة هو آخر الصفحات ان لم تكن الاغلفة الاخيرة · وهو يعني ان الثقافة زائدة ونافلة وملء فراغ لم تملأه « الاخبار الاخرى » · عندما تكون الثقافة نافلة وذيلية بمعنى مزدوج فهذا يشير الى حقيقة واضحة هي : عدم معرفة دور الثقافة في الحياة السياسية وفي حركة النضال الوطني · ولكن كيف تعبر هذه المعرفة الشائهة عن ذاتها ؟

في اكثر من مكان ، وأكثر من حديث ومجلة ، تأخذ **الثقافة شكل الاعلام البسيط** ، أي أن الاعلام البسيط يغتصب مكان الثقافة ، ويرجع كل عمل ثقافي الى شكل اعلامي ، أو باختصار : ترفض الادارة السياسية العمل الثقافي ان لم يكن أداة اعلامية ·

نحن لا ننكر هنا الدور الاعلامي والتحريضي للثقافة ، لكننا نستنكر الموقف

Digitized by Birzeit University Library

الجاهل والمجهول من الثقافة . فالثقافة ممارسة فنية وابداعية وبحثية تنتمي الى الفن والعلم والادب ، تنتمي الى حقولها الاصليه وتمتح في نفس الوقت اطارا سياسيه وتحريضية واعلامية .

لقد خلطت المؤسسات الفلسطينية في اكثر من مكان وزمان بين الاعلام والثقافه وساهمت بذلك ، بوعي أو بغير وعي ، في مراوحة الثقافة الفلسطينيه وعدم دفعها الى مستوى التطور المنشود .

عندما تماثل المؤسسات بين الثقافة والاعلام فانها تشير في ذات الوقت الى غياب المعايير الموضوعية الى انعدام السياسه الثقافيه الصحيحه التي تمنح ثقافه وطنية ابداعية . وفي غياب المعايير تغيب الثقافه ، ويختر البحث الساثب ، ويزدهر المؤسسات التفاهية ، ويرحل المثقفون ، وتزدهر السعودة ، ويتنامى السلوك الفردي والمزاجية الادارية ...

اذا كانت الثقافة اعلاما ، واذا كانت المعايير غائمة فمعنى ذلك ان وضع الثقافة في المؤسسات الفلسطينية غائم بدوره والموقف من الثقافة هو الموقف من المثقف . فما هو هذا الموقف ، وكيف يمكن تحديده ؟

تتعامل المؤسسات ، في اكثر من ظرف ومناسبة ، مع المثقف الفلسطيني كأداة استعمالية تسد به فجوة او نقصا أو ... المهم في الامر أنها لا تتعامل معه كعلاقة نضالية أو ككيان له دور معين ، بل أنها على العكس من ذلك تلغي هذا الدور في تميزه ، وتخضع المثقف الى سيرورة تدجين مستمرة، وتحوله الى أداة ووسيلة وشيء . ولكن ما هو الفرق بين المثقف الثوري ومهرج السلطان ؟. الثورة كما أعلم تحتاج الى مثقف ثوري ، لا تحتاجه فقط بل تنتجه وتصنعه ويعيده باستمرار . مع ذلك فـ « حضور المهرج » يشير الى بعض الممارسات الخاطئة التي تعطي هذا المهرج بطاقة وتسمح له باعتلاء خشبة المسرح . ان الثقافة ـ الاعلام والمثقف ـ الاداة أو المثقف ـ المهرج ، حسب ما تشير في واقعها القائم .

تطرحان سؤالين مباشرين :

أ ـ الثقافة ـ الاعلام تشير الى غياب السياسة الثقافية ، والى غياب التخطيط العلمي للبحث والدراسات الذي يجعل من الثقافة علاقةفاعلة ونشطة وحقيقية في الحياة النضالية للشعب الفلسطيني : لماذا يكثر عندنا الشعر وتكثر « الخواطر التأملية » وتقل الابحاث الاقتصادية والتاريخية واللغوية والفلسفية ... ؟

Digitized by Birzeit University Library

ب ـ المثقف ـ الاداة يطرح سؤال علاقة المقاومة بالشعب ودور هذه المقاومة في خلق وعي وطني شامل وثقافة وطنية متجددة تكـــون على مستوى النضال العظيم للشعب الفلسطيني · وفي هذه الحال كيف نفسر غياب السينما الفلسطينية المروع الفلسطيني وكيف نفسر « محدودية » الموسيقا والابحاث الفلكوريـة ، بالإضافة الى « محدودية » البحث في جملة حقول ثقافية ؟

وأخيرا ، ان ازدهار الثقافة لا يتم الا بازدهار الديمقراطية وبحضور الحس الوطني المسؤول · لكن العصبوية والفئوية والمصالح الشخصية ووجود العناصر اللاقادرة تلجم هذا الازدهار وترمي بالثقافة في حصار مستمر · كما أن معرفة النواقص والعمل المشترك على تجاوزها يفرض حقيقية جوهرية : ضرورة الحوار الديمقراطي بين المنظمـات الفلسـطينية ، والحـوار الديمقراطي بـين المثقفين الفلسطينيين ، أي بفرض ضرورة النضال مـــن أجل الديمقراطية والوحـــدة الوطنية الحقيقية · ان الثقافـة هي تفتح الشخصية وتفتح الفكر وحريته في القول والحركة · وهذه الثقافة ستبقى « محاصرة » و « هجينة » طالما بقيت حرية الفكر « محاصرة » وطالما بقيت الممارسات الادارية « هجينة » فتحرير الثقافـــة يستلزم تحرير الادارة السياسية ·

اقتربنا من الفضيحة التاريخية

خيري منصور

ما من عنوان كهذا يهيج ذاكرة عرب اليوم ، خيط دم طرفـــه الاول يمتد بعيدا وعميقا في التاريخ ·· وطرفه الاخر لا يعلم احـد الى أين سيصل ··· لكننا ، جميعا ، نعلم كم هو نازف وطري ، الديمقراطية ·· الكلمة الاغريقيـة التي تبحث ، منذ أزمنة ، عن دلالة عربية ، انها كبحيرة الاسطورة ، تلك التي تشحذ الظمأ وتنأى · حلمنا جميعنا وضحيتنا في وقت واحد ·

وطن كبير كقارة ، ضيق كثقب ، والمنفى يفترس مـا تبقى من بلاد العرب الراهنين والمرهونين ·

من اين نبدأ ·· من أي لسان مقطوع ، ومن أي صمت معتق ملهوف على البوح ··· وملهوف على « لا » ، أجمل حروف الابجديـــة واكثرهـــا شبها بالمنشقة ·

كان **جان كوكتو** يفخر بانتمائه لامة تستخدم المقصلة ، لانها تتيح لـه ان

Digitized by Birzeit University Library

يخرج لسانه ساعة يشاء ·· وحين تعاقبه فبقطع الرأس كلـه ·· يفخر كوكتو على شعوب تبقى الرأس وتقصل اللسان ··· قبل عدة أعوام كانت الديمقراطية عورة في اللغة ، تستثير حساسيات مترفة ، وكـانت الاقـــلام تغازلها ، تحوم حولها وقلما تسميها ·

الان لا ··· بلغ المنشار العظم وسال النخاع ، وباختصار اقتربنا مـــن الفضيحة التاريخية ، واقع يتوغل في العري ويملأ الدنيا بتوامية النفط والغبار، والقتلة يتوضأون بدم الذبيحة ، والمثقفون ضحايا وجلادون ، عكازات لانظمة ومهندسون لقمعها ··· ومنفيون ، بيروت هي الشاهد منذ بلغ العسكر السلطة على أكتاف الحالمين ·

الديمقراطية لن تكون ببيان ، مهما بلغ الحماس والتعجل ··· انها مناخ، وعلاقة ، وهي خصيصة في العقل الكلي لامة ما ·

المثقفون يطرحون المسألة وكأنها محنتهم وحدهم ··· كأنهم معزولون عن هذا الركام الادمي ، الذي يملأ المقابر والحوانيت ، ويتحلق بالهراوات حـــول « صناديق الانتخاب » ·

ان نقيض الديمقراطية ليس الديكتاتوريات وتفريعاتها التاريخية ··· انما النقيض الحقيقي للديمقراطية هو الديمقراطيات الزائفة ، التي تقنع الكارثـــة ، وتؤجلها ، وتتح لها ان تتفاقم بعيدا في الظلام ·

هل عاد هناك حرمة لاي شيء ؟؟ قبل الديمقراطية ، افحصوا حبل السرة الجديد الذي ينمو لنا بعد البلوغ ··· الحبل السري بين الدماغ والمعدة ··

المثقف الفلسطيني ، الفلسطيني غير المثقف ايضا ··· لم تكـــن ضرائبه المدفوعة بسبب غياب الديمقراطية ، كمناخ وتقاليد وحصانات عامة في الوطن العربي ، بأقل من ضرائب العربي في أي مكان ، كان هـــو « الرهينة » طولب بدور « مرايا الانظمة » وأحيانا بتجميلها ، وحاول حد الهلاك والقيامة محاورة الشرط العربي القاسي ·

الانتماء الفلسطيني ، بوصفه تصعيدا واعيا للانتماء الانساني ، مسؤولية باهظة ومتعددة الصعد . فهو أقـــرب الى المستقبل وأكثـــر انعتاقا من المعطى والراهن ، اذن هو نجاة وأمل ·· ومن هنا فهو مطالب بالمثال والنموذج ·

لنبدأ ، ثانية ، من باب أوسع : في فترات الجـــزر الديمقراطي في الثورة

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطينية ، وهي ليست من الترسخ التاريخي بحيث تشكل موروثا متصلا للقمع واللاديمقراطية ... في هذه الفترات كان المجال يتسع دائما ، للمتثاقفين ، الذين لا يطيقون سماع أي صوت ، ويريدون من العالم ان يكون صدى لاصواتهم ، لا تخلو أيامنا من ظلال مؤلاء والخطورة كلها في تكريسهم عبر الصمت .

المثقف الفلسطيني – وهذا استطراد تسوقنا اليه طبيعة السؤال اذ الديمقراطية لا تخصه وحده – يتردد مرارا قبل الكتابة – وسيلته الاساسية – عن ظاهرة ، عن اشكالية ما ، أو عن كاتب ما ... انه يخشى اشياء كثيرة اقلها شأنا القطيعة مع هذا الذي يكتب عنه ، ويحاوره . ان هذا الحذر سينمو ، حتما ، وقد يضيع شيئا غاليا هو حاسة النقد الذاتي والمراجعة ... فتتلم هذه الحاسة الساهرة على وجودنا يعني مزيدا من الظلام .

هل نبدأ ثالثة من باب أكثر اتساعا ؟

المثقف ، وهو الاكثر الحاحا على المسألة الديمقراطية ، والذي ينزف قلمه حنينا اليها، الا يجسد في بعض الاحيان أقصى حدود اللاديمقراطية في الممارسة ، وهذه احدى مفارقاتنا الكبرى والمثيرة .

أظننا انتهينا حيث كان يجب ان نبدأ .

فالديمقراطية لا زالت حلما عربيا .. !!

.. مع الثورة وضد سلطتها

ميشيل النمري

.. والثورة الفلسطينية تنهي ربيعها الخامس عشر لا بد من التوقف امام « السلطة » التي تمكنت من امتلاكها .. فهي وان كانت لا تزال خارج ارضها الا انها تمتلك « سلطة » من طبيعة معينة . « سلطة » فيها الكثير من مواصفات « السلطات » القائمة في محيطنا العربي ففيها ، على سبيل المثال لا الحصر .

●● .. « فئة » تقود ، وتحكم ، وتحتكر « السلطة » . وهي . كأي فئة او طبقة تحكم ، معنية بالدفاع والقتال ضد من يحاولون الاقتراب من موقع القرار السياسي ، وانفرادها به .

Digitized by Birzeit University Library

●● ·· وفيها أجهزة ومؤسسات ، تتنافس وتتصارع ، وتحاول كل منها ان تستقطب ، وتعزز من مواقعها ، على حساب الاخرى ·

●● ولها أجهزة اعلامها المتخصصة في الترويـــج لسياساتها ومواقفها ، وخلق رأي عام مؤيد لها ، كما أنها معنية بالرد على الاعلام المعارض ·

●● وتعمل على خلق « ثقافة » تنسجم ومفاهيمها ، وبالتالي تسعى الـى استقطاب كتاب ومثقفين ·· أدباء وشعراء ، كما ان لها كتابها الذين ينحدرون ، أصلا ، من طينتها ·

●● وتملك أجهزة لامنها واستخباراتها ، ولديها أجهزة شرطة ، وتعقيب ، وملاحقة ، ولديها معتقلات وزنازين ، ومحققين ، وقضاة ومحامين ، أيضا ·

انها ، باختصـــار ، « سلطة » ، بمعنى الكلمـة ·· ولا يعقـل ان يتخلى « سلطان » عن سلطته ، هكذا بمحض ارادته ·· ومـن الطبيعي والمنطقـي ان تمارس السلطة سلطاتها ·

أما المثقف فبطبيعته ميال الى التحرر من السلطة تلك التي يتفق معها ، فانه، في بعض الاحيان ، يضيق ذرعا بها ·

ان « التناقض » بين الفنان والسلطة هو تناقض أزلي ، لا يمكن حله ، طالما بقيت « السلطة » قائمة ·· أي طالمـــا هناك فئة تحكم ، ولديهـــا أجهزتهـــا ، ومؤسساتها ، وأدوات قمعها · وهناك ، بالمقابل ، فئات محكومة ومقهورة · وأي وجود للسلطة يعني ، من الوجه الآخر ، وجـــود للقهر والاســتلاب على نحو أو آخر ، وبهذا القدر أو ذاك ·

في الواقع الفلسطيني ، كان مـن الطبيعي ان يندفع المثقفون الى الالتحاق بالثورة التي وفرت لهم ، في بداياتها ، فـرص التمرد على قهر « السلطات » ، من جهة ، ومن جهة أخرى تستجيب لطموحاتهم في التحرر الوطني ، والخلاص من كابوس الاحتلال والاضطهاد القومي ·

لكن درب « الثورة » ، كما يقال ، طويل ومتعرج ·· والثورة كبرت ، ونمت، وتعززت امكانياتها وشيئا فشيئا بدأت تمتلك « سلطة » من طبيعة خاصة ·

وبدأت « السلطة » ، لا الثورة ، تفرز أشكالا مـن الممارسات القمعية ··· وبالتالي تفرز وتفرخ خصوما ومعارضين ·

وأخذت « السلطة » تتوهم الخصوم أعداء ، فتعمل على « التنكيل » بهم ،

Digitized by Birzeit University Library

بقدر ما تسمح به ظروفها الخاصة وحجم سلطتها · وباختصار فقد اخذت السلطة تاكل أبناء الثورة !!

هل كان هذا المصير قدريا ، طالما ان انتصار الثورة يعني التحول الى سلطة ما ؟ ·

بالتاكيد أن هذه « السلطة » ليست الا افرازا لهذه الثورة ·· وأي حلم « بسلطة » من طراز مختلف يتطلب ثورة من طراز مختلف ، ايضا ·

ماذا اذن ؟

حتى الان ، نحن مع الثورة ··· الثورة التي لم تنجز ، بعد ، مهامها الوطنية ·· نحن معها ،لا ننا مع انجاز المهام الوطنية التحررية ، التي انطلقت من أجلها ، والتي لا تزال ، حتى اللحظة ، تتابع النضال من أجل تحقيقها ·

لكننا ، بالتاكيد ، لسنا مع السلطة التي أفرزتها ··· لسنا مع هذا النمط ، بالتحديد ، من السلطة ··

انها معادلة مركبة ، وفي غاية التعقيد ، وتتطلب دقة في التعاطي معها ·

نحن مع الثورة · في نفس الوقت نحن ضد « سلطتها » ··· هذا الشكل من سلطتها ··· نشارك ، ونعمل في صفوف الثورة ، ونقاتل دفاعا عنها ومعها ·· لكننا لسنا أبدا مع « سلطتها » بشكلها الراهن ، ولن نكون مع « سلطتها » المكتملة اذا جاءت على نموذج « سلطتها » القائمة الآن ·

هل يكفي هذا المدخل لتحديد طبيعة علاقة المثقف التقدمي **الديمقراطي** الفلسطيني والعربي بالثورة الفلسطينية ·

أعتقد ان الصورة واضحة ، على نحو ما · فمن جهة نحن في صف الثورة ، ومن جهة اخرى ، لاننا مع الثورة ، ومع استمرارها فعلينا ان نناضل بهمة ونشاط ، من أجل تصحيح كافة أشكال الممارسات غير الديمقراطية · ومن اجل حرية الرأي والتعبير والانتماء السياسي والايديولوجي · من أجل علاقات أكثر تقدما ، وأكثر انسانية ·· باختصار ، من اجل ثورة فلسطينية تشكل نقيضا حقيقيا لركام التخلف الحضاري والانساني القائم في منطقتنا ·

Digitized by Birzeit University Library

الديموقراطية هي جوهر الازمة ... ولكن

نزيه أبو نضال

ان طرح مسألة علاقة المثقف بالثورة ، يكشف مباشرة وجود أزمة في هذه العلاقة . وعند هذا الحد ، في تقديري يتفق الجميع ، ولكن ليبدأ الخلاف ، بعد ذلك مباشرة ، في تشخيص هذه الازمة ، وفي تعيين أسبابها ، والمسؤولين عنها في حدي العلاقة : المثقفون والثورة .

أرى من المفيد ، قبل الحديث عن طبيعة أزمة العلاقة داخل الثورة الفلسطينية ، ضرورة تحديد الاطار العام لعلاقة المثقف بالثورة ، من حيث هي معضلة قديمة وقائمة في مختلف أنواع الثورات ، ولدى مختلف قطاعات المثقفين .

وهذه المعضلة تزداد حدتها او تتناقص وفق شروط وظروف **تاريخية وموضوعية** ، تتصل ، أساسا ، بطبيعة مرحلة الثورة ، وبطبيعة مهماتها وبطبيعة بنيتها الطبقية . ثم تأتي بعد ذلك **العوامل الذاتية** التي تؤثر على هذه العلاقة ، سلبا او ايجابا .

ان ثورة اجتماعية بقيادة الطبقة العاملة وحزبها ، تطرح ، بصورة حادة ، أزمة العلاقة بالمثقفين ، بحكم انتماء غالبيتهم لشرائح البرجوازية الصغيرة . وجميعنا يذكر المناظرات الواسعة التي دارت في روسيا حول علاقة وموقع ودور المثقفين بالحزب البلشفي وبالطبقة العاملة . وفي هذا المجال تنخرط كافة الكتابات المتصلة بعلاقة الحزب بالطبقة او الحزب بالجماهير .. الخ .

ومثل هذه الازمة لا نجدها بهذه الحدة في ظروف ثورة وطنية وفق النموذج الفيتنامي ، وخاصة في ظل وجود جبهة وطنية متحدة ، تضم كافة القوى والطبقات صاحبة المصلحة بالثورة وفي طرد المحتل الاجنبي ، ففي هذه الحالة يتحدد موقع المثقفين داخل اطار الثورة ، مما يجعل طبيعة الازمة بين الطرفين مختلفة نوعيا ، وهذه العلاقة موضوعيا وفي جميع الاحوال أقل حدة من أزمة العلاقة في اطار ثورة طبقية ، وفق النموذج الروسي .

الطبيب الارجنتيني **أرنستوتشي جيفارا** طرح مسألة علاقة المثقف بالثورة ، على مستوى عالمي صارخ .. فاثار أوجاع المثقفين وأحلامهم وحماسهم وازمتهم ، في كل مكان .

النموذج الجيفاري لم يتعمم ، رغم حماس الرغبة ، الا في نطاقات ضيقة ،

Digitized by Birzeit University Library

مثل **ريجيس دوبريه** ، احدى محاولاتها الناقصة · اما على مستوى المشاركة في الثورات **المحلية** ، فلم يكن المثقفون فيها عملة نادرة ، رغم أزمة العلاقة وتنوع أشكالها ·

في ظروف أوضاع ثورية مركبة (وطنية واجتماعية) وفق النموذج الكوبي والاميريكي اللاتيني ، عموما ، تأخذ علاقة المثقفين بالثورة أشكالا أكثر تعقيدا، ولكنّ أقل حدة من النموذج الروسي ·

* * *

الثورة الفلسطينية وفق هذا السياق العام هي ثورة وطنية لتحرير الارض والانسان ، ولكن فرادتها تتمثل بكونها ثورة المنفيين عن وطنهم أساسا ، الى جانب ثورة الصامدين في داخل الارض المحتلة · وهي ، بهذا المعنى ، تقترب من النموذج الفيتنامي بكونها ثورة وطنية ، غير أن الفارق الهام بين الثورتين يتمثل بوجود حزب شيوعي قائد ، ممثل لفكر ومصالح الطبقة العاملة الفيتنامية ··· بينما تقود الثورة الفلسطينية قيادة وطنية عريضة ، تنتمي بمعظمها الى البرجوازية الصغيرة وفكرها · وهذه الحالة تجعلها ، موضوعيا، تقف على نفس الارضية الطبقية والفكرية التي يقف عليها المثقفون · مما يعني أن الاسباب الموضوعية لأزمة العلاقة بين الثورة والمثقفين هي في أخف حالات حدتها ، قياسا لمختلف النماذج الثورية ·

ولكن رغم ذلك تبقى الازمة قائمة ، بل هي تأخذ ، أحيانا ، أشكالا حادة ··· لماذا ؟

يبدو لي ان أزمة العلاقة بين المثقفين والثورة في الساحة الفلسطينية تأخذ أعلى أشكال حدتها مع أحد قطاعات المثقفين ، وهم الكتاب والادباء ، تحديدا ، وربما كان هذا هو المقصود ، أساسا ، من طرح المسألة · وهذا ما سنقصر ، الان ، الحديث عنه ·

* * *

يحلو للمثقفين من الكتاب والادباء ، عادة ، حين يتحدثون عن علاقة المثقف بالثورة ، أو عن أزمة هذه العلاقة ، أن يقدموا مرافعة للدفاع عن الكتاب الذين « كتبوا بالدم » وعن دورهم واسهاماتهم في الثورة ، وفي المقابل يسجلون على الثورة ممارساتها اللاديمقراطية في علاقتها بالمثقفين ··· الخ ·

ان طرح المسألة على أساس هذه الثنائية : ثورة ومثقفون ، هو أمر خاطىء بالاساس ، فموضوعيا المثقفون هم جزء من الثورة الفلسطينية بالمعنى العضوي

Digitized by Birzeit University Library

للكلمة ، وبالتالي فأزمة العلاقة هي مسالة داخلية ، ترتبط بالافكار والاتجاهات ووجهات النظر ، والتي تمثلها كذلك قوى وفصائل في داخل الثورة نفسها ... فالازمة ، بهذا المعنى ، ليست بين علاقة ثنائية ، ولكنها أزمة الروحية الديمقراطية التي تحكم نمط العلاقات داخل الثورة بين الاتجاهات المختلفة .

وفي هذا الاطار نجد كتابا ومفكرين وأدباء مع الاتجاه السياسي الذي تمثله القيادة الفلسطينية ... بينما نجد آخرين مع اتجاهات اخرى ، تمثلها فصائل من الثورة نفسها .

وعلاقة الصراع قائمة بين مجموع هذه القوى والاتجاهات ، بما فيها الكتاب والادباء أنفسهم ، في تشابك داخلي غاية في التعقيد ، مما ينفي صورة الثنائية (مثقف وثورة) التي يجري الاصرار على طرحها .

وهذه الصورة ، كما نراها ، تنسجم مع تحليلنا لطبيعةالثورة الفلسطينية، من حيث مهماتها الوطنية وبنيتها الطبقية ، المنسجمة مع البنية الطبقية للمثقفين داخل الساحة الفلسطينية ونحن حين نؤكد ذلك ، لا ننفي وجود أزمة علاقة داخل الثورة مع المثقفين ، ولكن تشخيصنا لهذه الازمة يبتعد ، تماما ، عن تصوير الامر باعتباره ثنائية ، ويقترب من محاولة تشخيص الازمة ، باعتبارها أزمة ديمقراطية من حيث جوهرها .

ان الكتاب والادباء معنيون ، أكثر ، بحكم طبيعة همهم واهتماماتهم ، بالتعاطي مع المسائل والقضايا المبدئية والاستراتيجية ، بينما الثورة ، من حيث هي حركة سياسية ، تتعاطى مع اليومي والتكتيكي ، الذي قد يتعارض ، الى هذا الحد أو ذاك ، مع الرؤيا الاستراتيجية والموقف المبدئي للكاتب او الاديب او الفنان ، ومن هنا يحدث التعارض او الاختلاف بين الطرفين . ويأتي شكل معالجة هذا الاختلاف ، بالنتيجة ، ليصنع ما يسمى بأزمة العلاقة بين المثقف والثورة . فالمجتمع العربي ، كما معظم مجتمعات العالم الثالث ، يخلو من تقاليد الحياة الديمقراطية ، بأبسط معانيها وصورها ... من البيت ، الى المدرسة ، الى العمل ، الى الحزب ، الى البرلمان ، الى الجبهات الوطنية والقومية والتقدمية ... الخ .

وهذا الغياب لتقاليد الحياة الديمقراطية يعكس نفسه ، بالضرورة ، على الساحة الفلسطينية ، رغم تمايزها النسبي والدرجي في هذا المجال .

وانطلاقا من جوهر الازمة هذا ، كما نراه ، فان الازمة تتمظهر بأشكال وتنويعات متعددة ... ويلعب فيها العامل الذاتي في حدي العلاقة دورا هاما ، بالسلب او بالايجاب .

Digitized by Birzeit University Library

التذمر ·· التـردد ·· النقد ·· الهرب ·· الهجـــرة الـى الخـــارج والداخل ·· الاضطهاد والتجويـع والتضييق ، والقمع ، والسجن ، وحملات التشويه ·· الصراعات ، والتناقضات السياسية ، والفكرية ، والشخصية ·· الخ ، الخ · كل هذه ظاهرات لازمة المثقف بعلاقتـه بالثورة ، او لازمة الثورة في علاقتها وتعاملها مع مثقفيها وهـذه الظاهرات تزداد حـــدة وتضخما في مراحل الازمات والتراجعات ، التي تمر بها حركـة الثورة ، وانعكاسها الى وعلى المنسحين وبباهم الفكرية والطبقية ، ومدى انتمائيتهم الثورية وطول نفسهم في تحمل معاناة المسيرة الثورية وما تفرضه من تحديات وتضحيات ، ســواء في الداخل او من الخارج · ولان المثقفين ، **عموما** ، هم اقـرب الى المثالية ، فان قدرتهم على تحمل السلبيات والاخطاء والمنغصات هي أضعف ، بكثير ، من قدرة غيرهم ، مما يجعل الازمة لديهم أضخم مـــن واقعها الفعلي ··· ويقود هذا ، بالتالي ، الى ان تأخذ الازمة شكل نتائج خطيرة تصل الى مستوى خروج المثقف من اطاره الثوري نفسه ·

ولان الامر هو ، في واقع الحال ، حقيقة موضوعية ، وبغض النظر عـن حجم المسؤولية التي يتحملها كل طرف من أطراف العلاقة في الوصول الى هذه الازمة ونتائجها الخطرة ، فـــان قيادة الثورة تتحمل مسؤولية أساســيه هي المعالجة ·

والمعالجة لن تكون ، في تقديرنا ، الا بالعودة الى جوهر الازمـــة ذاتها ، وهي أزمة الديمقراطيـــة ، فهنا ، بالذات ، يبدأ خلل العلاقـــة ، وهنا يمكن تصحيحها ·

ثقافة الازمة وازمة الثقافة

علي حسين خلف ——

فقدان الديمقراطية ، يلخص الازمة « الثقافية » التي تعيشها الساحـــة الفلسطينية ، وهو سبب ثقافة الازمة الرائجة التي تنتجها المؤسسات ·

انه الحاجز الاول أمام الانتاج والابداع الثقافي · والى جانبه ، وعلى مد البصر ، حواجز عديدة ·

■ الازمة متعددة الاشكال ومتنوعـة المصادر · وتفاقمها في الســنتين

Digitized by Birzeit University Library

الاخيرتين الى حد الانفجار ، نقلها من التعميم الى التخصيص ، ومن الاطار الى الامثلة · انها تمس كل مؤسسات البحث والتخطيط والدراسة · تلك النوافذ التي حاولت ان تكون عقل الثورة ومنبت قرارها وأرشيفها وبوصلة خطواتها ·

لقد نجحت ، الى حد ما ، ولفترات محدودة ، في ان تكسبه طموحها مشروعية الواقع ، ولكنها الان مجردة حتى من مشروع الحلم نحو شروط افضل للعلاقة الجدلية بين المثقف الثوري والثورة · وفقدت علاقة التفاعل الدينامي المطلوبة ، عنصر حمايتها بالاطر والقوانين والممارسة ·

انه الحاجز الثاني ·· الذي نراه بوضوح ·

■ الازمة متعددة الاشكال ، ومتنوعة المصادر · انها ازمة عجز المؤسسات الثقافية والاعلامية الموحدة في الجوهر ، ومن شأن هذا النهج الاختياري ان يعمق التعددية في المؤسسات المماثلة ، وان يساعد على تفريخها الآلي في المنظمات الصغيرة ·

فالحاجز الثالث ، المعروف جيدا ، يتضمن خطرين معا :

خطر استمرار خط الهيمنة والاستقرار ،

وخطر الخوف من الذوبان في المنظمة الكبيرة ·

■ وفي ظل تجريد المنظمات الجماهيرية من تراثها وتقاليدها وأسس عملها النقابي ، وتحويلها الى أدوات طيعة لاصدار البيانات عند الحاجة أو دعوتها للنوم طويلا والاستغناء عن خدماتها ، حافظ الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين على هامش من التمايز ، ولكنه لم يشكل واحة الديمقراطية في هذا القحط الشامل ، ولم يكن الملجأ الاخير · لقد تسربت اليه مؤثرات تلك الحواجز ، وما زال ينتظر الاختبار في مؤتمره القادم ·

أمام تلك الحواجز وغيرها ، تتبلور المهمات الكبرى أمام المثقفين العاملين في اطار الثورة ·

١ ـ النضال من أجل بلورة حركة ثقافية ديمقراطية ، تستند على دور ومكانة القوى التقدمية في الثورة · وبدون هذا الترابط بين المثقف الثوري والقوى الثورية ، تتحول الاندفاعات الى حالات فردية قابلة للانطفاء أو الهجرة أو الذوبان ·

٢ ـ النضال من أجل اسقاط الهيمنة اليمينية على المؤسسات الثقافية ،

Digitized by Birzeit University Library

واعادة احياء دورها الثقافي العام والاكاديمي التخصصي ، على قاعدة تطريز الديمقراطية داخلها ، ضمن لوائح العمل والعلاقة بين العاملين والهيئات القيادية والمدراء · وضرورة فتح باب هذه المؤسسات للكفاءات الفلسطينية ، بعيدا عن العصبوية او الاحتواء ·

٣ ـ حق كل مناضل يعمل في المؤسسات الثقافية باختيار انتمائه السياسي لفصائل الثورة ، بشكل علني ، دون ان يتعرض للاضطهاد او الطرد ·

٤ ـ النضال من أجل توحيد الاقسام المتماثلة في فصائل الثورة ، في الاداب والفنون والاعلام ، على قاعدة التدرج وبدءا من التنسيق ·

٥ ـ تحويل المؤسسات الموحدة قولا ، الى مؤسسات وحدوية قولا وفعلا ، والغاء الفيتو المطبق على عناصر التنظيمات الفلسطينية في دخول هذه المؤسسات ·

Digitized by Birzeit University Library

تعليق

طوبى للأرض التي هزمت محتليها

في كانون الاول ١٩٧٣ ، اتخذت سلطات الاحتلال الاسرائيلي قرارا بأبعاد العديد من أبرز قيادات وكوادر الجبهة الوطنية الفلسطينية ، ومنهم رئيس بلدية البيرة ، المناضل **عبد الجواد الصالح** ، دون أن تمكنهم حتى من العودة للمحاكم للطعن في قراراتها · وفي أواخر عام ١٩٧٩ ، اضطرت أكثر الحكومات التي عرفتها اسرائيل فاشية وتطرفا ، للتراجع عن قرار اتخذته بأبعاد رئيس بلدية نابلس ، المناضل **بسام الشكعة** · فما الذي طرأ على العلاقة بين الجماهير ومحتليها ، على امتداد السنوات الخمس الماضية ، حتى تجبر حكومة **مناحيم بيغن** على التراجع عن قرارها وتضطر لتقبل أكبر هزيمة سياسية ، على يد الجماهير المحتلة ·

واذا كانت التهمة التي لفقها كبار ضباط الحكم العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية ضد رئيس بلدية نابلس ، لابعاده عن وطنه قد فتحت ملف القمع الاسرائيلي واجراءات سلطات الاحتلال التقييدية ضد القوى الوطنية والشعبية التقدمية في المناطق المحتلة ، فانها كانت ، مع كل ما رافقها من تحركات جماهيرية ، بمثابة « الباروميتر » الذي أشار ، بشكل دقيق ، للمستوى الذي وصلت اليه جماهير المناطق المحتلة وهيئاتها وقواها ومؤسساتها الوطنية في نضالها من أجل دحر الاحتلال وتقرير المصير في اطار دولة وطنية مستقلة ·

فالانتفاضة التي عمت مدن وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة على امتداد شهر تشرين الثاني واوائل شهر كانون الاول الماضيين ، والتي كللت بالنجاح تكسير قرار الحكومة الاسرائيلية ضد المناضل **الشكعة** ، عكست التطورات التي شهدتها المناطق المحتلة على امتداد الفترة الماضية وشكلت عوامل نجاح واستمرارية وشمولية هذه الانتفاضة ·

وفي مقدمة هذه التطورات ، يأتي ما تميزت به الحركة الجماهيرية من النزوع الى العمل المنظم والتخلص التدريجي من أشكال العمل والهبات العفوية · ففي مجموع التحركات الشعبية التي شهدتها المناطق المحتلة ضد مشروع الحكم

Digitized by Birzeit University Library

الذاتي وعمليات الاستيطان وغيرها من اجراءات الاحتلال ، لعبت النقابات العمالية واللجان الطلابية والنسائية والنوادي الاجتماعية والثقافية ، دورا هاما في تنظيم المهرجانات والمظاهرات واللقاءات والمؤتمرات والعرائض (**التقرير السياسي الصادر عن اجتماع اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين** ـ منتصف تموز ١٩٧٩) ٠

وساهم هذا التطور الجديد في اكساب الانتفاضات الجماهيرية المزيد من الاستمرارية والشمولية والفعالية في التأثير على اجراءات سلطات الاحتلال ودحرها وافشالها في أكثر من مرة ٠

كما ساهم الانخراط المنظم للطبقة العاملة ، والخروج بثقلها الاجتماعي في معارك المجابهة السياسية التي شهدتها المناطق المحتلة وخاصة على امتداد العامين الاخيرين ، في تصليب موقف الطبقات والشرائح الاجتماعية الوطنية الاخرى ، بحيث شكل الموقف السياسي للطبقة العاملة ، عبر نقاباتها الممثلة في « **الاتحاد العام لنقابات العمال في الضفة الغربية** » و « **الاتحاد العام لعمال فلسطين في غزة** » وقواها التمثيلية ، شكل محورا التفت حوله وانخرطت تحت شعاراته أوسع القوى السياسية والاجتماعية ٠

ولعب الدور المتعاظم لـ« **الجبهة الوطنية الفلسطينية** » ، كاطار موحد ومنظم للتحركات الجماهيرية وقيادة سياسية لها ، لعب دورا هاما في اعطاء الانتفاضة المزيد من الوحدة والوضوح والقدرة على بلوغ أهدافها ٠

حيث جاء انبعاث **الجبهة الوطنية** ، من جديد ، في أيار ١٩٧٩ ، والتقاء الفصائل الوطنية في اطارها ، على قاعدة برنامج عمل نضالي سياسي وديمقراطي ، تم اقراره ، بالاجماع ، في شهر تشرين أول الماضي ، ليشكل بداية مرحلة نوعية جديدة في النضال ضد المحتلين ٠

وجاءت انتفاضة نوفمبر المجيدة لتثبيت جدارة **الجبهة الوطنية** ، وقدرتها على وضع برنامجها موضع التطبيق ، ولتؤكد حقيقة دورها في قيادة وتوجيه النضالات الجماهيرية وعلى مختلف محاور النضال ضد الاحتلال واجراءاته (نايف حواتمه : **قمة تونس وآفاق النضال لدحر اتفاقات كامب ديفيد** ٠ منشورات الاعلام المركزي للجبهة الديمقراطية ٠ كانون الثاني ـ ١٩٨٠) ٠

كما ان الموقف الوطني الموحد والحازم لجماهير المناطق المحتلة وهيئاتها ومؤسساتها وقواها الوطنية والتقدمية ضد اتفاقات كامب ديفيد وصفقة الاستسلام الثنائية المصرية ـ الاسرائيلية ، ومشروع الحكم الذاتي التصفوي،

Digitized by Birzeit University Library

والملتف حول **منظمة التحرير الفلسطينية** وحق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير في اطار دولة وطنية مستقلة ، هذا الموقف ، قد ساهم في تعديل موازين القوى في العلاقة مع الاحتلال لصالح الحركة الجماهيرية ، من خلال اجبار سلطات الاحتلال على التراجع عن مساعيها التي استهدفت البدء الفوري بتطبيق مشروع الحكم الذاتي ، وتكسير اجراءاتها التقييدية ، ومن خلال شل تذبذبات الاتجاهات اليمينية المترددة ، واحباط نشاطات المجموعات الموالية للنظام الاردني ·

على أرضية هذه التطورات الهامة سقط قرار الحكم العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية ، باعتقال المناضل **الشكعة** ، تمهيدا لابعاده عن أرض وطنه ، هذا القرار الذي مهدت له سلطات الاحتلال بتصعيد وتوسيع درجة القمع واجراءات التقييد ، وخاصة منذ أن قررت يوم ٧٩/١١/١٠ ، اعتبار ما سمته بـ «**اللجنة التحضيرية للجبهة الوطنية الفلسطينية**» تنظيما خارجا على القانون ، وما رافق ذلك من تصعيد لهجومها الشرس ضد القوى والهيئات والمؤسسات الشعبية والتمثيلية ، بتهديد بعضها وتقديم البعض الآخر الى المحاكمات التعسفية ·

وكانت الحكومة الاسرائيلية تراهن ، في « فعلتها » هذه ، على امكانية الخروج من الحلقة المفرغة التي تدور فيها مفاوضات الحكم الذاتي ، واعادة اللحمة والثقة المهتزة للحكومة ، بعد النكسات الاخيرة التي تعرضت لها بسبب تعنتها وتصلبها واصرارها على تجاهل الواقع ، وذلك من خلال محاولة ايجاد ثغرة في الموقف الفلسطيني ، واستمالة طرف فلسطيني داخل المناطق المحتلة نحو الجلوس على مائدة مفاوضات الحكم الذاتي ·

غير أن حسابات الحقل لم تأت متطابقة مع **حسابات البيدر** · **فقد خرجت** الارض المحتلة من معركتها ضد محتليها ، أكثر وحدة وقوة وصلابة ، بينما تعمق مأزق الحكم الذاتي ومجموع اجراءات سلطات الاحتلال الهادفة شق الموقف الفلسطيني ·

فقد أدى الموقف الموحد والحازم لرؤساء المجالس البلدية الوطنية بتقديم الاستقالات الجماعية ورفض دعوات أصحاب « المرونة » و « التروي » ، أدى الى توحيد الجماهير الفلسطينية في الداخل والخارج حول هذا الموقف ، واحداث

Digitized by Birzeit University Library

اوسع حملة ضغط عربية وعالمية على حكومة غـلاة المتطرفين الصهاينـة ، التي اجبرت على التراجع عن قرارها والغاءه .

وبهذا تكون جماهير الارض المحتلة قد حققت أول انتصار سياسي كامـل على محتليها ، فاتحة بذلك بداية مرحلـة جديدة ، مرحلـة بدايـة العد العكسي للاحتلال ، والتسريع بعملية دحره ، على طريق احقاق حقوق الشعب الفلسطيني بالعودة الى دياره وتقرير مصيره في اطار دولة وطنية مستقلة .

د . مصطفى جفال

Digitized by Birzeit University Library

مساهمة في دراسة
سياسة وتوجهات

الحزب الشيوعي في فلسطين ١٩٢٤-١٩٤٨

- القسم الثاني -

كان تردد قيادة الاممية الشيوعية في الاعتراف بالحزب الشيوعي في فلسطين ينبع اساسا من اقتصار عضويه هذا الحزب على الثوريين اليهود . ولم يتم قبول الحزب رسميا في صفوف الاممية الشيوعية الا بعد ان وافقت قيادته على انجاز سياسة « التعريب » . وهكذا ، واعتبارا من بدايات العام ١٩٢٤ ، بدا الحزب الشيوعي بين الجماهير الكادحة العربية والسعي لاستقطاب أوعى عناصرها بهدف تنظيمها في صفوف الحزب

قبل استعراض الجهود التي بذلها الحزب في هذا المجال الحساس من مجالات نشاطه ، سنحاول التعرف على صورة الوضع الذي كان قائما آنذاك .

في بداية العام ١٩٢٤ ، كنا في فلسطين أمام مجموعة من الثوريين اليهود لا يتجاوز عددهم المئة ، كان ينبغي عليهم ان يتوجهوا نحو وسط غريب عنهم تماما ، يجهلون لغته وعاداته وتقاليده . وكانوا يمثلون في نظر السواد الاعظم من الجماهير الكادحة العربية ، التي من المفترض ان يتوجهوا نحوها ، مجموعة من المستوطنين الاجانب الذين قدموا الى البلاد في عداد هجرة بشرية هدفها غزو فلسطين واقامة دولة يهودية فيها . وكانت بعض القيادات القومية العربية ، في سعيها المستمر الى عزل الجماهير العربية عن الشيوعيين ، تحاول ترويج الفكرة القائله بان العدد الاكبر من المهاجرين اليهود هم من البلاشفة الذين قدموا الى فلسطين بهدف اقامة سلطة سوفياتية فيها .

في مثل هذه الاوضاع ، لم يكن انجاز « تعريب » صفوف الحزب الشيوعي في فلسطين مهمة سهلة المنال . ولولا توافر ظروف موضوعية مؤاتية لانتشار الفكر الشيوعي بين الجماهير الكادحة العربية ، لما كان بامكان هذه الحفنة من الثوريين اليهود ، بالاعتماد على فعلها الذاتي فقط ، ان تنجح في استقطاب وتنظيم عناصر عربية في صفوف الحزب الشيوعي . فانضمام العمال والكادحين العرب الى صفوف الحزب الشيوعي في فلسطين قد عبر آذن ، وقبل كل شيء ، عن الحاجات الموضوعية للنضال الثوري العربي في بداية العشرينات . فظهور الطبقة العاملة العربية في فلسطين وبدء تكون وعيها الطبقي في النضال ضد الاضطهاد القومي والاستغلال الرأسمالي وضد سياسة التمييز الشوفيني ، وبروز الحركة القومية العربية وتنامي الشعور الوطني عند الجماهير العربية التي كانت تخوض النضال على جبهتين ضد الامبريالية وضد الصهيونية ، والتأثيرات السياسية والفكرية لثورة اكتوبر الاشتراكية

Digitized by Birzeit University Library

التي تسربت انباء انتصارات وانجازات سلطتها السوفياتية الجديدة الى العالم العربي على الرغم من كافة السدود والحواجز التي اقامتها السلطات الامبريالية للحيلولة دون انتشار الحقيقة بين العرب عن ثورة لينين ، وتأثيرات الثورة الكمالية في تركيا ، والانتفاضات الثورية المعادية للامبريالية في مصر والعراق . كل هذه العوامل مجتمعة قد مثلت ظروفا موضوعية مؤاتية لانتشار الفكر الشيوعي بين الجماهير الكادحة العربية ، وبروز حركة شيوعية بين صفوفها (٤٨) .

أما الدور الذي لعبه الشيوعيون اليهود فقد تجسد ، بعد ان توافرت ظروف موضوعية مؤاتية ، في تسريع عملية انتقال بعض العمال والمثقفين العرب التاريخية الى مواقع الماركسية اللينينية ودفعهم للانتظام في صفوف الحزب الشيوعي في فلسطين . فدورهم اذن ، الذي انحصر في فعل العامل الذاتي ، لم يتمثل في خلق ظروف موضوعية مؤاتية لنشوء مجموعات شيوعية عربية ـ كان هذا مستحيلا ـ ، بل تمثل في دفع وتشريع عملية تاريخية كانت قد بدأت في ظل ظروف مؤاتية محليا وعربيا وعالميا .

اتجه نشاط الحزب الشيوعي وسط الجماهير العربية باتجاه العمال العرب بصورة رئيسية . وكان الاحتكاك بين الشيوعيين اليهود وبين العمال العرب يتم في اماكن العمل أو في الاحياء العربية ـ اليهودية المختلطة مثل حي المنشية بمدينة يافا (٤٩) .

وبهدف امتلاك مادة دعائية تساعده على

---

٤٨ ـ ان التوسع في هذا الموضوع يحتاج الى بحث خاص ، ولا يسعه مجال هذه الدراسة .

٤٩ ـ المقابلة الاولى مع محمود الاطرش . مدينة الجزائر في ٦ ـ ١١ ـ ١٩٧٦ .

ولد محمود الاطرش في مدينة القدس ، عام ١٩٠٣ ، لابوين عاملين قدما الى فلسطين من الجزائر . أنهى دراسته الابتدائية والاعدادية في مدينة يافا ، ثم عمل في قطاع البناء، حيث سعى في سبيل تأسيس نقابة للعمال العرب العاملين في هذا القطاع في عام ١٩٢٤ ، تعرف على الشيوعيين اليهود ، وعن طريقهم انتسب ، رسميا ، الى صفوف الحزب الشيوعي ، في كانون الثاني ١٩٢٦ . وأصبح في عام ١٩٢٧ سكرتيرا لمنظمة الشبيبة الشيوعية العربية في يافا ـ تل أبيب . أوفدته قيادة الحزب في اب ١٩٢٧ ، الى موسكو للالتحاق بجامعة شعوب كادحي الشرق ، حيث كان واحدا من المسؤولين السياسيين عن الموفدين العرب . عاد الى فلسطين ، في أيار ١٩٣٥ ، بناء على طلب من قيادة الاممية الشيوعية ، وذلك للمساهمة في « تعريب » صفوف الحزب الشيوعي . انتخبه المؤتمر السابع للحزب عضوا في سكرتارية لجنته المركزية ، الى جانب **نجاتي صدقي وجوزيف برغر** . اعتقلته السلطات البريطانية ، مع **نجاتي صدقي** ، في شباط ١٩٣١ ، وحكمت عليه بالسجن لمدة عامين . أوفد في نيسان ١٩٣٣ ، الى لبنان وسوريا ، حيث ساهم ، حتى عام ١٩٣٦ في قيادة الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني ، وفي النشاط الرامي الى التعريب الفعلي للحزب الشيوعي في فلسطين ، وفي المحاولات الرامية الى اعادة بناء الحزب الشيوعي المصري ، وتأسيس حزب شيوعي في العراق .

اعتقل في دمشق ، في أيار ١٩٣٥ ، وأعيد الى فلسطين ، حيث مكث في السجن

Digitized by Birzeit University Library

نشر أفكاره الثورية بين جماهير العمال العرب ، تعاقد الحزب الشيوعي في فلسطين مع « ايليازكا » ، صاحب مجلة « حيفا » ، واتفق معه على تحويل مجلته الاسبوعية الى مجلة دورية تنطق باسم العمال العرب في فلسطين · والى جانب اصدار هذه المجلة الدورية العلنية ، التي بدأت تصدر اعتبارا من شهر تشرين أول ١٩٢٤ تحت اسم « مجلة

.....

ستة اشهر · وفي سجن القدس نظم المعتقلون السياسيون اضرابا استمر ١٩ يوما للتنديد بالمعاملة الوحشية التي لقيها · انتخبه المؤتمر العالمي السابع للاممية الشيوعية (تموز ـ اب ١٩٣٥) عضوا في لجنته التنفيذية ، حيث كان يمثل الاحزاب الشيوعية العربية لدى قيادة الاممية خلال أعوام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ · اعتقل عام ١٩٣٨ في باريس ، واتهم بالاعداد لاغتيال **جورج السادس** ، ملك انكلترا ، الذي كان يزور العاصمة الفرنسية انذاك · مكث عدة اشهر في **سجن السانتيه** بباريس ، وعندما اطلق سراحه بانتظار المحاكمة ، طلبت منه قيادة الاممية الشيوعية التوجه الى الجزائر ، حيث اعتقل هناك من جديد عام ١٩٣٩ ، بتهمة الانتماء الى الحزب الشيوعي الجزائري ، وأمضى عدة أشهر في **سجن باربوروس** · ساهم خلال أعوام ١٩٤٣ ـ ١٩٤٦ في قيادة نقابة عمال البناء في الجزائر · ومن عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٥ عمل في هيئة تحرير الجريدة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري « **الجزائر الجديد** » · أمضى أعوام الثورة الجزائرية في ممارسة العمل السياسي السري ، وقد اعتقل في عام ١٩٥٩ ، وأمضى فترة في معسكرات الاعتقال · بعد ان انتزعت الجزائر استقلالها ، **ساهم محمود الاطرش** في تحرير « **الجزائر الجمهوري** » ، و « **الشورة والعمل** » ، جريدة اتحاد النقابات · ترك الجزائر في اذار ١٩٦٨ ، واستقر في برلين ، عاصمة المانيا الديمقراطية · عاد الى الجزائر ، في السنوات الاخيرة ، وهو يعيش ، الان في الجزائر العاصمة · الاسم الحقيقي **لمحمود الاطرش هو محمود الحاج رباح** ، وكان **يسمى بـ محمود المغربي** · وقد استعمل ، خلال حياته النضالية الحافلة ، عدة أسماء مستعارة منها : « **مارات** » او « **مراد** » (جامعة كادحي الشرق) ، « **مسعود** » (بعد عودته الى فلسطين) ، « **ابو داوود** » (في لبنان وسوريا) ، « **سليم عبود** » (في سوريا ، وفي دوائر الاممية الشيوعية) ، « **ايزيدور** » (أثناء الثورة الجزائرية) .

كتب **محمود الاطرش** مجموعة كبيرة من الابحاث ، من أهمها البحث الذي أعده عن الوحدة العربية · كما صاغ مذكراته الشخصية تحت عنوان « **طريق الكفاح** » · وقد ساهم في تحرير العديد في الجرائد والدوريات والنشرات السرية من أهمها « **نشرة الصاعقة** » (جامعة كادحي الشرق) ، و« **الى الامام** » (صحيفة الحزب الشيوعي في فلسطين) ، و « **نضال الشعب** » (صحيفة الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان) ، و « **الشرق العربي** » (باريس) ، و « **المراسلات الصحيفة الاممية** » و « **الاممية الشيوعية** » (موسكو) · وفي عام ١٩٦٧ نشر **محمود الاطرش في صحيفة « الكفاح الوطني »** التقدمية المغربية سلسلة من الدراسات عن « **فلسطين بين الامس واليوم** » .

لقد اقتبسنا سيرة حياة هذا المناضل التقدمي الكبير من المادة التي كان قد أعدها المؤرخ والصديق **جاك كولان** ، وذلك بالاعتماد على مجموعة من المراسلات والمقابلات التي اجراها مع **محمود الاطرش** · فليجد هنا التعبير عن شكرنا وامتناننا .

Digitized by Birzeit University Library

العمال » (٥٠)، قامت الكتلة العمالية باصدار نشرة دورية عربية منسوخة على اليد ، بالاضافة الى عشرات النشرات والكراسات ، كما قامت بتنظيم العديد من الندوات والامسيات التي كانت تخصص لمناقشة أوضاع العمال العرب في فلسطين ، وسبل تطوير العلاقات بينهم وبين رفاقهم من العمال اليهود (٥١) ٠

كانت قيادة الحزب تسعى ، في البداية ، في سبيل دفع العمال العرب للانتظام في صفوف النقابات التابعة للهستدروت ، وتدعو الى اقامة منظمات أممية موحدة تجمع العمال العرب واليهود جنبا الى جنب ٠ وقد تكللت نشاطات الحزب في مجال العمل النقابي بين العرب بنجاحه ، في أواخر العام ١٩٢٤ ، بتنظيم نقابه للعمال العرب العاملين فيصناعة الاسمنت ، وبدفع عدد كبير من العمال العرب للانضمام الى نقابة عمال السكك الحديدية التابعة للهستدروت ، حيث تحولت هذه النقابة ، بفضل جهود الشيوعيين ، الى أول منظمة نقابية تجمع العمال العرب واليهود في فلسطين جنبا الى جنب (٥٢) ٠

وتعترف سلطات الانتداب البريطانية بأن الحزب الشيوعي قد استطاع احراز بعض النجاحات في مجال العمل نقابي بين العرب، وتذكر في احد تقاريرها بأن دعايةالشيوعيين « لم تقع على آذان صماء ٠ فقد اخذ العرب يقدرون مدى أهمية الشعارات التي يرفعها زملاؤهم اليهود في ادبياتهم٠٠٠وعلى الفور اخذ العرب يقيمون المنظمات العمالية التي نعتقد ان بعضها وقع تحت تأثير الشيوعيين » (٥٣) ٠ الا فشل جميع المحاولات الرامية الى اقامة منظمات نقابية موحدة في فلسطين ، وذلك بسبب المعارضة الشديدة التي أبدتها قيادة الهستدروت الشوفينية وبعض القيادات القومية العربية لمبدأ العمل النقابي اليهودي – العربي المشترك ، قد اضطر الحزب الشيوعي في فلسطين ، في نفس الوقت الذي كان فيه يواصل نضاله في سبيل وحدة الحركة النقابية ، الى دعم المنظمات النقابية العربية المستقلة ، ومن أبرزها « جمعية العمال العرب الفلسطينية » ٠ ففي التقرير الذي قدمته قيادة الاممية الشيوعية حول نشاطات أحزابها في الفترة الواقعة بين المؤتمرين العالميين الخامس والسادس ، بامكاننا ان نقرأ : « ان الحزب الشيوعي في فلسطين ، وبموازاة نشاطه داخل الهستدروت ، كان ينشط ايضا داخل النقابات العربية المستقلة » (٥٤) ٠

---

٥٠ – انظر هاني حوراني : « قراءة في سياسة الحزب الشيوعي الفلسطيني » (مجلة حيفا ١٩٢٤ – ١٩٢٦) ، في **شؤون فلسطينية** ، رقم ٥٨ ، حزيران ١٩٧٦ ، ص ١٣٩ – ص ١٧٨ ٠

٥١ – انظر : أبو زيام : « استيقاظ العمال اليهود » ، في **الاممية النقابية الحمراء** ، رقم ٤٧ ، كانون اول ١٩٢٤ ، ص ٩٥٣ – ص ٩٥٤ ٠

٥٢ – **المصدر السابق** ٠

٥٣ – أورده سليمان بشير ، المشرق العربي في النظرية والممارسة الشيوعية ، **المصدر المذكور** ، ص ١٧٠ ٠

٥٤ – انظر : نشاط الاممية الشيوعية بين المؤتمرين الخامس والسادس ، **المصدر المذكور** ، ص ٥٣٤ ٠

Digitized by Birzeit University Library

كانت قيادة الاممية الشيوعية تصر على ضرورة انجاز مهمة « التعريب » ، وتطالب قيادة الحزب الشيوعي في فلسطين ببدل كافة جهودها في سبيل تجاوز وضع الحزب « كحزب للمهاجرين اليهود » ، غير ان هذه المهمة لم تنجز طوال مرحلة العشرينات . فمع ان الحزب الشيوعي في فلسطين قد استطاع استقطاب وتنظيم بعض العمال والمثقفين العرب ، ومع ان قيادته قد سعت في سبيل اعداد كادر عربي ، الا انه قد بقي في توجهاته « حزبا يهوديا » ، بمعنى ان نشاطه كان موجها ، بصور رئيسية ، باتجاه التجمع اليهودي في فلسطين « البيشوف » ، وبالتحديد باتجاه القطاع العمالي داخل هذا التجمع .

كنا قد اشرنا ، في القسم الاول من هذه الدراسة ، الى اشتراك أحد المندوبين العرب في أعمال المؤتمر الخامس للحزب الذي انعقد في شهر تموز ١٩٢٤ . فاعتبارا من ذلك التاريخ ، كان الحزب يضم اذن في صفوفه أعضاء عربا . كم كان عددهم آنذاك ؟ .. انه من الصعب الاجابة على هذا السؤال لعدم توفر المعلومات الدقيقة ، وذلك بسبب ظروف السرية الشديدة التي كانت تحيط بنشاط الشيوعيين العرب . ومع ذلك ، فان أجهزة الاستخبارات البريطانية تشير ، في احد تقاريرها ، الى ان الحزب الشيوعي في فلسطين كان يضم في العام ١٩٢٤ عضوا عربيا واحدا ، وثمانية أعضاء في العام ١٩٢٥ (٥٥) .

ويشير نفس التقرير الى ان الحزب قد استطاع ، خلال تلك الفترة ، كسب تأييد عدد من عمال المخابز العرب في مدينة يافا ، وكسب بعض النفوذ بين العمال العرب في مدينة حيفا ، الذين التفوا حول الشعارات التي كان يرفعها الحزب : «ضد الانتداب البريطاني ، ضد وعد بلفور ، وفي سبيل استقلال فلسطين » (٥٦) .

من هو العضو العربي الاول في صفوف الحزب الشيوعي في فلسطين ؟ ..

هنا ايضا ليس لدينا معلومات دقيقة . ففي حين يعتقد بعض الباحثين بأن « نجاتي صدقي » ، الملقب بـ « مصطفى سعدي » ، هو العضو الاول في صفوف الحزب من بين العرب (٥٧) ، يؤكد محمود الاطرش ، من جهته ، بأن الشيوعي العربي الاول في فلسطين هو « محمد الرمادي » ، ابن ضابط في الجيش التركي والذي كان يعمل مدرسا في احدى المدارس العربية . ويسترجع محمود الاطرش ذكرياته ويقول : « انني متأكد بأن محمد الرمادي كان يحمل مع ماير كوبرمان علم الحزب خلال مظاهرة نظمت في مدينة حيفا في أواسط عام ١٩٢٤ » (٥٨) .

ولكن كيف كان يتم انتساب العامل العربي او المدرس العربي الى صفوف الحزب الشيوعي في تلك الفترة ، وما هي الدوافع التي كانت تدفعه للانخراط في خضم العملية الثورية الى جانب الشيوعيين اليهود ؟..

يجيب محمود الاطرش ، من خلال تجربته الشخصية ، على هذا السؤال ويقول : « بعد وفاة والدتي اضطررت للعمل في سبيل كسب قوت حياتي . تركت المدرسة وبدأت أعمل في قطاع البناء في ظروف صعبة جدا . كنت أقبض شلنين في اليوم وكنت أشعر باستغلال فظيع ، وكنت منذ صغري معاديا للصهيونية،

---

٥٥ – اورده م . اوفينبرغ ، الشيوعية في فلسطين ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٥٠ .
٥٦ – **المصدر السابق** . انظر كذلك سليمان بشير ، **المصدر المذكور** ، ص ١٦٩ .
٥٧ – انظر م . اوفينبرغ ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٤٩ .
٥٨ – **المقابلة الاولى مع محمود الاطرش** .

Digitized by Birzeit University Library

ومن هنا بدا تصميمي على خوض النضال . كنت أطالع الصحف باستمرار ، مثل المقطم والاهرام والبلاغ ، اشتريها واحيانا اخرى كنت اسحبها من بين القادورات . وتابعت على صفحات هذه الصحف أخبار الثورة التركية ووقائع المحاكمات في زمن مصطفى باشا ، وأخبار الثورة في مصر وفي العراق. كما تابعت أخبار الثورة الروسية التي تركت في نفسي أثرا كبيرا (٠٠٠) . كان صديقي « محمد اللداوي » ، الذي كان يعمل في الجيش التركي واسر أثناء الحرب في روسيا يحدثني دوما عن البلاشفة وعن استيلائهم على أملاك كبار الاقطاعيين واعطائهم الارض للفلاحين ، وعندما سألته عن أوضاع العمال في روسيا ، أخبرني بأنهم على رأس سلطة الدولة (٠٠٠) . كان هذا بالنسبة لي شيئا جديدا ، خاصة في ظل الظروف الصعبة التي كنت أعمل فيها (٠٠٠) .

تعرفت على الرفاق اليهود في حي المنشية ، وكانوا يحدثونني دوما عن ثورة اكتوبر . وقد أخبروني مرة بأن باخرة ستاتي من بلاد البلاشفة ، فتركت عملي وتوجهت الى المرفأ لمشاهدة هذه الباخرة ، دون أن أعي الدافع الحقيقي لذلك (٠٠٠) وفي المرة الاولى التي اجتمعنا فيها مع الرفاق اليهود ، خلال العام ١٩٢٤ ، حدثنا أحدهم عن انتصار الثورة الزراعية في روسيا ، وقد أثار هذا الموضوع اهتمامي الى حد كبير وفي نهاية الاجتماع ، طلبت من الرفاق اليهود ان يخبرونني دوما عن مواعيد اجتماعاتهم ، وأن يمدونني بكافة نشراتهم . وعندما بدأت الاجتماع بالرفاق اليهود كنت أعتقد نفسي قد اصبحت عضوا في الحزب الشيوعي ، وكم كانت مفاجاتي كبيرة عندما طلبوا مني، في كانون الثاني ١٩٢٦ ، أن اتقدم بطلب رسمي للانتساب الى صفوف الحزب» (٥٩).

الشعور بالمعاناة نتيجة الاستثمار الرأسمالي والاضطهاد القومي ، وتملك الوعي الثوري بفضل الاحداث الثورية الجارية في تركيا ومصر والعراق ، وخاصة في روسيا ، والتصميم على خوض النضال في سبيل تحسين الاوضاع المزرية ، والتعرف على « الرفاق اليهود » ، تلك كانت مراحل العملية التاريخية التي قطعها العامل العربي ليتحول الى مناضل شيوعي . وهكذا بدأ العمال العرب ينتسبون الى صفوف الحزب الشيوعي في فلسطين ، ويشعرون ، شيئا فشيئا ، بأهمية الشعارات التي كان يرفعها رفاقهم اليهود .

ويؤكد احد الشيوعيين العرب القدامى ، من عمال سكك الحديد ، بأن الحزب الشيوعي قد استطاع ، في تلك الفترة ، تنظيم عدد من عمال سكك الحديد ، الذين ساهموا في تأسيس نقابة للعمال العرب العاملين في هذا القطاع (٦٠) .

كما يذكر محمود الاطرش بأن الحزب الشيوعي في فلسطين قد استطاع ، خلال عامي ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ تنظيم عدد من العمال العرب العاملين في قطاع البناء ، وفي المرفأ، وفي المخابز ، ، ومنهم عثمان زعرور ، الملقب بأبي طبيخ ، وحسن الفران ، ورضوان الحلو ، وسعيد الجيش ، وعبد الله خميس ٠٠٠ » (٦١) .

ويؤكد الاطرش بأنه كان بامكان الحزب

---

٥٩ ـ المصدر السابق .

٦٠ ـ أورده م. أوفينبرغ ، المصدر المذكور ، ص ٣٤٦ .
(مقابلة مع بولس فرح ، حيفا في ٢٥ ـ ١٢ ـ ١٩٧١) .

٦١ ـ المقابلة الاولى مع محمود الاطرش .

Digitized by Birzeit University Library

استقطاب وتنظيم أعداد كبيرة من العمال العرب « لو لم يتخذ بعض الرفاق اليهود موقفا مائعا من قضية الهجرة اليهودية الى فلسطين ، حيث كانوا يعتقدون بأن مجيء ديمقراطيين يهود الى فلسطين سيساعد الحزب في نضاله ضد الاقطاعيين العرب » (٦٢) ٠

كان تعاظم نفوذ الحزب في اوساط العمال العرب يترافق مع تزايد اصدار وتوزيع المنشورات الثورية التي صارت تكتب وتطبع مباشرة باللغة العربية ، خاصة وان التراجم التي كانت تنقل عن اللغة اليديشية كانت سيئة عموما (٦٣) ٠ كما كان الحزب يقوم بتوزيع المجلات والجرائد العربية التي كان يصدرها الشيوعيون في البلدان العربية المجاورة ، وخاصة جريدة « الحساب » التي كانت تصدر عن الحزب الشيوعي المصري (٦٤) ٠

وكان الشيوعيون الفلسطينيون حذرين في ممارسة دعايتهم بين العرب ، وكانوا يتجنبون أحيانا نشر العقائد البلشفية بصورة مباشرة ، ويحاولون استخدام الامكانيات العلنية التي كانت توفرها لهم بعض الصحف القومية العربية ، وذلك على أمل الوصول الى أوسع قطاعات الجماهير العربية ٠ ففي أسرة تحرير جريدة « فلسطين » ، كان يعمل مثلا عضوان بارزان في صفوف الحزب الشيوعي هما « رفيق جبور » ، و « عبد الغني الكرمي » ٠ وتعترف الاستخبارات البريطانية في احد تقاريرها بأن الحزب قد اصبح له بعض النفوذ في أوساط الصحفيين العرب ، الذين أصبحو « يتجاوبون مع النقاشات الدائرة حول قضايا العمل ، والفلاحين ، والاشتراكية ٠ أي مع القضايا الحديثة التي لا يمكن ان يستوعبها الصحفي الفلسطيني العادي ، الذي لا يملك أية معرفة في مجال الاقتصاد السياسي ، ولا يفهم شيئا كثيرا عن الصراع الطبقي » (٦٥) ٠

كان الحزب الشيوعي في فلسطين ، خلال سنوات العشرينات ، يقوم على قاعدة الخلايا المختلطة العربية ـ اليهودية ، ولكن كافة مواقع المسؤولية كانت في أيدي العناصر اليهودية ٠ ومع تزايد انتساب العرب الى صفوف الحزب ، وبهدف انجاز مهمة « التعريب » ، سعت قيادة الحزب في سبيل اعداد كادر عربي قادر على المساهمة في قيادة النشاط الشيوعي في البلاد ، وقررت اعتبارا من عامي ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ ، ارسال مجموعات من الشيوعيين العرب الى موسكو لاعدادهم في جامعة كادحي شعوب الشرق (٦٦) ٠

---

٦٢ ـ **المصدر السابق** ٠

٦٣ ـ انظر م٠ اوفينبرغ ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٥١ ٠

٦٤ ـ المقابلة الاولى مع **محمود الاطرش** ٠

٦٥ ـ أورده م٠ افينبرغ ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٥٢ ٠

٦٦ ـ يرجع تأسيس هذه الجامعة الى نهاية عام ١٩٢٠ ، حين قرر « **مجلس العمل** والدعاية » ، الذي انشيء في اعقاب انتهاء المؤتمر الاول لشعوب الشرق المنعقد في باكو، تنظيم دورات دراسية لمدة ستة اسابيع . كان يطلق عليها اسم « دورات صداميه » ، هدفها اعداد شيوعيي الاحزاب العاملة في الشرق في مجالات الاقتصاد السياسي ، والتاريخ ، والفلسفة الماركسية ، والادارة الاشتراكية السوفياتية ٠ وبهدف تطوير هذه « الدورات الصدامية » التعليمية ، قررت اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا عشية

Digitized by Birzeit University Library

« وكان « نجاتي صدقي » و « زيد » الرفيق اليهودي العربي في عداد الدفعة الاولى من الرفاق الذين أرسلوا الى هذه الجامعة » (٦٧) ·

وفي شهر آب ١٩٢٧ ، أرسلت قيادة الحزب الى موسكو الدفعة الثانية من الرفاق. وفي هذه المرة ، كان عدد الموفدين العرب أكبر من عدد رفاقهم اليهود . وكان بينهم « محمود الاطرش » ، و « عثمان زعرور » ، و « أحمد السيد » ، و « نعمان البخاري » ، و « خالد المسلخاوي » ، و علي جبياوي » ، و « يوسف خلف » (٦٨) ·

كان الشيوعيون العرب يشعرون أكثر من رفاقهم اليهود بالحاجة الماسة والعاجلة لانجاز « تعريب » الحزب · وقد شاركت المجموعات العربية التي أوفدت الى جامعة كادحي الشرق في النقاشات الدائرة حول هذا الشعار ، بل أنها قد ساهمت مساهمة فعالة في اغناء مضمون هذه النقاشات التي كانت تدور آنذاك في صفوف الحزب ·

« عندما كنا في فلسطين ـ ذكر محمود الاطرش ـ لم تكن مسالة التعريب واضحة لنا تماما . وكنا نعتقد بأن انجاز هذا الشعار ضروري لاننا كنا نتواجد في بلد عربي · وخلال فترة اقامتنا في موسكو ، تمكنا من تجاوز هذا المفهوم المبسط لشعار التعريب ، خاصة بعد ان اطلعنا على منا كتبه لينين وستالين حول المسالة القومية والكولونيالية · وهكذا توصلنا الى القناعة بأن انجاز تعريب الحزب هو ضروري ليس فقط لان غالبية سكان فلسطين تتشكل من العرب ، ولكن خصوصا لان المرحلة الاولى من مراحل النضال الدائر في فلسطين آنذاك هي مرحلة الثورة الوطنية التحررية التي لا يمكن ان تخوضها سوى الجماهير العربية · وينبغي على الحزب الشيوعي ان يقوم بتعريب صفوفه ، اذا كان يطمح حقا الى انتزاع قيادة هذا النضال ، في سبيل التحرر الوطني ، من أيدي البرجوازية · فالجماهير العربية في فلسطين ، ليست ماركسية ولا لينينية ، ولا يمكنها تسليم زمام قيادة نضالها الى « حاييم » أو

انعقاد المؤتمر العالمي الثالث للاممية الشيوعية في عام ١٩٢١ ، انشاء الجامعة الشيوعية لشعوب الشرق والحقتها بمفوضية القوميات ·

كان البرنامج التعليمي في الجامعة يتضمن قسمين : نظري وعملي · وكانت الجامعة تنقسم الى جناحين : داخلي ، بالنسبة للقوميات الآسيوية المتواجدة في اطار روسيا السوفياتية ، وخارجي ، بالنسبة لاصينيين والهنود والايرانيين والعرب ·

لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

ـ م · بافلوفيتش : « جامعة شيوعية لطبقات الشرق الكادحة » ، في موسكو ، **جريدة المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية** ، ٢٢ حزيران ١٩٢١ ، ص ٧ ·

ـ م · بروبغو (M. Broygo) : « الجامعة الشيوعية لشعوب الشرق » ، في **المراسلات الصحفية الاممية** ، رقم ٧٠ ، ١٩٢٢ ، ص ٥٤٢ ،

ـ ب · لازيتش (B. Lazitch) : « **مدارس الكومنترن الخاصة بالكوادر · مساهمة في دراسة تاريخها** » ، في مساهمات في دراسة تاريخ الكومنترن ، تحت اشراف جاك فريمون ، مكتبة دروز ، جنيف ، ١٩٦٥ ص ٢٣٣ ـ ص ٢٥٧ ·

٦٧ ـ المقابلة الاولى مع **محمود الاطرش** ·

٦٨ ـ **المصدر ذاته** ·

Digitized by Birzeit University Library

« اسحاق » ، ولكن فقط الى « زيد » و « خالد » و « عمر » ، اي الى المناضلين الذين يخرجون من بين صفوفها ، ويعانون من نفس النير الذي تعاني منه » (٦٩) .

كانت قيادة الحزب في فلسطين تتابع باهتمام بالغ تطور تجارب ومعارف الوفدين العرب ، الى جامعة كادحي الشرق ، على الصعيدين السياسي والنظري . ويبدو بان بعض قادة الحزب ، كأبي زياد ، كانوا يتخوفون من احتمال انتقال مواقع المسؤوليه داخل الحزب الى ايدي الكوادر العربيه التي كان يجري اعدادها في موسكو .

ويذكر محمود الاطرش ، بهذا الخصوص، بأن أبا زياد كان يتردد باستمرار على الجامعة خلال زياراته العديدة الى مدينة موسكو ، وانه قد يكون ساهم شخصيا في المناورات التي كانت ترمي الى ادخال بعض التعديلات على البرنامج التعليمي ، وذلك بهدف تخفيض مستوى الدراسة في جامعة كادحي الشرق . ويتساءل محمود الاطرش « هل كان أبو زياد ، الذي لم يكن يزيد بحماس شعار التعريب ويدعي دوما بأن هذا الشعار قد فرضته قيادة الاممية ، هل كان يريد عرقلة عملية اعداد كوادر عربية قادرة على تسلم زمام قيادة الحزب ؟ » ، ويجيب : « نعم ، انني أعتقد ذلك ، بكل صراحة » (٧٠) .

ولكن هل كان بمقدور سكرتير الحزب الشيوعي في فلسطين ممارسة تأثير مباشر على دوائر الاممية الشيوعية وعلى ادارة جامعة كادحي شعوب الشرق ؟ ... هنا ، يفند محمود الاطرش « ادعاءات » محمد دويدار ، العارية تماما من الصحة » ، والتي تبالغ كثيرا في مقدار النفوذ الحقيقي الذي كان يتمتع به ابو زياد في موسكو (٧١). كما يفند محمود الاطرش ادعاءات « م . دويدار » بأن جميع الموظفين والمترجمين والمسؤولين ، الذين كانوا يعملون في القسم العربي التابع لجامعة كادحي الشرق ، كانوا من اليهود ، ويقول : « خلال فترة اقامتي في موسكو ، كان المدرسون والموظفون والمفوضون السياسيون في الجامعة من السوفييت ، ولم يكن هناك في القسم العربي سوى ثلاثة مترجمين هم : ناصيف التونسي، ومحي الدين الجزائري ، والدكتور حسونة المصري » (٧٢) .

ثالثا : الحزب الشيوعي والحركة القومية العربية في فلسطين :

طالبت اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية قيادة الحزب الشيوعي في فلسطين بتقديم كافة أنواع الدعم الممكنة للحركة القومية العربية في نضالها ضد الاحتلال الانكليزي – الصهيوني . وبالفعل ، اعتبارا من عام ١٩٢٤ ، بدأ الحزب الشيوعي في فلسطين سعيه في سبيل وضع توصية قيادة الاممية موضع التنفيذ . فكلفت قيادة الحزب ، أحد كوادرها البارزين « ناحمان ليست » ، باعداد تقرير اسبوعي عن تطور الاوضاع داخل الحركة القومية العربية . وكان يساعد « ليست » في تنفيذ هذه المهمة صحافي عربي مقرب من أوساط اللجنة التنفيذية العربية ، ويهودي من بيروت كان

---

٦٩ – المصدر ذاته .

٧٠ – المصدر ذاته .

٧١ – بخصوص ما يذكره محمد دويدار ، انظر : رفعت السعيد : **اليسار المصري والقضية الفلسطينية** ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٤ ص ٢٨ – ص ٢٩ .

٧٢ – المقابلة الاولى مع **محمود الاطرش** .

Digitized by Birzeit University Library

يعمل في ادارة بلدية القدس (٧٣) . ويؤكد جوزيف برغر بان قيادة الحزب حرصت على اطلاع واسع على اوضاع الحركة القومية العربية ، وان أعضاء السكرتارية كانوا مدعوين لتعلم اللغة العربية ، مع ان محادثاتهم مع زعماء الحركة القومية العربية كانت تدور باللغتين الانكليزية والفرنسية (٧٤) . كما يذكر بأن الحزب كان يأمل في تعزيز تعاونه مع الحركة القومية العربية ، ليس فقط لانه تسلم توجيهات بهذا الخصوص ، وانما ايضا لانه كان يعتقد بان هذا الطريق هو طريق انتصار الثورة في فلسطين (٧٥) .

كانت سياسة الحزب الشيوعي تجاه الحركة القومية العربية تتمحور حول تنفيذ المهام التالية التي حددتها له اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية .

١ ـ ينبغي على الحزب ان يسعى في سبيل دفع عملية التمايز الجارية داخل المعسكر القومي العربي ، وذلك على حساب « العناصر الاقطاعية » .

٢ ـ ينبغي على الحزب ان يساهم في تحريك جماهيرَ الفلاحين ، وان يسعى في سبيل تشكيل حزب فلاحي .

٣ ـ ينبغي على الحزب ان يبحث عن صيغ للتحالف مع البرجوازية المدينية ومع مجموعات المثقفين .

٤ ـ ينبغي على الحزب ان يشرح طبيعة تحالفه مع « مجموعات التحرر القومي » أمام الجماهير الشعبية (٧٦) .

كانت المهمة الأولى للحزب تتجسد في دفع وتسريع عملية التمايز الاجتماعي الجارية داخل الحركة القومية العربية . ولقد كانت قيادة الحزب على قناعة أكيدة، بان هذه الحركة « تحمل في داخلها بذور التناقضات الطبقية بين مختلف الطبقات ، وذلك على الرغم من مظهرها الموحد»(٧٧). فالحركة القومية العربية لم تكن تمثل في نظر قيادة الحزب حركة متجانسة « لا على صعيد تركيبها الاجتماعي ، ولا على صعيد اساليب النضال المستعملة من قبل مختلف الطبقات الاجتماعية التي تساهم فيها ، أي : (طبقة) السادة الاقطاعيين ، وبرجوازية المدن ، و (طبقة) الفلاحين والبروليتاريا الصناعيه » (٧٨) . وكان ينبغي على الحزب الشيوعي أن يدعم ، قبل كل شيء ، المجموعات المتقدمة من برجوازية المدن التي كانت تسعى في سبيل « انتزاع قيادة الحركة القومية من أيدي العناصر الاقطاعية ، وكانت تظهر تعاطفها ليس فقط مع « البطل القومي » التركي ، مصطفى كمال ، ومع تركيا الجديدة ، وانما ايضا مع روسيا السوفياتية » (٧٩) . وينبغي على الحزب الشيوعي ، بعد ذلك ، ان يبذل كافة جهوده في سبيل تعزيز عمله بين صفوف البروليتاريا العربية « الطبقة الاكثر ثورية » داخل

---

٧٣ ـ انظر م . اوفينبرغ ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٥٤ .

٧٤ ـ **المصدر السابق** . (مقابلة مع برغر أجراها اوفينبرغ في ٣٠ ـ ١٢ ـ ٧١) .

٧٥ ـ **المصدر ذاته** .

٧٦ ـ انظر اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية : « قرار حول مسألة العمل في فلسطين » (أقر في ٩ أيار ١٩٢٥) ، أورده اوفينبرغ ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٥٤ .

٧٧ ـ انظر ج . ب : « الحركة القومية العربية » ، المراسلات الصحفية الاممية ، رقم ٢٩، ٤ حزيران ١٩٢٤ ، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

٧٨ ـ **المصدر ذاته** .

٧٩ ـ **المصدر ذاته** .

Digitized by Birzeit University Library

المعسكر القومي ، وان يسعى في سبيل دفع « العناصر البروليتارية لتتفصل بدورها (٠٠٠) ، وتنجز بالتالي عملية انتمائها للشيوعية » ٠ ففي تلك اللحظة التاريخية المحددة فقط ، سيتخذ النضال المعادي للامبريالية اشكالا ثورية حقيقية ، قادرة على تأمين انتصاره السريع » (٨٠) ٠

دخلت قيادة الحزب الشيوعي في فلسطين، وبناءا على توصيات اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية ، في مفاوضات مباشرة مع زعماء الحركة القومية العربية ، وبحثت معهم امكانيات اقامة جبهة متحدة معادية للامبريالية ، تكون قادرة على تنسيق جهود كافة القوى المعادية للامبريالية والصهيونية في فلسطين ٠ ويذكر محمود الاطرش بأنه ثم تنظيم عدة لقاءات بين قادة الحزب وأعضاء اللجنة التنفيذية العربية ، وذلك اعتبارا من بداية العام ١٩٢٥ ٠ « انني لا زلت أذكر – يقول م٠ الاطرش – بأن جمال الحسيني قد استقبل في منزله ، بمدينة أريحا ، وفدا عن قيادة الحزب الشيوعي ، وذلك لمناقشة امكانيات تنظيم أعمال مشتركة خلال الزيارة التي كان من المقرر أن يقوم بها اللورد بلفور الى فلسطين في عام ١٩٢٥ » (٨١) ٠ ويؤكد جوزيف برغر هذه المعلومات ، ويقول : « كان لنا اتصالات مع ارفع زعماء الحركة العربية ، مع جمال الحسيني ، ومع الصحافة العربية (٠٠٠) ٠ وكانت تدور المحادثات بيننا بانتظام ، حيث كنا نعتبر انفسنا انداك حلفاء للحركة القومية العربية (٠٠٠) ، وكانت مجموعة من الزعماء ، وخاصة الحسيني ، تتفق معنا على ذلك ٠٠ » (٨٢) ٠ ويشير ج برغر في مكان آخر ، الى أن الحزب الشيوعي في فلسطين ، وبناءا على توصيات الاممية الشيوعية ، قد وعد ، قادة الحركة القومية العربية بتقديم مساعدة مالية وتنظيمية لهم، وذلك بهدف تعزيز مواقع حركتهم » ، وان الحزب قد سلم « جمال الحسيني ، الساعد الايمن لمفتي القدس،عدة الاف من الجنيهات وذلك خلال ثلاثة أعوام » (٨٣) ٠

ومع أن الحزب الشيوعي قد نجح ، في تلك الفترة ، في تنظيم بعض النشاطات المشتركة مع زعماء الحركة القومية العربية، كما حدث خلال حملة الانتخابات البلدية في القدس في عام ١٩٢٤ ، أو خلال المظاهرات الاحتجاجية ضد زيارة اللورد بلفور الى فلسطين في عام ١٩٢٥ (٨٤) ، الا ان

---

٨٠ – المصدر ذاته ٠

٨١ – المقابلة الاولى مع محمود الاطرش ٠

٨٢ – أورده م ٠ اوفينبرغ ، المصدر المذكور ، ص ٣٥٥ ٠

٨٣ – أورده م ٠ غيلان (M. Ghilan) في كيف فقدت اسرائيل روحها ، منشورات (Penguin Books) ، انكلترا ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٤ ٠

٨٤ – لعب الحزب الشيوعي في فلسطين دورا مركزيا في تنظيم الاضرابات ومظاهرات الاحتجاج ، التي اندلعت في المدن الفلسطينية عشية وصول اللورد بلفور الى القدس ، في نيسان ١٩٢٥ ٠ وقد أصدرت اللجنة المركزية للحزب بيانا في هذه المناسبة ، دعت فيه العمال اليهود الى تعزيز نضالهم ضد المجموعات الصهيونية المتحالفة مع الامبريالية البريطانية ، كما حيت فيه استجابة العمال العرب لتنفيذ دعوة اللجنة التنفيذية العربية الى الاضراب العام ، وحذرتهم من مغبة الانصياع وراء الدعوات التي تدعو الجماهير

Digitized by Birzeit University Library

الحركة القومية لم تتجاوز أبدا حدود اتصالات التشاور وتبادل الآراء . وبقيت كافة النداءات التي اطلقها الشيوعيون لاقامة جبهة متحدة معادية للامبريالية في فلسطين ، دون اي جواب .

« فمع أن الطرفين (الحزب الشيوعي من جهة ، والحركة القومية من جهة اخرى) كانا مهتمين بتنسيق نشاطاتهما ، الا ان كل طرف منهما كان يبتغي ، في الواقع الملموس ، شيئا مختلفا عما يبتغيه الطرف الآخر . فمعاداة الامبريالية ، عند الحركة القومية، كانت ذات طابع نظري فقط (...). أما نحن ، فكانت معارضتنا المطلقة للامبريالية تنبع من مواقفنا الطبقية . غير انه كنا بحاجة لتملك تجربة طويلة وانتظار سنوات عديدة ، قبل ان نصل نهائيا الى القناعة بأن قيادة الحركة القومية العربية كانت تتعاون ، في الواقع ، مع الامبريالية البريطانية . لقد كان الحزب الشيوعي يعتقد (آنذاك) بأن خوض النضال المعادي للامبريالية وطرد الانكليز من فلسطين هو من مهام الجماهير الشعبية العريضة من الفلاحين والعمال ، وأنه كان من الطبيعي أن نسعى في سبيل دفع الجماهير الشعبية للنضال ، وذلك بالاتفاق مع الحركة القومية . أما الزعماء العرب ، الذين كانوا في غالبيتهم من ملاك الاراضي ومن أصحاب الاعمال المختلفة ، فقد كانوا يفسرون هذه القضايا بصورة مختلفة تماما عنا ، وذلك بحكم مواقفهم الطبقية الخاصة ، ومن أجل ضمان مصالحهم . لقد كانت ارتباطاتهم العضوية مع المصالح الطبقية ، الممتدة الى العلاقات التجارية مع بريطانية ، تمنعهم من تنظيم النضال الشعبي بصورة مشتركة معنا ... » (٨٥) . كانت اللقاءات التي تتم بين قيادة الحزب الشيوعي وبين بعض زعماء الحركة القومية العربية تنظم بصورة سرية تماما ولا يجري الاعلان عنها أبدا ، وكان الحزب حريصا ، في أدبياته وبياناته، على ان لا يظهر نفسه متضامنا كليا مع زعماء الحركة القومية العربية .

كان الشيوعيون مقتنعين تماما بضرورة التعاون مع الحركة القومية العربية في النضال المعادي للامبريالية والصهيونية ، وقد توصلوا ، بعد سلسلة طويلة من التجارب ، الى القناعة الراسخة بأن تعزيز طابع الحركة القومية العربية المعادي للامبريالية لن يتم الا اذا حدث تغير في طبيعة تركيبة قيادتها . وعلى هذا الاساس، بدأ الحزب الشيوعي تنديده بضعف وجبانة قيادة الحركة القومية وعجزها عن مجابهة مناورات الامبريالية البريطانية ، ودعا ،

العربية الى تنظيم « المذابح » ضد اليهود ، وذلك بهدف حرف نضالهم عن محاربة الامبريالية .

لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

ج . ب (القدس) : « اللورد بلفور في فلسطين » ، في **المراسلات الصحفية الاممية** ، رقم ٤٦ ، ٢٩ نيسان ١٩٢٥ ، ص ٣٦٦ .

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في فلسطين : « ضد الاحتلال البريطاني = الصهيوني في فلسطين » ، في **المراسلات الصحفية الاممية** ، رقم ٣٣ ، ٢٩ نيسان ١٩٢٥ ، ص ٣٣٦ . (الطبعة الانكليزية) . انظر كذلك : سليمان بشير ، **المصدر المذكور** ، ص ١٧٩

٨٥ ـ أورده م . اوفينبرغ نقلا عن جوزيف برغر . انظر : م . اوفينبرغ ، **المصدر المذكور**، ص ٣٥٧ ـ ص ٣٥٨ .

Digitized by Birzeit University Library

اعتبارا من أواسط العام ١٩٢٦ ، الى اقامة مجموعة ديمقراطية يسارية عربية ، تكون قادرة على تسلم زمام قيادة الحركة القومية العربية من أيدي العناصر الاقطاعية (٨٦) . وبهدف اقامة مثل هذه المجموعة الديمقراطية اليسارية ، دخل ممثلو الحزب الشيوعي في مفاوضات مع « حمدي الحسيني » ، الذي كان يعتبر من أبرز ممثلي الاتجاه اليساري ويقول « ناحمان ليست ، بهذا الخصوص :

« لقد كان (حمدي الحسيني) يتوافق مع شكل القائد القومي التقدمي . فلقد كان معاديا للامبريالية ، ولم يكن معاديا لليهود. وكان يفرق بين المواطنين اليهود وبين الصهيونية ، ويعترف بضرورة التعاون مع العمال اليهود في النضال من أجل تحسين الاوضاع المعيشية لجماهير العمال العرب . وكان متفقا مع هدف الحزب الرامي الى العمل في سبيل تنظيم الحركة القومية على قاعدة التعاون مع الحركة العمالية العالمية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي . لقد قابلت « حمدي الحسيني » عدة مرات وفي ظروف متعددة ، ولقد ترك عندي دوما انطباعا حسنا . لقد كان مثقفا وجديا .. » (٨٧) .

ولقد أكد الحزب الشيوعي ، مرارا ، على ضرورة اجراء تغيير في طبيعة تركيب قيادة الحركة القومية العربية ، ودعا في البيان الذي أصدره بمناسبة الذكرى الثالثة لوفاة لينين ، في كانون ثاني ١٩٢٧ ، الى « صياغة مجددة للحركة الوطنية ، وسلخها عن قيادة العناصر الاقطاعية لهما ودفع الجماهير العريضة في فلكها . الامر الذي من الممكن القيام به بعد تحويلها الى حركة ديمقراطيه ثورية ، وتركيز جل قوتها في معركة المواجهة مع الاستعمار » (٨٨) .

غير أن الجهود الرامية الى اقامة مجموعة ديمقراطية ثورية داخل الحركة القومية العربيه لم تتكلل بالنجاح في تلك الفترة ، وبقيت قيادة الحركة في أيدي العناصر شبه الاقطاعية . ومع ذلك ، فان التقرير المنشور عام ١٩٢٨ ، حول نشاطات فروع الاممية الشيوعية بين المؤتمرين العالميين الخامس والسادس ، يشير الى أنه : « اذا كانت العناصر الاقطاعية والبرجوازية التجارية (في فلسطين) تنفصل أكثر فأكثر عن مجموع الحركة القومية وتتفاهم مع الامبريالية ، فان العناصر اليسارية والراديكالية من المثقفين ومن البرجوازية الصغيرة الوطنية ، قد بدأت تسعى في سبيل اقامة جناح ديمقراطي راديكالي داخل الحركة (القومية) ، وتسعى للتقارب مع منظمات البروليتارية الطبقية » (٨٩) .

أثار الانعطاف الحاصل في توجه الحزب الشيوعي تجاه قيادة الحركة القومية العربية بعض الخلافات داخله . ففي تلك الفترة (١٩٢٧ ـ ١٩٢٨) ، ظهرت بين صفوفه أقلية متطرفة ، أطلقت على نفسها اسم « مجلس العمال اليهود » ، حاولت تفسير شعار الجبهة المتحدة المعادية للامبريالية في فلسطين ، على أنه يعني عمليا التطابق التام

٨٦ ـ انظر : الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي في فلسطين : « قرار حول الوضع السياسي » ، في **المراسلات الصحفية الاممية** ، رقم ١٠٧ ، ٢ تشرين اول ١٩٢٦ ، ص ١١٨٣ ـ ص ١١٨٤ .

٨٧ ـ أورده م. اوفينبرغ . **المصدر المذكور** ، ص ٣٥٦ ـ ص ٣٥٧ .

٨٨ ـ اورده سليمان بشير ، **المصدر المذكور** ، ص ١٧٧ .

٨٩ ـ انظر : « تقرير عن فلسطين » . في نشاط الاممية الشيوعية بين المؤتمرين الخامس والسادس ، **المصدر المذكور** ، ص ٥٢٣ .

Digitized by Birzeit University Library

بين سياسة الحزب الشيوعي وبين مطالب قيادة الحركة القومية العربية وتوجهاتها .

وقد عارضت هذه الاقلية سياسة الحزب الشيوعي الجديدة تجاه الحركة القومية العربية ، تلك السياسة التي كانت تدعو الى التعاون الجبهوي مع « العناصر التقدمية » فقط داخل الحركة القومية ، وترفض التعاون مع الزعماء التقليديين العرب « الذين يدعون بانهم يناضلون ضد الصهيونية . ولكنهم في الواقع يبيعون اراضيهم الى الصهاينة » (٩٠) . وقد طالبت أقلية « مجلس العمال اليهود » الحزب الشيوعي بتقديم دعمه غير المشروط الى قيادة الحركة القومية العربية ، ودعت العمال اليهود الواعين الى مغادرة فلسطين « لان وطن اليهودي هو حيث يولد » (٩١) . ويعتقد بأن قيادة الحزب قد احتكمت الى اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية لتحسم في الخلاف الذي نشب بينها وبين أقلية المجلس. ويظن بأن اللجنة التنفيذية للاممية قد وقفت آنذاك الى جانب قيادة الحزب ، ودعمت مواقفها وتوجهاتها الجديدة تجاه قيادة الحركة القومية العربية في فلسطين .

ومع ذلك ، فقد استمر ، على صعيد الواقع ، تعاون الحزب الشيوعي مع قيادة الحركة القومية العربية في النضال المشترك المعادي للصهيونية . وهذا ما ظهر ، بشكل ملموس ، خلال اجتماع المجلس التنفيذي لـ « عصبة معاداة الامبريالية » ، الذي انعقد في مدينة « بروكسل » في كانون أول ١٩٢٧ .

مثلت « عصبة معاداة الامبريالية » ، التي تأسست في شباط ١٩٢٧ في «بروكسل» اطارا ملائما لتنظيم الاتصالات والتعاون بين الحركات القومية في المستعمرات وبين الاحزاب الشيوعية والقوى الاشتراكية الديمقراطية اليسارية . وفي المؤتمر التاسيسي لهذه العصبة تمثلت فلسطين بوفدين : وفد المؤتمر القومي العربي وكان على راسه « جمال الحسيني » ، ووفد البوعالي تسيون «اليساري» . وقد استطاع ممثل البوعالي تسيون ، يدعم من بعض الشيوعيين البريطانيين ، أن ينجح في اصدار قرار يقضي باقصاء «جمال الحسيني» عن أعمال هذا المؤتمر ، وذلك بحجة أنه « كان يمثل القوى الاقطاعية الرجعية في الشرق الاوسط » (٩٢) . وفي الاجتماع الموسع لمجلس « العصبة » ، الذي انعقد في « بروكسل » في كانون أول ١٩٢٧ ، حاول ممثل البوعالي تسيون شن هجوم جديد على الحركة القومية العربية في فلسطين ، واتهمها « بالالتقاء مع الامبريالية البريطانية في الصراع ضد الصهيونية وضد الوجود الصهيوني السلمي في فلسطين » (كذا !!) . وقد رد ممثل حركة القومية العربية في سوريا « شكيب أرسلان » على هذه الادعاءات . وطالب ممثل القسم اليهودي التابع للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي مجلس العصبة بأن يتخذ موقفا واضحا من قضية البوعالي تسيون وان يختار واحدة من الحكرتين : العربية أو اليهودية . وخلال النقاشات التي دارت حول هذا الموضوع ، دعم وفد الاممية الشيوعية مواقف الحركة القومية العربية وطالب بطرد وفد البوعالي تسيون من اجتماعات المجلس. وقد تم تكليف سكرتير الحزب الشيوعي في فلسطين « وولف اوبرياخ » بالرد ، باسم الاممية الشيوعية ، على ادعاءات ممثل

---

٩٠ ـ انظر : أ. غريلسامر . الشيوعيون الاسرائيليون. **المصدر المذكور** ، ص ٤٩ ـ ٥٠.

٩١ ـ **المصدر السابق** .

٩٢ ـ انظر : هين توف، الكومنترن والصهيونية في فلسطين، **المصدر المذكور**، ص ٤٧ـ٤٨

Digitized by Birzeit University Library

البوعالي تسيون وتفنيدها (٩٣) .

وبالفعل ، قام « أبو زيام » بتقديم توصية تقضي بطرد وفد البوعالي تسيون من اجتماع المجلس ، واتهمه بأنه « يتستر تحت غطاء ثوري ويدعي بانه يدعم الشغيلة . ولكنه في الحقيقة يحصل على دعم البرجوازية اليهودية والامبريالية البريطانية » . كما اقترح « أبو زيام » مشروعا لقرار يدين الصهيونية . ويصفها بأنها تتحول الى « أداة في ايدي الامبريالية البريطانية ، والى مصدر من مصادر تفجير الصراع العنصري ، وبذر بذور التعصب في البلاد (٠٠٠) ، وأنها تمثل خطرا جديا لانها تتستر خلف واجهة انسانية » (٩٤) . وقد استنكر ممثل حزب البوعالي تسيون Eren أقوال سكرتير الحزب الشيوعي في فلسطين ، واتهمه « بمعاداة السامية » ، معتبرا مشروع القرار الذي يقترحه بمثابة « مبادرة موجهة ضد العمال اليهود يقف وراءها الافندية الرجعيون والمعادون للسامية » (٩٥) . وبعد مشاورات طويلة أجراها ممثلو مختلف الاحزاب والحركات المساهمة في اعمال المجلس ، تقرر فصل البوعالي تسيون من عضوية « عصبة معاداة الامبريالية » ، وقد صوت ممثل الحزب الشيوعي في فلسطين لصالح هذا القرار الى جانب ممثلي الحركات القومية العربية في فلسطين ومصر وسوريا . ولعب « أبو زيام » آنذاك دورا هاما في تأكيد الطابع المعادي للامبريالية للحركة القومية العربية أمام ممثلي مختلف الحركات التقدمية والديمقراطية في العالم .

كانت المهمة الرئيسية الثانية للحزب الشيوعي تجاه الحركة القومية العربية تتجسد في دفع وتطوير نضالات الفلاحين العرب . والسعي في سبيل اقامة « حزب فلاحي » في فلسطين . من البداية ، ومن اجل انجاز هذه المهمة ، سعى الحزب في سبيل مساعدة الفلاحين على ابداء مقاومة انشط واشد بؤسا أمام تنامي النشاط الصهيوني الرامي الى اقامة المستوطنات اليهودية . فكان مناضلو الحزب يجوبون القرى والمزارع العربية ، يوزعون النشرات والبيانات التي كانت تدعو جماهير الفلاحين للتصدي للمحاولات الرامية الى طردهم من أراضيهم . وكان الحزب يؤكد في أدبياته بأن توسع الاستيطان الصهيوني في فلسطين سيؤدي الى الحاق أفدح الاضرار بمصالح جماهير الفلاحين العرب . وقد لعب الشيوعيون آنذاك دورا هاما خلال الصدامات التي كانت تحدث بين المستوطنين الصهاينة وبين الفلاحين العرب ، وخاصة تلك الصدامات التي حدثت في منطقة العفولة في شهر تشرين ثاني ١٩٢٤ .

وقعت الاحداث الدموية في منطقة العفولة عندما هاجمت مجموعات من الفلاحين والبدو العرب مجموعة من المستوطنين اليهود الذين حاولوا طرد المواطنين العرب عن أراضيهم وذلك بمساعدة السلطات البريطانية . وقد وقع ، خلال هذه

---

٩٣ ـ المصدر ذاته .

٩٤ ـ المصدر ذاته .

٩٥ ـ المصدر ذاته . حاولنا التأكد من اسم مندوب الحركة الفلسطينية القومية العربية في مؤتمر العصبة ، وذلك بالرجوع الى المقالات التي ظهرت في الصحف الاممية الشيوعية، ولكننا لم نتمكن من ذلك . يساورنا الشك في صحة خبر اشتراك **جمال الحسيني** في اعمال هذا المؤتمر . قد يكون هين ـ توف يخلط بين اسمي **جمال الحسيني و حمدي الحسيني** ، خاصة وانه من المعروف بأن هذا الاخير كان يمثل فلسطين في مؤتمرات العصبة .

Digitized by Birzeit University Library

الصدامات عدد من الجرحى من بين الطرفين . واستطاعت القوات البريطانية أن تتدخل وأن تمنع انتقال هذه الصدامات الى أماكن أخرى . ويتفق الباحثون على أن الشيوعيين قد لعبوا دورا هاما خلال هذه الاحداث ، وأنهم كانوا يحرضون جماهير الفلاحين على مقاومة المستوطنين بالقوة (٩٦) .

ويؤكد جوزيف برغر ، في مقال له ، على أن الحزب الشيوعي كان يقف في ذلك الوقت على أبعاد المؤامرة ، التي تلعب البرجوازية اليهودية الصهيونية والملاكين العرب الكبار والاستعمار البريطاني من خلالها بمصير الجماهير العربية الكادحة ، . وأنه كان يدعو الى تآخي العمال اليهود والفلاحين العرب ، ويحث العمال اليهود على رفض المشاركة في عمليات طرد الفلاحين العرب عن الاراضي التي يمتلكونها بحق عملهم فيها (٩٧) .

استغلت الاحزاب الصهيونية أحداث العفولة ، وقامت بتنظيم حملة تحريضية ودعائية واسعة ضد اعضاء الحزب الشيوعي في فلسطين ، وحملتهم مسؤولية الدماء التي أريقت ، واتهمتهم بدعوة الفلاحين العرب الى محاربة المستوطنين اليهود . وقامت السلطات البريطانية على اثر هذه الحملة باعتقال (١٣) شيوعيا في مدينة يافا ، وأجبرتهم على مغادرة البلاد . ويذكر جوزيف برغر ، في مقال له بهذا الصدد ، بأنه « قامت ما تسمى بمجالس العمل التي تسيطر عليها أحدث معقودا وعمال صهيون باتخاذ قرار خاص بمقاطعة جميع العمال الذين يشتبه باتصالهم بمع الحزب الشيوعي . كما تقرر حرم الشيوعيين من خدمات مكاتب العمل ونوادي العمال واجتماعاتهم العامة .. » ، (٩٨) .

وفي محاولة للرد على حملة التشهير والافتراءات الصهيونية هذه ، أصدرت قيادة الحزب الشيوعي في فلسطين بيانا ، جاء فيه : « ان ما كنا نتوقعه قد وقع . فعملية بيع أراضي العفولة التي ابتدات في هدوء قد انتهت الى صدامات دامية . وحسب التقدير الاولي الرسمي ، سقط خلالها قتيل وعدة جرحى . ان البرجوازية اليهودية قد بللت يديها ، ومن جديد ، بدماء العمال اليهود والعرب . وهذه ليست هي المرة الاولى ، التي تحاول فيها الهستدروت استخدام (أجسام) العمال اليهود كوسيلة من اجل تحقيق أهدافها اللصوصية . وهكذا يتم انجاز عملية « بناء البلاد » (أي اقامة الوطن القومي اليهودي . م . ش) عن طريق التضحية بأرواح العمال اليهود والعرب (...) . أيها الرفاق !! ان الحزب الشيوعي في فلسطين هو الحزب الوحيد الذي كانت عنده الجرأة على استنكار الجرائم التي وقعت في منطقة العفولة . لقد دعونا ولا زلنا ندعو الى شن حرب معلنة على سياسة النهب التي تنتهجها الهستدروت الصهيونية » ، (٩٩) .

كان الدور الذي لعبه الحزب الشيوعي خلال صدامات العفولة ، مؤشرا على بداية توجهه الجدي باتجاه الجماهير الكادحة

---

٩٦ ـ انظر بهذا الخصوص : أ. غريلسامر ، الشيوعيون الاسرائيليون ، **المصدر المذكور**، ص ٣٦ ـ ص ٣٨ ، وكذلك سليمان بشير ، **المصدر المذكور** ، ص ١٦٤ ـ ص ١٦٧ .

٩٧ ـ أورده سليمان بشير ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

٩٨ ـ **المصدر ذاته** ، ص ١٦٧ .

٩٩ ـ اورده أ. غريلسامر ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٧ .

Digitized by Birzeit University Library

العربية . وقد ساعده ذلك على زيادة نفوذه بين العرب . وساهم بالتالي في زيادة عزلته بين اوساط العمال اليهود . وقد حيا المكتب الشرقي التابع للجنة التنفيذية للاممية الشيوعيه مواقف الحزب الشيوعي في فلسطين خلال هذه الاحداث . واصدر بهذه المناسبه بيانا موجها « الى عمال جميع البلدان » . حمل فيه « الاستعماريين البريطانيين والصهاينة مسؤوليه دماء الفلاحين العرب والمستوطنين اليهود . التي اريقت خلال (هذه) المعركة من اجل الارض » (١٠٠) .

خلال سنوات العشرينات . وقعت في فلسطين عدة احداث مشابهة للصدامات التي وقعت في « وادي الحوارث » . وقد لعب الشيوعيون . في ذلك الوقت أيضا . دورا فعالا في حث جماهير الفلاحين العرب على التصدي بالقوة لمجموعات المستوطنين الصهاينة . الذين حاولوا طرد الفلاحين والرعاة العرب عن الاراضي الشاسعة التي اشتروها من بعض الوجهاء العرب بمساعدة الصندوق القومي اليهودي .

غير أن جميع الجهود التي بذلها الشيوعيون في سبيل دفع الفلاحين الى تشكيل « حزب فلاحي » . لم تثمر عن أية نتيجة على صعيد الواقع . ومع ذلك ، فان « سليمان بشير » يشير الى أن الحزب الشيوعي قد نجح . على اثر احداث العفولة . في تنظيم مجموعات فلاحية عربية . أطلق عليها اسم مجموعات «الاعانة القروية» . كما يذكر بأن الحزب قد قام ، في مناسبات عديدة ، « بتوزيع البيانات التي تندد بالضرائب المجحفة والظلم الذي يتعرض له الفلاحون . كما وزعت بعض الكاريكاتورات التي تصور كيفية قيام البوليس بجمع الضرائب قسرا من الفلاحين (١٠١) .

بعض استنتاجات ختامية :

لقد اقتصرنا . في هذا البحث . على دراسة سياسة وتوجهات الحزب الشيوعي في فلسطين . ولم نتطرق لقضية مساهمة هذا الحزب في دفع وتطوير النشاطات الثورية في بلدان الشرق العربي المجاورة لفلسطين . فمن المعروف . بأن الحزب الشيوعي في فلسطين قد لعب دورا فعالا . ليس في تاسيس الحركات الشيوعية في لبنان وسوريا ومصر – كما يعتقد بعض الباحثين – وانما في دفع وتشجيع المحاولات المحلية التي جرت لتاسيس هذه الحركات وتامين صلاتها السياسية والتنظيمية مع مركز قيادة الاممية الشيوعية في موسكو . كما لعب في فلسطين دورا فعالا خلال بعض الاحداث الثورية التي وقعت في منطقة الشرق العربي ، وخصوصا خلال أحداث الثورة السورية . ولكننا رأينا بأنه سيكون من الانسب أن نتصدى لدراسة هذه الامور في بحث لاحق منفصل . يتم تخصيصه لدراسة هذا الموضوع بالتحديد .

كانت سياسة وتوجهات الحزب الشيوعي في فلسطين خلال المرحلة التاريخية المحددة التي تعرضنا لها (١٩٢٤ – ١٩٢٨) ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بخصوصية نشأة الحركة الشيوعية في فلسطين ، تلك الخصوصية التي كانت تميزها عن نشأة

---

١٠٠ – المكتب الشرقي للاممية الشيوعية : « ضد مساوىء نزعة التعصب القومي في فلسطين » ، **المراسلات الصحفية الاممية** ، رقم ١٥ ، ٢٨ شباط ١٩٢٥ .

١٠١ – انظر : سليمان بشير ، **المصدر المذكور** ، ص ١٧٠ .

Digitized by Birzeit University Library

معظم الحركات الشيوعية من البلدان المستعمرة ، حتى عن نشأة بقية الحركات الشيوعيه في بلدان الشرق العربي . فالحزب الشيوعي في فلسطين قد ولد كنتاج لانشقاق حصل في صفوف حركه عمالية ، كانت تعتبر نفسها جزءاً من الحركة الاشتراكية ـ الديمقراطيه العالمية ، ونعني بذلك الحركة العمالية الصهيونيه في فلسطين . فتجربة نشوء الحركة الشيوعيه في فلسطين كانت اقرب الى تجارب نشوء الحركات الشيوعية في بلدان أوروبا منها الى تجربة نشوء الحركات الشيوعية في البلدين المجاورين مصر ولبنان . فالحركة الشيوعية في هذين البلدين قد نشأت ـ اذا صح التعبير ـ كحركة شيوعية ثورية منذ البداية ، ولم تنشأ كنتاج لعملية انشقاق حصلت داخل حركة عمالية اشتراكية ـ ديمقراطية لم تكن موجودة اصلا .

ان انطلاقنا من هذه الخصوصية سيساعدنا كثيرا في فهم واستيعاب سياسة وتوجهات الحزب في تلك المرحلة التاريخية المحددة،وفي تلمس نقاط الضعف التي كانت تكمن في نشاطه ، وتفسير طبيعة الانحراف الذي وقعت به قيادته . وبمعنى آخر ، بامكاننا أن نقول بأن انطلاقنا من هذه الخصوصية قد يساعدنا على طرح الاستنتاجات الصائبة . كان لينين يؤكد باستمرار على ان الاحزاب الشيوعية العاملة في بلدان الشرق لن تنجح في تطبيق نظرية البروليتاريا العالمية الثورية ، الا اذا استطاعت التكيف مع الظروف الخاصة السائدة في هذه البلدان ، حيث « يؤلف الفلاحون الجمهور الرئيسي » ، وحيث « تطرح مهمه النضال لا ضد رأس المال ، بل ضد بقايا العصور الوسطى » . وقد دعا لينين الشيوعيين في الشرق الى تبني التعاليم الشيوعيه العامه والاستناد عليها ، في الميدانين النظري والعملي . ولكن على شرط ان يأخذوا دوما بعين الاعتبار حقيقة ان هذه التعاليم العامة ستطبق في ظل ظروف خاصة غير موجودة في البلدان الاوروبية » (١٠٢) .

لم تستوعب الاحزاب الشيوعية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة مدى أهمية هذه التوصية اللينينية . وطبقت الخط العام للحركة الشيوعية العالمية بصورة جامدة ، وفهمت الشعارات المركزية التي طرحتها هذه الحركة بشكل ميكانيكي ، ففشلت بالنتيجة فيانتهاج سياسات صائبة، ووقعت قياداتها في انحرافات انتهازية . والواقع ان « الخطر الاكبر في ذلك الوقت لم يكن الخطر الانتهازي اليميني ، بل الخطر « اليساري » الانعزالي . ففي سنوات العشرين ، شاعت في كثير من المستعمرات شعارات « يسارية » ، على اعتبار أن القضية الجوهرية هي الكفاح من أجل ديكتاتورية العمال .. ولم يفهم بعض الشيوعيين طبيعة المرحلة وأهمية دعم الكفاح المعادي للامبريالية من أجل التحرر القومي» (١٠٣).

كانت قيادة الحزب الشيوعي في فلسطين في عداد تلك القيادات الشيوعية ، في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة ، التي لم تتمكن من تكييف الشعارات العامة للحركة الشيوعية العالمية مع الظروف الخاصة

---

١٠٢ ـ انظر : لينين ، **المؤلفات الكاملة** ، الجزء ٣٠ ، ص ١٥٩ ـ ص ١٦٠ (الطبعة الفرنسية) .

١٠٣ ـ د. اميل توما : **ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية** ، القدس ، منشورات البيادر ، اذار ١٩٧٨ ، ص ٦٩ .

Digitized by Birzeit University Library

السائدة في بلدانها . وقد وقعت قيـــادة الحزب الفلسطيني في انحراف « النزعـــة العمالية » Ouvrierisme ، فاكدت ، بصورة رئيسية ، على اهمية المطالب الاجتماعية (التحرر الاجتماعي الطبقي) . وأرجعت الى المقام الثاني في اهتماماتهـــا المطالب القومية التحررية ، وذلك بالرغـــم من حقيقة أن فلسطين كانت تجابه ، في تلك المرحلة ، مهام الثورة الوطنية التحرريـــة وليس مهام الثورة الاجتماعية . وهكـــذا لم تستطع قيادة الحزب الشيوعي ان تتلمس مدى أهمية المسألة القومية العربية فـــي فلسطين ، ولم تستطع ان تقيم ، تقييمـــا صائبا ، الطاقات الثورية الهائلة التي كانت تكتنزها بين صفوفها ، جماهير الكادحيـــن العرب ، وخاصة جماهير الفلاحين . وقـــد ساعدت خصوصية نشأة الحركة الشيوعية على ظهور هذا الانحراف « اليساري » في صفوف الحزب .

فالحزب الشيوعي في فلسطين قد ولـــد «على النمط الاوروبي» ـ اذا صح التعبير ـ في اطار تجمع عمالي ، كنتاج لانشقاق حصل داخل حركة « اشتراكيـــة ـ ديمقراطيـــة » ، ذات مميزات خاصة، بين«يمين»و«يسار»،بين « اصلاح » و « ثورة » . وقـــد تشكلت قيادته من ثوريين مجربيـــن ، كانوا قـــد استطاعوا اكتساب تجربة غنية في مجـــال النشاط العمالي الثوري ، وامتلاك معارف واسعة في مجال النظرية الثورية ، وذلـــك قبل ان يصبحوا شيوعييـــن ، اي قبـــل أن ينسلخوا نهائيا عن الاتجاهات اليساريـــة داخل الحركة العمالية الصهيونية في بلدان أوروبا الشرقية ، وخاصة في روسيا .

كانت الارضية التي قام عليها الحـــزب الشيوعي في فلسطين مهيئـة اذن لبـروز انحراف « النزعة العمالية » « اليساري » . وقد تجسد هذا الانحراف ، بشكل خاص ، في توجيه نشاط الحزب ، بصورة رئيسية ، باتجاه التجمع الاستيطانـــي اليهودي في فلسطين ، حيث « تتواجـــد طبقة عاملـــة حقيقية ، واعية ومجربه » ، وحيث « تطرح مهام الثورة الاجتماعية الطبقية » . وقـــد اعتقدت قيادة الحزب بان ديناميكية الصـــراع الطبقي ستؤدي الى سلخ الطبقة العاملـــة اليهوديه في فلسطيـــن عن جسم الحركـــة الصهيونيه ، والى تصفية طابعها «القومي» كما اعتقدت بأن تحقيق التضامن الكفاحي الاخوي بين العمال اليهود والعرب ، فـــي معركتهما المشتركـــة ضـد الاستغـــلال الراسمالي الاستعماري ، كفيل بحل كافة معضلات المسألة القومية الكولونيالية فـــي « جبهة عمالية متحدة » مع المنظمات العمالية « الاصلاحية » الصهيونية ، ولمسألة ضمـــان الطابع الاممي الموحد للحركة النقابية فـــي البلاد .

كان التردد الذي أظهره بعض قياديـــي الحزب الشيوعي في فلسطين تجاه صعود الكوادر العربية الى قيادته ينبع ايضا من طبيعة ذلك الانحراف « اليساري » الـــذي طبع سياسة الحزب خلال العشرينـــات . فانطلاقا من القناعة بأن البروليتاريـــا اليهودية كانت « اكثر وعيا ومراسا » من البروليتاريا العربية ، وانطلاقا من الاعتقاد بأن العامل اليهودي هو وحده المؤهل ليكون « الجندي الرئيسي » في جيش الثـــورة الاجتماعية في فلسطين ، كانت قيادة الحزب ترى بأن الاشراف على العملية الثوريـــة وقيادتها يجب ان تبقى ، بصورة رئيسية ، في أيدي ممثلي البروليتاريا اليهوديـــة « الواعية والمجربة » ، لان العامل العربي ، لم يكن مؤهلا ـ حسب اعتقادها ـ لتحمل مسؤولية هذه المهمة الجسيمة ، وذلك بسبب نقص خبرته وتجربته العمليـــة النضالية ،

Digitized by Birzeit University Library

وقلة معارفه النظرية الثورية . وهكـــذا طرحت قيادة الحزب ، في نهاية المرحلـــة التاريخية المحددة التي تطرقنا لها ، شعارا جديدا الى جانب شعار « التعريب » ، هـــو شعار « البلشفة ثم التعريب » ، بمعنى انه كان ينبغي على كوادر الحزب العربيـــة أن تمتلك المعرفة النظرية الثورية وان تتمـرس في تجارب النضال الطبقي ، قبل ان تصعد الى قيادة الحزب وتتحمل مسؤولياتهـــا الثورية على رأس اعضائه .

Digitized by Birzeit University Library

رسالة

بين كردستان والجزائر و"اسرائيل"

اطلعت ، مؤخرا ، على عدد نيسان ١٩٧٩ من مجلة **الكاتب الفلسطيني** · ومما قرأته ملاحظات **اميل حبيبي** على مقال **لاحمد فرحان حول الحزب الشيوعي الفلسطيني** · وبعيدا عن القضايا الشائكة التي اثارها الكاتبان ، اثارت انتباهي العبارة التالية **لاميل حبيبي** :

« ... كما ان حركة التحرر الوطني الجزائرية ادركت واجبها ومن اجل نفسها، ايضا ، في ان تضع مخرجا ديمقراطيا وايجابيا امام المستوطنين الفرنسيين، وكما ادركت الحركة الوطنية التقدمية في العراق هذا الواجب بالنسبة لكردستان العراق . فان **منظمة التحرير الفلسطينية** تتوصل الى المزيد من الوضوح في هذا الادراك » .

ان هذه الملاحظة تتجمع بين متواليات لا تجتمع : المعمرون الفرنسيون في الجزائر ، والمهاجرون اليهود في فلسطين من جهة ، والشعب الكردي من جهة اخرى · فالمجموعة البشرية الاولى هاجرت الى الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي . واصبحت المالك شبه الوحيد لوسائل الانتاج في تلك البلاد . وعملت ضمن مخطط الاستعمار الفرنسي لفرنسة الجزائر · وبعد التحرير كان مقدرا أن يتم تجريد هذه الجالية من ممتلكاتها . لو أن ثورة الجزائر تطورت الى ثورة اشتراكية . لكن ذلك لم يتم . فحافظ فريق من هؤلاء على مواقعهم الاقتصادية في البلاد · على أنهم لم يواجهوا . من الناحية الاخرى ، حملة ابادة من الشعب الجزائري، الذي استغلوه واضطهدوه في السابق . وذلك بفضل الوعي الثوري المنظم الذي تميزت به الجماهير الجزائرية ، واقترن بعدم ظهور تيارات شوفينية وانتقامية في اوساطها · هذا هو الجانب الوحيد الذي يمكن اعتباره « مخرجا ديمقراطيا وايجابيا امام المستوطنين الفرنسيين » · ومن الواضح ان هذا المخرج لا يشمل اعترافا بواقع قومي شكله المستوطنون · فالثورة الجزائرية لم تعترف لهم بالحق في اقامة دولة مستقلة ، ولم تمنحهم حكما ذاتيا . كما لم تعترف لهم بأية حقوق قومية من النوع العربي يمكن أن تتمتع به أية أقلية قومية · أما الظواهر الثقافية المرتبطة باللغة الفرنسية ، والتي بقيت حتى الان في الجزائر . فليس مرجعها الاعتراف بواقع قومي ، وانما هي جزء من مخلفات الاستعمار الثقافي · وهذا الجزء قد يبقى بتأثير الميول الموالية لفرنسا ، لدى بعض الاوساط الجزائرية ، وقد يزول مع تقدم سياسة التعريب · وهو . في كل الاحوال . لا يتعلق بمشكلة قومية قد تكون نتجت عن وجود المستوطنين الفرنسيين ·

وحالة المهاجرين اليهود الى فلسطين تشبه حالة المستوطنين الفرنسيين في الجزائر . الى حد كبير · فهذه المجموعة البشرية قد هاجرت الى فلسطين في ظل الاحتلال الصهيوني ، واستولت على كافة حقوق المواطن من اهل البلاد ، الذين شرد

Digitized by Birzeit University Library

معظمهم خارج الحدود ، ليحل محلهم مستوطنون من أمم وبلدان شتى . على ان هذه المجموعة تختلف عن سابقتها الفرنسية في كونها لا تشكل تجمعا اثنيا أو قوميا متجانسا ، فما يجمعها هو الدين ، وهو ، بعد ذاته ، لا يتضمن من الحقوق أكثر من حرية العبادة ، اذ لم يحدث أن شكل الدين في العصر الحاضر رابطة قومية ، الا في حالة واحدة ، هي حالة باكستان ، التي خلقها الاستعمار الانكليزي . وفرضها على الخارطة ، قبل ان تدخل مرحلة التفكك الراهنة ، التي لا بد أن تنتهي بها الى الزوال ، كموقع شاذ في خارطة العالم ان الحق الوحيد الذي تمتلكه هذه الجماعات من المهاجرين ، في حالة تحرير فلسطين ، هو حقها في العيش كطائفة دينية في ظل دولة ديمقراطية علمانية ، متجردة من الهاجس الديني . ومن المؤكد ان الشعب الفلسطيني لا يقل وعيا عن شقيقه الجزائري، وسيكون عليه ، بعد تحرير وطنه ، ان يتعلم من التجربة في معاملة مضطهديه السابقين، الذين سيصبحون شركاءه في وطنه المحرر .

ان هاتين الحالتين تختلفان ، تماما ، عن حالة الشعب الكردي ، الذي يعيش في وطنه الاصلي ، وهو اقليم كردستان منذ الاف السنين . فهو ليس جالية من المهاجرين او المستوطنين جاءت بها موجة استعمارية عاتية ، كما ان بلاده ، كردستان ، ليست جزءا من العراق ، وانما ألحقت به بعد الحرب العالمية الاولى ، بموجب اتفاقيات سايكس ـ بيكو ، التي قسمت هذا الاقليم بين العراق وايران وتركيا . وكان العراق، قبل ذلك ، يبدأ من الموصل ، وينتهي بعبادان، وهو الحد الذي أجمع عليه الجغرافيون العرب القدماء وتضمنته خرائطهم ، ولم ينص أحد منهم ، ولا ممن جاء بعدهم ، على ادخال سهل شهرزور وما يليه من الجبال ضمن هذه الحدود . ان الجغرافيا الطبيعية، أي الجغرافيا العلمية غير السياسية ، تؤكد ان كردستان اقليم مستقل ، وهو الوطن الاصلي للشعب الكردي ، الذي يمتلك كل مقومات الامة ، ويستحق كل حقوقها القومية بما في ذلك حق تقرير المصير ، وحق الانفصال وتكوين دولته المستقلة . وتركب الحركة الوطنية العراقية انحرافا شوفينيا شنيعا ، اذا هي حاولت لفلفلة حقوق الشعب الكردي الى مجرد حكم ذاتي صوري ، لا يزيد على مستوى الحقوق الثقافية ، التي تتمتع بها الاقليات ، لان الشعب الكردي امة قائمة بذاتها ، وليس اقلية قومية .

واود ، بهذه المناسبة ، أن ألفت النظر الى اصطلاح «شعب اسرائيل» ، الذي يطلق ، اليوم ، على فئات المهاجرين في فلسطين ، ويشارك في اطلاق بعض الماركسيين اللينينيين ، أو المحسوبين عليهم . ان هذا الاصطلاح ليس علميا ولا ماركسيا لينينيا ، فهو ، من الجهة الاولى ، يفترض اقليما في الخارطة ، يحمل اسم أسرائيل ، وهذا الاقليم لا وجود له ، رغم قيام دولة تحمل اسمه . وتضطر حتى الدوائر الجغرافية في الغرب ، لدى رسم خارطة الشرق الاوسط ، ان تضع اسم فلسطين على الموقع الذي تقوم فيه هذه الدولة . ولا تجذب الخرائط ، التي ترسم هناك ، اسم اسرائيل الا في الخرائط المكرسة لتبيان الكيانات السياسية . اي في الخرائط السياسة البحتة . ومن المعروف ان اسم اسرائيل مستحدث ، يرجع الى عام ١٩٤٨ ولم يكن له وجود قبل ذلك ، ولو فرضنا ان الوكالة اليهودية قررت اطلاق اسم آخر على دولتها ، فان اسم شعب اسرائيل لن يكون له وجود في هذه الحالة. وربما كنا سنسمع باسم : شعب صهيون. مثلا ، لو وقع الاختيار في تسمية الدولة على هذا الاقتراح الذي طرح آنذاك من قبل بعض الاطراف في الحركة الصهيونية . انها ، اذن، مسألة اعتبارية ، لا جذر لها في

Digitized by Birzeit University Library

التاريخ ، ولا في الواقع الجغرافي للمنطقة. ومن وجهة نظر الماركسية اللينينية ، لا يشكل اليهود شعبا : وهو ما نص عليه كارل ماركس في « **المسألة اليهودية** » ، ولينين في الاصطلاح ، من قبل بعض الماركسيين اللينينين أو المحسوبين عليهم ، يوقعنا في معالجته لمسألة **البوند** . واقرار مثل هذا اشكالات كبيرة ، لانه سيضع علينا ، مثلا، اعتبار اليهود السوفييت ، من هاجر منهم ومن لم يهاجر ، شعبا يستحق ما تستحق سائر الشعوب السوفييتية من حقوق قومية، بما فيها الحق في الحكم الذاتي . وهذا التوجه مرفوض منذ قيام الاتحاد السوفييتي لان اصطلاح « الشعب اليهودي » لا يستند الا لرابطة واحدة ، هي الدين . والماركسية لا تعترف بالدين كرابطة قومية ، وبعكس ستكون ملزمة بقبول فكرة : شعب اسلامي ، وشعب مسيحي ، وشعب بوذي ... ويعني هذا نسفا للماركسية من جذورها !

ولا يبرر الاخذ بالاصطلاح كونه يستند الى واقع راسخ الجذور ، تسنده الاسلحة الامريكية ، ويتواطأ على دعمه الحكام العرب . فالاستعمار الامريكي والانظمة العربية حالات عابرة ، لا تصلح لتشكيل واقع تاريخي أو اقليمي . والماركسية والذرائعية على طرفي نقيض ، ولئن كنت لا اريد التغاضي عن الظروف الصعبة للاشقاء الشيوعيين في فلسطين المحتلة ، فان الذين يقفون خارج هذا الموقع ليسوا ملزمين بالقفز من فوق المبادىء .

هادي العلوي

Digitized by Birzeit University Library

الإعلام الانعزالي
دعاية تسير على وقع اقدام غوبلز

زهير هواري

لعبت وسائل الاعلام ، على اختلاف اتجاهاتها، دورا رئيسيا منذ انفجار الحرب الاهلية ، وتحديدا منذ الثالث عشر من نيسان ١٩٧٥ ، حتى بدت هذه الوسائل ، في بعض الاحيان ، وكأنها تلعب دورا حاسما في مسار الازمة التي عاشها ، وما زال يعيشها ، الوطن الصغير ، نظرا لتشابك التعقيدات السياسية الداخلية مع التعقيدات السياسية التي افرزتها الاحداث على سطح المنطقة العربية والصراع العربي ـ الصهيوني ، منذ عشية حرب تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٧٣ .

والاعلام في اي مجتمع من المجتمعات هو انعكاس للواقع السياسي ، وتعبير عن طموحات قوى معينة للتأثير في هذا الواقع، من خلال استعمال مؤثرات سمعية وبصرية موجهة الى الافراد والجماعات . من هنا فان الاعلام ، وعلى الرغم من قدرته ، يظل مجرد انعكاس للاوضاع السياسية والاقتصادية القائمة .

والاعلام الذي عبرت من خلاله القوى الانعزالية عن مواقفها وسياستها يتجاوز الصحافة اليومية ، ليصل الى كافة المواد الاذاعية والاعلامية ، من منشورات وملصقات وكتابات جدارية ، حتى انه ، في بعض الاحيان ، يقفز الى ما هو ابعد من ذلك ، الى بعض الاعمال او الممارسات التي شهدتها الحرب الاهلية ، بما في ذلك الدعاية ، والاشاعة ، والقصف العشوائي، والخطف ، والتشويه ، باعتبار ان هذه الاعمال الاخيرة تدخل في اطار الحرب النفسية ، التي باتت ، اليوم ، جزءا لا يتجزأ من الخطة العامة للحرب ، لكن هذا الاعلام، وان كان يعكس طبيعة الايديولوجيا بنسب متفاوتة ، وحسب الجمهور الذي يتوجه نحوه ، يظل اقرب ما يكون الى العمل الدعائي منه الى الاعلام ، باعتبار ان الثاني هو تعبير موضوعي ، وليس ذاتيا ، من جانب الاعلامي سواء كان صحفيا او مذيعا . وتعبير الدعاية هو الاقرب الى الدقة، باعتباره اسلوب من اساليب الاتصال عن طريق اللفظ او الاشارة او العمل الرمزي . فالداعية ، كما يقول خبراء علم الاتصال ، « لا يرمي الى الاقناع بقدر ما يرمي الى ما يطلق عليه الاغتصاب النفسي . والسيطرة على السلوك . والظفر بتأييد الجماهير ، بأي ثمن وبأية وسيلة ». وقد تنبهت القوى الانعزالية ، منذ

Digitized by Birzeit University Library

اللحظةالتي كانت تطرح خياراتها السياسية الانتحارية ، الى خطورة وسائل الاتصال التي يعرف الجميع مقدار اهميتها ، في الوقت الذي تبدو الازمات قاب قوسين او ادنى من عملية الوصول الى نقطة التناقض الاساسية ، التي لا تحل من جانب القوى المهيمنة الا باللجوء الى العنف . ومن المعروف انه في وقت الازمات تزداد حساسية الخواص العقلية والنفسية المتصلة بعملية التفكير ، من حيث استعانة العقل بالرموز ، والانماط ، والتجسيد ، والميل الى التبرير ، مع تعقد الظروف السيكولوجية الخاصة بلجوء الدعاية الى التكرار والملاحقة ، من خلال اعتماد اسلوب الاثارة من اجل الوصول الى ما يمكن وصفه بانه « الجماهير المنساقة » ، المسيطر عليها من خلال الاستعمال التخديري للغة ، عبر الابتعاد عن المناقشة الواضحة ، واللجوء الى الانفعالات الرخيصة ومخاطبة الغرائز، واثارة كوامن الخوف ، لسوق المجتمع ، او جزء منه بالاصح ، الى الحرب ، من خلال تزييف كافة الظواهر الاجتماعية والانسانية في المجتمع اللبناني ، لاثبات ضرورة اللجوء الى السلاح . من هنا فقد حفلت الادبيات الانعزالية ، في الفترة التي سبقت الحرب ، بعملية تحريض واسعة ، تجلت من خلال خلق مفاتيح جديدة في اللغة الانعزالية ، تتجاوز العبارات المألوفة عن «لبنان المتميز» ، « لبنان المتفوق » ، « مركز التبادل » ، « صلة الوصل » ، « جوهر لبنان الانساني » ، « ملتقى الحضارات والاديان » ، « ملجأ المضطهدين في الشرق » ، « بلد الاقليات » ، « وطن الحريات » ، ... الى حديث عن « حريات المسيحيين » ، « الطغيان الاكثري» «الاضطهاد» ، «التنكيل» ، و «طغيان حضارة على حضارة » ، و « تراث على تراث » ، و « الخوف المسيحي » ، « الضمانات » ، «الطغيان العددي والاقتصادي والثقافي» .. ان هذا التحول في اللغة الاعلامية ، الذي سبق الحرب ، كان يستهدف اثارة حالة عامة من الخوف من الذبح أو الاضطهاد وعمليات التنكيل المقبلة ، اذا لم يهب المواطن الى دفع الخطر الذي ينتظرهم . وتبرير عمليات التنكيل التي ستطحن عظام بؤر الاقليات في المناطق الخاضعة لنفوذ الميليشيات في مرحلة لاحقة .

في موازاة هذا الضخ الاعلامي ، الذي يستهدف تعبئة القاعدة بمفاهيم محددة ، كانت القوى الانعزالية تقوم بعملية مراكمة على الصعيد الدعاوي ، والذي يمكن القول أن ذروتها كانت في أواسط العام ١٩٧٦ ، وتحديدا الفترة التي سبقت وتلت دخول قوات الردع العربية الى لبنان . اذ انه في تلك الفترة كان المفهوم العنصري يبلغ ذروته، ويجد تعبيرات فاقعة، وكان قوام هذا التركيز اعتبار الغير هو العدو الذي يحاول الانقضاض على الذات ، من هنا فليس غريبا أن يكون التعبير الاكثر نقاء عن هذا الوضع هو الشعار الذي رفعه « حراس الارز » : «على كل لبناني أن يقتل فلسطينيا» والشعار الاخر المكرس في الاشرفية ، والذي يرسم المعادلة التالية : لبنان = فينيقي . عرب = حيوانات . ان هذا الشعار يختصر رحلة الدعاية الانعزالية منذ نشوئها حتى وصولها الى بناء مفاهيم عنصرية انعزالية تتلاقى مع كافة نظريات النقاء العرقي التي عرفها التاريخ ، من النازية الى الفاشية الى الاقليات العنصرية في جنوب افريقيا ، ويبقى النموذج الاسرائيلي هو الاكثر قربا.

والتعامل الاعلامي مع الاخرين بدأ ، أول ما بدأ ، حيال الشعب الفلسطيني ، لكن الاعلام الانعزالي لم يتجه ، رأسا ، نحو طرح برنامج الحد الاقصى، او الستراتيجية

Digitized by Birzeit University Library

العامة للمشروع السياسي الذي يعبر عنه . بل على العكس من ذلك تماما . اذ ركز هذا الاعلام على ممارسة تكتيك متحرك . من خلال استعمال الهجوم الجانبي أو الفرعي . باعتبار أن الهجوم الاعلامي الشامل والصريح يخلق دفاعا متماسكا . كما أنه يؤدي الى نتائج عكسية . في معظم الاحوال. على القاعدة نفسها . ويستهدف هذا الاسلوب خلق ثغرات متتالية في خط دفاع الخصم . الامر الذي يقود الى انهيار هذه الدفاعات . هذا مع العلم أن الوجود الفلسطيني مثل أحد الثوابت الاساسية في عملية التحريض الاعلامية . خلال الفترة الماضية والتي امتدت حتى الآن . مع استثناءات كانت تتحرك اعلاميا وفق ضرورات التطورات السياسية التي تجتازها البلاد . فالسوري هنا هو الوجه الاخر للفلسطينيين . هو الغير الذي يتوجه نحوه العداء . لانه « الهمجي » . « المتخلف » . « الشرير » « المحتل » . الى آخر ما هنالك من صفات يمكن الصاقها به . وقد تطور الرمز الاعلامي الانعزالي . حيال الشعب الفلسطيني وثورته . على النحو التالي :

١ ـ استحالة محاربة اسرائيل . لان هذه الحرب نوع من الانتحار .

٢ ـ « قوة لبنان في ضعفه » كشعار مضاد لشعار بناء خطة دفاعية .

٣ ـ وجود اكثر من سلطتين وشرعيتين ودولتين على الارض اللبنانية .

٤ ـ ضرورة «ضبط» الوجود الفلسطيني . بعد أن باتت المخيمات أوكارا لتصدير الارهاب والارهابيين .

هذه هي المرحلة التي عبرت عنها المؤتمرات الصحافية المتتالية . التي عقدها الشيخ بيار الجميل . قبل انفجار الموقف . ثم تتابعت المراحل بعد أن تم تأهيل الميليشيات الانعزالية من خلال هذا التحريض . وتحميل الوجود الفلسطيني في لبنان كافة أسباب الازمة الاجتماعية ـ الاقتصادية. وهكذا بدأت الصدامات (حادثة الدكوانة) التي استحضر لها الكتائب صفة الاهالي . ثم انتقل من هذا الاصطدام الى المطالبة بمنع الاحتكاك بين الوجود « اللبناني » والوجود الفلسطيني . وعندما كان حزب الكتائب يضطر الى الانكفاء سياسيا وعسكريا . كان يعتمد على الصعيد الاعلامي . على المساواة بين السلاح « اللبناني » والسلاح الفلسطيني. ثم تتابعت المواقف الاعلامية في مواكبة لتطور الخطة السياسية العسكرية :

١٠ ـ نزع الصفة الاجتماعية السكانية عن المخيم واطلاق اسم معسكر عليه .

ب ـ كل هدف عسكري هو معسكر مملوء بالغرباء .

ج ـ توسيع مفهوم المعسكر ليشمل كافة البؤر الوطنية والمغايرة طائفيا . ونسبة وجود هذه البؤر (حزام البؤس) الى نوايا مبيتة لتطويق العاصمة . والقضاء بالتالي على عوامل التميز في الوضع السياسي اللبناني .

مع حصار المخيمات . وازدياد حدة المعارك . كان حراس الارز يرفعون شعار «لن يبقى فلسطيني على أرض لبنان» . ثم سرعان ما يتحول الشعار الى دعوة لابادة نوع « على كل لبناني ان يقتل فلسطينيا » . وفيما كان الاعلام الانعزالي يعتبر الوجود الفلسطيني في لبنان هو الشر المطلق. باعتبار ان هذا الوجود اخل بالمعادلات السياسية . لصالح المسلمين . المشكوك بولائهم للوطن اللبناني . على الصعيد السياسي . واقتصاديا العجز عن الاستيعاب في هذه

Digitized by Birzeit University Library

الرقعة الصغيرة . ان عملية التحريض التي بدأها حراس الارز تحت شعار الاغراب أكثر من اللبنانيين ، كان لا بد ان تصل الى منتهاها في شعارات دعوية . لكن وسائل التعبير عن العداء لم تقتصر على رفع الشعار المذكور . بل على العكس من ذلك تماما . اذ كان هذا الشعار مجرد انعكاس لمنطق عسكري حاولت الميليشيات ، حتى وان لم تعلن عنه صراحة ، أن تمارسه (حصار تمويني ـ حصار طبي ـ منع المياه ـ قصف مدمر يتعدى محاور القتال ـ ابادة المئات والاف بعد وقوعهم في قبضتها) . ان العلاقة بين الفلسطيني و « اللبناني » ـ الانعزالي طبعا ـ تختصرها « **العمل** » على الوجه التالي : باتت الحياة المشتركة امرا مستحيلا، لا بد ان يزول واحد منهما . وعندما يزول الفلسطيني ، على يد المقاتل اللبناني المتفوق، يصطدم هذا المقاتل الذي لا يقهر بالمقاتل السوري ، فالعداء للمقاومة هو عداء لكل الاخرين ، وهنا لم ينفع الالتقاء الظرفي ، فقد تحول هذا السوري الى غاز ومحتل في « **العمل** » و « **الاحرار** » ، بمجرد ابتداء الاصطدام بين الحل العربي و « الحل » الانعزالي . الا ان وسائل التعبير الشارعية كانت الاكثر اثارة . ولنقرأ هذا البيان الذي أصدرته قيادة القوات اللبنانية ، في منتصف العام ١٩٧٨ ، دون توقيع ، والذي يحمل عنوان « اعرف عدوك » :

ايها اللبناني .

السوري عدوك الاول ... ومطامعه لا تتوقف .

١٩٤٩ السوري سلح الحزب القومي ، للقيام بانقلاب ، وضم لبنان الى سوريا .

١٩٥٠ السوري أعلن القطيعة الاقتصادية ضد لبنان .

١٩٥٨ السوري لبس ثوب الناصري وحاربك في عقر دارك بتخطيط من **عبد الحميد السراج** .

١٩٦٩ السوري دخل أرضك بثوب الفلسطيني ، وحاربك بعد انهزامه في الجولان .

١٩٧٠ السوري اقفل حدوده مع لبنان ليدعم الفلسطيني ضدك .

١٩٧٣ السوري كثف تدخله بأسم **الصاعقة** ضد جيشك .

١٩٧٥ السوري (الصاعقة) بدأ القصف العشوائي والقتل على الهوية .

١٩٧٦ السوري نفذ مجزرة الدامور .

١٩٧٦ السوري دخل لبنان ، باسم الامن المستعار الكاذب ، لمنعك من متابعة تحرير أرضك .

١٩٧٨ السوري أعلن ، تحت ستار الشرعية ، حرب ابادة عليك :

ـ هدم بيتك .

ـ دمر مصنعك .

ـ قصف مستشفاك .

ـ أغلق مدرستك .

ـ نهب آثارك .

ـ حاصر جيشك .

فصمدت ، وانتفضت جيشا .

ايها اللبناني .

يا سياج لبنان .

عدوك السوري نجس ارضك المقدسة ، فامنعه حتى من الركوع فوق ترابها .

عدوك السوري نجس أرضك المقدسة ، كذبه بسواعدك .

عدوك السوري عامله بنار بندقيتك ، لا بكفك الطاهرة .

Digitized by Birzeit University Library

عدوك السوري دساس ، فاسحق عملاءه.

هذا البيان يعتبر نموذجا ، لانه يستعمل وسائل تأثير متعددة ، يمكن ايجازها ، كما قال عالم النفس الهولندي ميرلو ، انها تستهدف قتل العقل ، لانها تحيل الانسان المستقبل الى كائن لا حول له ولا قوة وتخضعه اخضاعا تاما، للمفاهيم التي تحاول زرعها . فعل الصعيد الشكلي ، نجد ان البيان صيغ تحت عنوان انفعالي ، في ظروف ازمة سياسة معقدة ، ترتدي طابعا انفجاريا بركانيا حينا ، وخامدا أحيانا أخرى . وقد جرى تمييز العبارات التالية باللون الاسود ، وهو احد الالوان المثيرة والمستعملة ، الى جانب الاحمر ، والابيض ، بشكل واسع ، في المراسيم الكنسية ، نظرا لتأثيرها النفسي . والعبارات هي : اعرف عدوك .. السوري عدوك الاول ومطامعه لا تتوقف . السوري ، السوري ... هدم بيتك ، دمر مصنعك ... عدوك السوري ، عدوك السوري . فكلمة السوري ترددت في البيان الواحد احدى عشر مرة في المقدمة، وخمس مرات مسبوقة بكلمة عدوك ، الامر الذي يستهدف تكريس هذا العداء في اللا شعور. اما على صعيد المضمون ، فالبيان يعتبر فاقعا ، لانه يخاطب المواطن من خلال اثارة عقدة الخوف ، فالسوري هو صاحب المطامع ، التي لا تتوقف ، في لبنان . وهنا عادة ما يستحضر كل عوامل الخوف ، التي جرى تكريسها ، والتي ترتبط بالاضطهاد والطغيان الاكثري ، مع حديث متتابع عن المذابح . والخوف من الازمة الاقتصادية في بلد يعتاش على تجارة الخدمات والترانزيت (القطيعة الاقتصادية) . والخوف من ضم لبنان الى سوريا (عبد الناصر - الوحدة - أحداث ١٩٥٨) . الخوف من استبدال سوريا للبنان عن الجولان (دخل ارضك بعد هزيمته في الجولان) . استعمال وسائل الضغط ضدك من خلال المشاركة في الاحداث ، تحت اسم الصاعقة . ربط ذكريات الحرب باقسى ملامحها بالوجود السوري ، (القصف العشوائي ، القتل على الهوية ، « مجزرة الدامور ») . وهذا البيان لا يمكن مناقشته كعمل سياسي ، اذ ان كافة بنوده لا تستقيم مع الواقع ، فهو عبارة عن عملية تزييف كاملة ، منذ السطر الاول وحتى الكلمة الاخيرة ، لكن العمل الدعائي لكافة التنظيمات الفاشية لم يستهدف ، يوما ، الاقناع ، بقدر ما كان يستهدف التأثير على الغرائز ، بل أكثر من ذلك يمكن القول ان الهدف هو اعدام التفكير المنطقي ، من خلال استحضار كل عوامل القمع الداخلي والخارجي .

ان هذا البيان هو جزء من عملية نفسية قامت بها الميليشيات لتنمية الروح العدائية لدى عناصرها على كل ما هو عربي ، وقد تطورت هذه العملية من حفلات تخريج دفعات المقاتلين التي تأثرت بالشعائر الكنسية ، الى التصريحات اليومية والاثارة الصحفية ، وصولا الى استعمال الاذاعة . وفي هذا السياق يمكن فهم ما يبثه الاعلام الانعزالي ، منذ الحرب وحتى الان ، عن مشاركة عشرات الالوف من العرب (فلسطينيين - سوريين - عراقيين - صوماليين الخ ...) من أجل اثبات الطابع العنصري للحرب التي « تشن » على لبنان، من جهة ، ولتاكيد تفوق المقاتل الانعزالي ، من جهة ثانية ، الذي ينتصر على هؤلاء الاعداء مجتمعين . ان هذه العملية الاعلامية ، التي تذكر بمقولة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ، تهدف الى الاجتماع مع المشروع الام والمثال الاعلى . فلبنان الحضاري هو المحاط بالاعداء من كل جانب ، واسرائيل الحضارية هي المحاطة

Digitized by Birzeit University Library

بالاعداء من كل جانب ، أيضا · والهدف من عملية التضخيم الاعلامية المعروفة هو اثبات تفوق النوعية على الكمية · ان الصورة هنا تبدو متطابقة ، اشد التطابق ، مع كتاب جغرافي استعمل في المانيا ، في فترة حكم النازية · يقول الكتاب سائلا : ما هي المانيا؟ يجيب : هي الامة التي يحيط بها الاعداء من كل جانب ، ويجب ان تنتصر عليهم جميعا · من هنا فليس غريبا أن تذهب نشرة « **الجبهة** » الناطقة بلسان القوى الانعزالية الى اعتبار ان هناك ست وعشرين دولة ضالعة بالحرب على « لبنان » ولكل من هذه الدول أهدافها الخاصة بها ، وهذه الدول تجمع من الاتحاد السوفياتي الى اميركا مرورا بكافة الدول العربية ·

قنوات متعددة

من المعروف ان المعارك الكبيرة لا يمكن ان تخاض الا بنفس اعلامي متعدد القنوات، يؤدي ، في نهاية المطاف ، الى التاثير بالمستمع أو المتلقي · وقد استعملت الميليشيات كافة الوسائل ، بشكل واسع ، لكن هذا الاستعمال لم يقتصر على الوسائل المملوكة لاطراف القوى الانعزالية بل انها استعملت الوسائل غير المباشرة سواء على صعيد الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية، أو على صعيد الاذاعات التي تتمتع بسمعة دولية كراديو مونتي كارلو ولندن واذاعة اسرائيل ... في موازاة هذا الاستعمال المتعدد القنوات الذي قامت به الفئات الانعزالية ، كان التحرك الاعلامي يعتمد مبدأ خلق عزلة كاملة للمناطق التي تسيطر عليها ، وعلى هذا الاساس منعت كافة وسائل التعبير الاخرى من الوصول الى من هم بحاجة اليها · وكانت عمليات احراق المطبوعات تقوم بها الحواجز المتقدمة ، وعندما كانت هذه القوى تضطر الى السماح لهذه المطبوعات بالتوزيع في المناطق التي تسيطر عليها ، كانت تقوم بعملية ضبط دقيقة لمقادير التوزيع ولنوعية المتلقين ، الذين جرت معاملتهم كمشبوهين ، يجب مراقبتهم والحذر منهم . وكان اي تناقض بين هذا الاعتدال الذي يبتعد مسافة معينة عن القوى الانعزالية يجابه بعملية شانتاج واضحة تبدأ بالشتم والمصادرة والاحراق وتصل الى الابتزاز السياسي ·

وقد تحولت الفئات الانعزالية نحو الاعلام المسموع منذ ان بدأت الصحافة محصورة بالمناطق التي تسيطر عليها . وسرعان ما لعبت اذاعة كاذاعة الكتائب دورا كبيرا في عملية التحريض والاثارة في المناطق التي تسيطر عليها والتشكيك في المناطق الوطنية، ومما ساعد على تحول هذه الاذاعة الى اذاعة مسموعة ، نوعية الاعلام المسموع الاخر ، فاذاعة بيروت ليس لها علاقة بما يجري ، وصوت لبنان العربي لا يتعدى نطاق عمله · منطقة المتحف شرقا ورأس بيروت غربا والاوزاعي جنوبا واستعمال الراديو كان يستهدف اصلا التاثير خارج مناطق السيطرة . غير المعرضة لكافة وسائل التعبير الاخرى . فالراديو يغطي مسافات بعيدة حسب قوة البث ، وبامكانه ان يتخطى الحواجز وخطوط النار ، كما انه يصل الى اناس رغما عنهم ، والراديو هو نوع من الاعلام المجاني الذي يحصل عليه الجميع بمجرد امتلاك جهاز استقبال . ثم ان الراديو يؤثر في المتعلم وغير المتعلم . بينما الصحيفة لا يستهلكها سوى عدد محدد من القراء ، واستعمال حزب الكتائب للراديو تم في مرحلة مبكرة من الحرب . وقد عكس الاسراع بانجاز ترتيبات انشاء اذاعة في التعاطي مع المستمعين عبر برامج البث التي تقدمها · والنهجان هما :

Digitized by Birzeit University Library

١ ـ فترات الاثارة او التوتر ٠

٢ ـ فترات الهدوء والاسترخاء ٠

الفترات الاولى تنطبق على نشرات الاخبار واقوال الصحف والتعليقات ، وفي هذا المجال يمكن ان نسمع اخبارا عن القنص في اكثر من محور على العاصمة ٠ وهذه الفترة هي فترة محدودة قياسا الى المدى الذي تشغله الفترات الثانية التي تعتمد سبل اتصال مباشر ، فمن المعروف ان الراديو هي اداة اعلامية باردة بسبب المسافة التي تفصل بين المرسل والمستجيب لكن الاعلام الانعزالي حول هذه الاداة الى اداة ساخنة من خلال ايهام المستمع ان الراديو تتحدث معه او ليست تتحدث «به» ، وهناك فرق شاسع بين الاسلوبين كما اعتمدت الاذاعة ايضا اسلوب البرامج الموجهة نحو فئات محددة فبرنامج كبرنامج مشاكل على الهواء موجه اصلا لربط المواطن بالمسؤولين عن الخدمات العامة ، وبرنامج « عيادة على الهواء » يربط بين الطبيب والمواطن الذي يرسل باسئلته ٠ وبرنامج « لك سيدتي » يتعاطى مع هموم المرأة الجمالية والنفسية بكثير من الذكاء مع التمريرات المناسبة ، وفي كل هذه البرامج تقدم النصائح دون ثمن ٠ لكن هذه الفترة تتميز ايضا باعتماد الاعلام الموجه غير المباشر فبرنامج كبرنامج « دكانة الثعايش » او « جريدة بالمقلوب » هو عملية تبسيط للفكر الانعزالي باسلوب شعبي قريب من مستوى الجمهور ٠ اما اذاعة لبنان الحر التي تتبع المجلس الحربي الكتائبي فانها غير ذات بال نظرا لمحدودية انتشارها باعتبارها اذاعة حزبية ضيقة يسيطر عليها منطق عسكري ضاغط ٠

لكن خطر الاذاعتين المذكورتين ينطلق اصلا من الاستعداد الدائم لتفسير الحدث عبر ايقاع اعلامي سريع ، ففي الصحف اليومية تقرأ اخبار اليوم السابق، والقارىء يختار الصحيفة بحرية نسبية خاصة التي تناسب موقفه السياسي والسلوكي ، اما الاذاعة فان الحاجة اليها تبدو ملحة للحصول على تغطية اخبارية للحدث بعد قليل من وقوعه ٠ ففي وضع كالذي يعيشه لبنان كل مواطن بحاجة الى معرفة الاخبار لمعرفة مدى تأثيرها على وضعه ، وهنا يمكن القول ان الاذاعتين في تغطيتها الاخبارية تبرز مسالتين في غاية الاهمية هما :

١ ـ القيام بعملية تحصين لعناصرهما وجمهورهما تحت وطأة الممارسات التي ترتكبها الميليشيات في المناطق التي تسيطر عليها ، اضافة الى تنمية روح الخوف على صعيد الجمهور ، لمنع التمازج الاجتماعي في فترات الهدوء ، ويوميا تسرد اذاعتا الكتائب والقوات « الموحدة » عشرات الاخبار الكاذبة عن حواجز خطف وقتل في المناطق الوطنية ٠ ان نشر المزيد من هذه الانباء الكاذبة يمكن فهمه في ظل الانفجارات الامنية المتتالية بين الميليشيات في عملية الصراع على النفوذ ٠ وفي هذا السياق تعمل الاذاعتان على التكرار ، كما تعمل في هذا السياق ايضا من خلال التصريحات اليومية لقادة الميليشيات التي تستهدف تثبيت المفاهيم الانعزالية في اذهان الجمهور من خلال تسليط المزيد من الضغط الدعائي عليه ، كما ان هذه التصريحات والمواقف تلعب دورا مركزيا في عمليات الاثارة للغرائز، فتصريح بيار الجميل يتضمن تذكيرا بمآسي الحرب الاهلية ٠ وفي هذا المجال تعتمد القوى الانعزالية نظرية هاكسلي القائلة : لو ان مجموعة من ابرز علماء الفلسفة قد تعرضوا لنغمات مستمرة رتيبة كدقات الطبول الافريقية او الغناء الهندي المنتظم الايقاع فان الامر سينتهي الى المشاركة في التصفيق والصياح ٠ ان ترديد حتى الاخبار الكاذبة

Digitized by Birzeit University Library

يجد اصوله في نظرية غوبلز الشهيرة ، اكذب ، اكذب فلا بد ان تجد احدا يصدقك .

٢ ـ التأثير في الجماهير خارج نطاق السيطرة الانعزالية من خلال اثارة شكوكها المستمر عبر نشر المزيد من الانباء التي لا يمكن التأكد من مصداقيتها ، اذ انه في وضع كالذي يعيشه لبنان هناك صعوبة في مجال التأكد من الخبر . يضاف الى كل ذلك ان هناك ثوابت في هذا الاعلام تقوم على حذف اجزاء كبيرة من الوقائع وروايتها بشكل مغرض ، اضافة الى الغاء قوى من الترداد الاعلامي في اذاعاتها ، فالرئيس سليمان فرنجية غير موجود وكذلك كرامي والتكتل المستقل ، اما الحركة الوطنية عندما تستحصر فمن اجل شتمها فقط .

الحرب النفسية

شنت القوى الانعزالية حربا نفسية متواصلة على الجماهير من اجل شل مقاومتها وفرض الاستسلام عليها ، والحرب النفسية تستخدم كافة الوسائل فتصفية المخطوفين يهدف الى اثارة الخوف على الاقتراب من المناطق التي تسيطر عليها . ولو كان هذا الاقتراب سلميا ، والقصف العشوائي يستهدف استثارة عداء المجموعات السكانية التي قسمتها خطوط القتال . وحرب التجويع والتعطش عمل يستهدف القاء الرعب ، والتصفيات الجماعية فضلا عن انه يستهدف تأكيد الذات فانه يصب في مخطط تصفية روح المقاومة لدى الغير . فقتل المئات في الكرنتينا وسبناي وحارة الغوارنة هو نقل حرفي لنظرية مناحيم بيغن في دير ياسين هذه المجزرة التي ادت الى مقتل ٣٥٤ رجلا وامرأة وطفلا بهدف بث الرعب في قلوب عرب فلسطين ودفعهم الى ترك الارض كما قال بيغن في مذكراته .

والاشاعة دخلت الاخرى الحرب من اوسع ابوابها . وهي بالاصل عملية ترويج للخبر المختلف الذي لا اساس له من الواقع ، او المبالغة والتهويل في سرد خبر في جانب جزئي من الحقيقة وذلك بهدف التأثير النفسي عسكريا ، وتلعب الشائعة دورا كبيرا في مجال الحرب النفسية نظرا لعوامل التهيؤ في الرأي العام تحقيقا لاهداف سياسية او لدى مستقبل الاشاعة ، كما تلعب العوامل الشخصية والاجتماعية دورها في التفسير والحذف واضافة التفاصيل كي تصبح مستساغة ومتمشية مع البيئة الموجهة نحوها . والنماذج اكثر من ان تحصر :

● فمثلا اشاعة انتشرت في المنطقة الغربية تتحدث عن اعتداء على اعراض ، ادى الى انتحار ، الاشاعة المذكورة سرت بشكل مدهش وتنوقلت على كل الالسنة ، الحادثة في الاصل عبارة عن سرقة سيارة تحولت الى اعتداء لتتلاءم مع العقيدة الاجتماعية . امام اتساع الاشاعة اضطر الشخص « المعروف » الى كتابة آية قرانية على واجهة محلة تقول : يا ايها الذين آمنو اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.

● اشاعة اخرى انتشرت اثر سقوط النبعة وتل الزعتر في الساحل الجنوبي وادت الى حالة ذعر عامة كادت ان تؤدي الى حالة انهيار . ففي منطقة حي السلم انتشر نبأ كاذب عن سقوط منطقة كاليري سمعان وحي ماضي المعلم في ايدي الميليشيات ، وفي المنطقة التي أسقطت انتشر نبأ سقوط شارع اسعد الاسعد وفي الشياح انتشرت شائعة سقوط حي السلم ، وهكذا اختلف مسرح الشائعة باختلاف مواقع المستقبلين .

الشائعة الاولى جاءت في ظرف سياسي محدد ، فالقوى الانعزالية ارادت ان تحول مطالبتها باخراج قوات الردع العربية من

Digitized by Birzeit University Library

الى « مطلب شعبي » في المناطق الوطنية . الهدف المباشر للشائعة تبيان الامن الغائب في المناطق الوطنية . في ظل سيطرة التجاوزات من كل نوع ولون . الشائعة اصلا عملية سرقة سيارة تحولت الى اعتداء على عرض لزيادة الانتشار . ادت هذه الشائعة الى حالة خوف عامة من خروج السيدات من المنازل . اما الشائعة الثانية فقد كانت منسجمة مع التوتر النفسي الذي اعقب سقوط تل الزعتر ومنطقة النبعة وما رافق ذلك من اعمال تنكيل وابادة جماعية . وكان الهدف من اطلاق هذه الشائعة هو افراغ هذه المناطق من السكان تمهيدا لعزل القوات المشتركة واسقاط المناطق المذكورة .

الشائعات التي نشرتها القوى الانعزالية في المناطق التي تسيطر عليها . وهي تسير ضمن خط بياني يحكمها جميعا . مما يؤكد ان مصدرها ليس « العقل الشعبي » الذي يلجأ في احايين كثيرة الى اطلاق مثل هذه الامور . بقدر ما هو مصدرها « العقل المخطط » الذي ينسجم مع الايديولوجيا الانعزالية . ويلاحظ ان كافة الشائعات التي انطلقت في المنطقة الشرقية كانت موجهة نحو نقل الموقف الايديولوجي الى المستوى الشعبي الواضح . وابرز الشائعات في هذا المجال .

ـ القاء القبض على عدد من القناصة الليبيين من جانب القوات اللبنانية هذه الاشاعة انتشرت في مرحلة وجود كتيبة ليبية ضمن قوات السلام العربية .

ـ آلاف المقاتلين « الهمجيين » مع القوات المشتركة . ابرز مظاهر هؤلاء الشعر الطويل المجعد . الحلق في الاذان والانف . النصف العلوي من الجسم عار من أي لباس . هؤلاء يقاتلون على ايقاع طبول واطلاق صراخ واصوات بدائية . يقترب شكل هؤلاء المقاتلين كما صورتهم الشائعات من الهنود الحمر كما تصورهم الافلام الاميركية . انتشرت هذه الشائعة خلال حرب الجبل . بهدف استثارة اوسع صف للمشاركة بالقتال الى جانب الميليشيات في مواجهة هذا الزحف .

الشائعات التي انطلقت حول الوجود السوري بدأت مع بداية العام ١٩٧٧ هذه الشائعات . انطلقت من نظرية التمايز بين اللبناني « المتقدم » والسوري المتخلف . الشائعات توجهت نحو الحاجز السوري باعتباره الشكل المباشر للعلاقة مع الردع .

ـ الجندي الذي يحمل الهويات معكوسة عندما يريد الاطلاع عليها .

ـ الجندي الذي يحمل الهويات الى الضابط لانه لا يجيد القراءة .

ـ عناصر حواجز كانوا خدما او عمالا لدى مواطنين لبنانيين .

ـ الجندي الذي يشاهد محرك « الفولكسواكن » في مؤخرة السيارة فيتهم السائق بسرقته .

ـ عمليات خطف نساء واقتيادهن الى الاحراش للاعتداء عليهن .

ـ سرقة برادات ، غسالات ، تلفزيونات ... وكافة الكماليات التي لا يعرف السوريون شكلها او طريقة استعمالها حتى .

هذا « المناخ » الذي نشرته الشائعات لم يعتمد الرمز غير المكتوب فقط . بل انه كان في صميم الاعمال المكتوبة عبر اشكال كاريكاتورية . اضافة الى التصريحات اليومية للشيخ بيار الجميل التي تحدثت عن الاعتداءات والسرقات واعمال النهب واهانة الكرامات على الحواجز . كمبرر للمطالبة باخراج الردع . كانت هذه الشائعات مترافقة مع تطبيق الامن الذاتي .

Digitized by Birzeit University Library

عوامل الفشل ومحاولات الانقاذ

عوامل الفشل في الدعاية الانعزالية هي عوامل سياسية تستمد جذورها من استحالة المشروع السياسي الذي تحمله هذه القوى من هنا فان الاعلام السياسي شأنه شأن الاعلان التجاري لا يستطيع الترويج لبضاعة فاسدة . هذا مع العلم ان تأثيرا هاما ورئيسيا قد حدث على صعيد قسم من الرأي العام . الا ان انتشار هذا التأثير ظل محدودا نظرا لعوامل ترتبط بالمشروع السياسي نفسه الذي يتعامل مع المجموعات البشرية الاخرى بمنطق القهر السياسي والاقتصادي والاجتماعي . كما ان هذا التأثير في القيم الذي نجح نسبيا فيه لم يستطع الوصول الى تكريس مفاهيم ثابتة ، بل على العكس من ذلك ، فاي دعاية لا تستند الى اعمال واقعية تصبح اوهاما يهزأ بها الرأي العام ولو جرى حشر الاف الاعلاميين من اجل انجاحها . هذا من جهة ثانية فان الانهيارات التي اصابت المشروع السياسي الذي تحمله القوى الانعزالية قد ادى الى نتائج على الصعيد العام ، لكن هذه النتائج كانت اشد خطورة على المقاتلين الذين جرى اشباعهم بمفاهيم التفوق العنصرية ، وكانت نتيجة حالة الاحباط والعجز عن تحويل الطموح الى واقع قائم حالة من الهروب عبرت عن نفسها بانتشار المخدرات بشكل واسع .

والدعاية الانعزالية قامت خلال بناء علاقاتها مع القسم الاوسع من الرأي العام في المناطق التي تسيطر عليها ، باستحضار التراث الديني بما يضمه من شعوذة غيبية ومعجزات خارقة للعادة ، وكانت تربط دائما بين ما تطلقه في هذا السياق وبين مراحل المشروع السياسي الذي تحمل ، كما كان لحيانا كثيرة من اجل حث الشعب على الصمود . من هنا فقد برزت الحذراء في رحلة مقاتلة على جبهة المرتفعات لدعم الميليشيات ومار جرجس في اكثر من مكان في عين الرمانة ودير الاحمر وربما مرجعيون ايضا . وللمزيد من سوق المجتمع الى الحرب وتامين حالة الاستنفار والتماسك في القاعدة كانت نظرية مكافأة الدين للمقاتلين الذين شاركوا بالمعارك . فعندما بدأت الاسئلة الكبيرة عن الانجازات التي حققتها الحرب التي خاضها الكتائب والشمعانة قام هؤلاء بابتداع قصة الشاب الذي شفي من شلل اصابة في الهجوم على تل الزعتر كما ان ظهور القديس شربل في منطقة النبعة واثارة حالة تقترب من الهستيريا العامة كان يستهدف اعادة تجميع المسيحيين حول الجسم الانساني السياسي للطائفة وهو الموارنة . من هنا فان القديس شربل لم يتعامل معه بصفته قديس ماروني بل جرى التعامل معه انطلاقا من كونه قديسا لبنانيا . كما ان اثارة ظهور القديس شربل استفز مصداقيته في ذهن العامة من تطويب الفاتيكان له . وفي هذا السياق جاء تفسير نجاة الشيخ بيار الجميل من محاولة الاغتيال التي تعرض لها ، فقد تدخل يسوع ومد يديه ليمنع الكارثة ويحقق الحماية للشيخ بيار ومن معه من مرافقيه ، وكان قد فعل ذلك مع الشيخ امين . واندفع الاعلام الكتائبي للقول ان كل من يحارب الشيخ بيار وعائلته وكتائبه فكأنما يحارب الله والمسيح ومشيئتهما في منع الشر من الانتصار .

ان اعلاما وطنيا يستطيع لعب دور رئيسي في التأثير بالقاعدة التي يتحرك ضمنها المشروع الانعزالي على قاعدة «انسداد آفاق» المشروع السياسي الذي يحمله هذا الفريق لا سيما وان بوادر فكاك من التخدير الايديولوجي بدأت تتجاوز الافراد الى مجموعات سكانية كاملة ، فالتظاهرات التي

Digitized by Birzeit University Library

انطلقت في عين الرمانة وفرن الشباك والاشرفية اسقطت صورة المقاتل الانعزالي الذي يحمل سلاحه على المحاور دفاعا عن « الوجود المسيحي » في لبنان والمشرق في مواجهة طوفان الاعداء الذي يجتمعون لقهر الارادة « الوطنية » . لكن الشروط الاولية للعب هذا لاعلام دوره يمكن في امكانية الوصول الى هذا الجمهور وهذا لا يتم بمجرد امتلاك الوسيلة ، بل ان هذا الامر يستلزم اولا فهما دقيقا للمشروع الانعزالي وتناقضاته الداخلية بعد ذلك تاتي الوسيلة واشكال التعبير اللازمة في فضح وتعرية هذا المشروع وخطره على الجميع دون استثناء .

ان الاعلام الانعزالي وصل الى المقلب الثاني من المرتفع . فاذا كان هذا الاعلام قد نجح في خداع « كل » الناس بعض الوقت ، وبعض الناس كل الوقت ، الا انه بات اعجز من خداع كل الناس ولكل الوقت .

Digitized by Birzeit University Library

تعليق على

في ذكرى انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير المجيدة

الثورة التي لم تكتمل

« بس لو كان السلاح في يدنا
والمعارضة يد واحدة عندنا
كان ١٨ يناير في الشوارع
لسه حي ... »

احمد فؤاد نجم

تحل هذه الايام ذكرى واحدة من أعظم مواقع النضال التي خاضها الشعب المصري ، على امتداد تاريخه الباسل الطويل ، ذكرى انتفاضة ١٨ ، ١٩ يناير (كانون الثاني) المجيدة .

وككل حدث تاريخي كبير ، تظل هذه الموقعة أبدا ، مصدرا غنيا للدروس ، ومناسبة لا تنتهي لاستخلاص التجارب .. ففيها تكشف التاريخ بلحظات ، وتبلورت تراكمات سنين المعاناة الطويلة ، وتحددت ملامح المستقبل ، مرحلة فاصلة بين عهدين .. ومؤشر لدرب خلاص جديد ، صاعد بلا اناه نحو مدن الفرحة المقبلة . وكثيرة هي الكلمات التي يمكن أن تقال في هذه المناسبة . غير اننا سنركز الحديث على انعكاسين هامين لهذه الانتفاضة التي باتت تفاصيلها المدهشة ، معروفة للقاصى والدانى . فلعل أهم ما جاءت به هذه الانتفاضة الخالدة ، أنها حسمت لدى الكثيرين ممن توهموا امكانات اللقاء مع نظام السادات موقفهم منه .

فأولئك الذين عزتهم الشعارات ، وداعبتهم الاوهام ، وخدعتهم تفانين الكلام المنمق .. أصبحوا على حين فجأة أمام أمر جلل .. فاما أن يكونوا مع الشعب أو ضده ..وعليهم وحدهم تقع طائلة الاختيار .

وبمعنى آخر . فلقد طرحت انتفاضة يناير ، لاول مرة في تاريخ مصر الثلث قرن الاخير ، قضية السلطة على بساط البحث . لم يعد هناك من مفر .. فاما استمرار النضال مهما كانت الصعاب لازاحة الحكم المعادي للجماهير ،

Digitized by Birzeit University Library

الدموي الخائن ، واما الاصطفاف في صف واحد معه ضد كل أماني الوطن والشعب · ولا موقف وسط بينهما ·

أما بالنسبة للسلطة الحاكمة · فلقد كانت الانتفاضة السبب المباشر لارتمائها في احضان أمريكا والكيان الصهيوني الغاصب ·· واستسلامها المخزى لهما بلا قيد ولا شرط ·

تماما مثلما أرعبت ثورة العرابيين العظام ، خديوي مصر السابق «توفيق» ، فواجهها بالركوع تحت اقدام المحتل الانكليزي ·· كلاهما اختار ـ كأى حكم ديكتاتوري معادي للجماهير ـ ، ومن أجل حماية كرسية المهتز ·· أن يكون حليفا لاعداء الوطن وأعداء الحياة ·

★ ★ ★

« الثورة التي لم تكتمل » ··· ذلك هو بالتحديد أبلغ الاوصاف لما حدث في الـ « ٤٨ ساعة التي هزت مصر » في الشهر الاول من عام ١٩٧٧ · ليست مجرد هبة ، أو فوران ، أو عمل احتجاجي محدود ·· كانت ثورة هادرة اجتاحت مصر من أقصاها لاقصاها ·· وكانت كل الامور مهيئة لانتصار ساحق : الوضع الثوري ، الجماهير الحاشدة بالملايين في الشوارع ، تفكك جهاز السلطة واكتساح المد الشعبي لكل مواقعها ·

لكن ما جعلها « الثورة التي لم تكتمل » ، بدلا من أن تكون « الثورة المظفرة» هو نقص واحد خطير : **التنظيم** ·

لقد جهدت الحركة الوطنية الديمقراطية بمختلف روافدها من أجل الدعاية الثورية وسط الجماهير ، ولتعبئتها وتوعيتها طوال السنوات التي سبقت الانتفاضة ·· ومهدت الارض لانفجارها · لكن حين حدث هذا الانفجار ، كان مداه أوسع بكثير من القدرات التنظيمية للفصائل الديمقراطية ·· وهذا الامر أتاح للنظام فرصة امتصاص نقمة الجموع بسحب قرارات رفع الاسعار ، وانزال الجيش الى الشوارع ، واعلان حظر التجول ·

لم تكن هناك القيادة الحاسمة التي تقود الملايين في الشارع للاستيلاء على السلطة · ولم يكن هناك البرنامج المتكامل الذي تمتلكه الجماهير وتناضل من أجله · ولم يكن هناك ما تحتاجه عملية النضال الدامي الطويل من عدة وعتاد ، ومن سلاح وأدوات تكفل للشعب الانتصار ·

ولهذا كله ·· ظلت انتفاضة ١٨ ، ١٩ يناير ·· « الثورة التي لم تكتمل » ·

★ ★ ★

Digitized by Birzeit University Library

لكنها بالتأكيد كانت بروفة الثورة المقبلة ·

احداث هذين اليومين الخالدين لن تضيع هباء منثورا · انها تتراكم في رحم الشعب ، في ذاكرته الثورية ، ومن وعي طلائعه المقاتله ·

وتتراكم كذلك كل عوامل البؤس والتجويع والافقار والقهر والديكتاتورية ·· اضافة لعار الخيانه الوطنية والقوميه ·· لكى تضاعف عوامل الانفجار ·

« **النار في الشوارع** » ، تلك هي اشارة الميلاد التي ستنطلق من جديد ، مع مشرق يوم قريب على أرض مصر الابية ·

وهذه المرة ·· يجب ان تمتلك الجماهير قيادتها الجبهوية الموحدة ·

ويجب ان تمتلك الجماهير برنامجها السياسي ـ الاقتصادي ـ الاجتماعي المحدد ·

ويجب ان تمتلك الجماهير السلاح · ففي عصر « سلفادور الليندى» لا مجال للوهم بانتصار الحجة والموعظة الحسنة · فاذا تحقق هذا · والتقت روافد الطوفان القادم ·· ستنفجر أرض مصر الطيبة بالاعياد ومواسم الفرح والحصاد ·

لروح شهداء ١٨ ، ١٩ يناير المجد ·

ولكل مناضل على أرضها الطيبة المعزة والافتخار

وسلام على شعب مصر الذي كان دوما حصن الثورة وصانع المعجزات ·

أحمد المصري

Digitized by Birzeit University Library

الجبهة الوطنية المتحدة
دراسة في التجربة البلغارية

جميل هلال

عد سلسلة من الانتفاضات والثورات
دامية ، تم ، عام ١٨٧٨ ، تحرير بلغاريا
ن السيطرة العثمانية ، التي دامت خمسة
رون متتالية · وفتح هذا الانعتاق ، الطريق
ام تطور العلاقات الرأسمالية في البلد ونمو
بقة برجوازية محلية وتزايد حجم الطبقة
عاملة ، واخذت هذه الطبقات بفرز احزابها
سياسية · فكان تأسيس الحزب الشيوعي
بلغاري عام ١٨٩١ ، وتأسيس الاتحاد
زراعي الشعبي البلغاري عام ١٨٩٩ كحزب
فلاحين (بمختلف شرائحهم) · وفي
عام ١٩٠٣ انشقت الفئات الانتهازية اليمينية
ن الحزب الشيوعي مشكلة الحزب
اشتراكي الديمقراطي ·

بعد الحرب العالمية الاولى تفاقمت الازمة
رأسمالية وشهدت بلغاريا مظاهرات عمالية
سعة ضد سياسة التجويع التي سارت
يها السلطة البرجوازية الملكية الرجعية
حاكمة وضد محاولات الامبريالية جر
غاريا الى مواقف معادية للثورة الاشتراكية
ى الاتحاد السوفييتي · وشارك الفلاحون،
عمال في التحركات الجماهيرية المتواصلة
لتي تحولت عام ١٩١٨ الى انتفاضة عامة
شارك فيها الجنود · فقد جرت انسحابات جماعية من الجبهة الامامية وتوجه الجنود باتجاه العاصمة صوفيا ، حيث اصطدموا على مشارف المدينة بوحدات من الجيش الالماني ، كان الملك قد استدعاها لتحميه · ورغم فشل الانتفاضة في اسقاط النظام الا انها نجحت في هذه ، حيث استقال الملك لصالح ابنه ، وأعيد النظر في الحكومة الائتلافية وادخل فيها ممثلين عن حزب الفلاحين (الاتحاد الزراعي الشعبي) وممثلين عن الاشتراكيين اليمينيين، بالاضافة الى ممثلين عن الاحزاب البرجوازية الاخرى (كالحزب الديمقراطي، والحزب الراديكالي)·

أخطاء الحزب في فهمه لاسباب الانتفاضة اذ عزاها فقط الى التعب من الحرب ، غير مستوعبا الدوافع الثورية ورائها · كما انه لم يعمل على الدخول في مفاوضات ومباحثات مع الاتحاد الزراعي والقوى الديمقراطية من أجل تشكيل جبهة موحدة لمواجهة السلطة البرجوازية الرجعية الملكية . وبهذا لم يقم بدوره الطليعي القيادي في أخذ زمام المبادرة في الانتفاضة وتحويلها الى ثورة ضد الملكية والطغمة البرجوازية الرجعية الحاكمة ·

Digitized by Birzeit University Library

استمرت ازمة النظام في التفاقم ، اذ تدهورت اوضاع الزراعة والصناعة وتعاظم الهجوم على مكاسب الكادحين وخاصة الطبقة العاملة ، واستمرت التحركات الجماهيرية المطلبية . ونجح الحزب الشيوعي في تنظيم مظاهرة في اواخر العام ١٩١٩ تحولت الى اضراب استمر قرابة الشهرين . الا ان هذا الاضراب لم يتحول الى حركة جماهيرية واسعة ، مما ابرز ، بالنسبة للحزب الشيوعي ، اهمية التنظيم الطبقي الموحد للبروليتاريا وضرورة توحيد حركتها النقابية ودور الحزب القيادي داخلها .

البدايات المتعثرة

ادت الازمة الرأسمالية المتفاقمة وتعاظم نضال الطبقات الكادحة الى نجاح حزب الفلاحين (الاتحاد الاشتراكي الشعبي) في الانتخابات البرلمانية التي جرت في اذار عام ١٩٢٠ والى نجاح الحزب الشيوعي في المرتبة الثانية من حيث عدد الاصوات ، وعلى اثر هذا النجاح شكل الاتحاد الاشتراكي حكومة مستقلة دامت ثلاث سنوات . وهنا ساند الحزب الشيوعي الحكومة الزراعية في كافة الاجراءات التقدمية التي تبنتها (ضريبة تصاعدية سيطرة الدولة على تجارة الحبوب ، قانون انتزاع الملكيات للمصلحة العامة ، انتزاع ملكيات اشخاص اغتنوا بشكل غير شرعي ... الخ) من موقع العمل على تشكيل جبهة متحدة ضد القوى البرجوازية الرجعية . الا ان الموقف المتذبذب للاتحاد الزراعي (بفعل تاثير العناصر اليمينية داخله) ، ووقوع الحزب الشيوعي في اخطاء تكتيكية (دعوة اعضاء الاتحاد الزراعي مثلا الى العمل تحت راية الحزب) ... في مواجهة سياسة الحكومة الزراعية ادى الى تدهور العلاقات الجبهوية بين الحزبين في اواخر العام ١٩٢٢ واوائل العام ١٩٢٣ . وقد برز هذا التدهور في محاولة قيادة الاتحاد تمرير ، امام المجلس الوطني ، مشروع قانون ضد الشيوعيين ، اعتقادا من هذه القيادة بأن المعارضة البرجوازية اليمينية قد صفيت في البلد ، وان الخطر الرئيسي الذي يهدد الاتحاد هو الحزب الشيوعي ، كونه الحزب الثاني في البلد .

ان موقف الاتحاد هذا ، والاخطاء التكتيكية التي وقع فيها الحزب الشيوعي (والتي انتقد نفسه تجاهها فيما بعد ..) ادى الى شق القوى الديمقراطية في البلد والى فصل الجماهير الكادحة الفلاحية عن الطبقة العاملة . وامام هذا الشرخ الواسع في وحدة القوى الديمقراطية قامت الرجعية في حزيران عام ١٩٢٣ (وبمساندة مرتزقة ومساعدة بريطانية وايطالية) بانقلاب عسكري فاشي اطاح بالحكومة الزراعية وقتل اغلبية زعماء الاتحاد الزراعي .

وهنا وقع الحزب الشيوعي في خطأ تكتيكي فادح . ففي يوم الانقلاب وعلى اثر اجتماع للجنة المركزية للحزب قرر الحزب في بيان علني الوقوف على الحياد مبررا هذا الموقف الانتهازي اليميني بوصف الانقلاب يمثل اطاحة من قبل « ديكتاتورية المدن » بحكومة الاتحاد الزراعي التي تمثل « ديكتاتورية برجوازية القرية » ، متفاديا بهذا جوهر الاختلاف بين الحكومتين ، واستمر موقف الحزب الخاطيء هذا رغم المقاومة العفوية المسلحة التي قام بها الفلاحون والعمال في مواجهة الانقلابيين . لقد نجح الانقلاب ، وتمكن من سحق المقاومة العفوية . بفعل **تمزق** القوى الديمقراطية من جهة . وبفعل **وحدة** القوى الملكية البرجوازية الرجعية من جهة اخرى . لقد فوّت الحزب الشيوعي ، وكما اعترف فيما

Digitized by Birzeit University Library

بعد ، فرصة ثمينة من أجل اقامة التحالف بين العمال والفلاحين لخوض نضال مشترك ضد الانقلابيين ·

الجبهة العمالية المتحدة :

بعد تخليها عن موقف الحياد ، في اب ١٩٢٣ ، بدأت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاعداد للانتفاضة المسلحة بهدف اقامة حكومة عمالية ـ فلاحية وعبر تشكيل « جبهة متحدة للجماهير الكادحة في المدن والارياف ضد هجمة الرأسمال الوحشية » · وعلى اثر هذا القرار وجه زعيم الحزب الشيوعي ومؤسسه (ديمتري بلاغوييف) نداء الى كافة القوى المعادية للفاشية لكي تتحد في جبهة للعمل ضد هجوم رأس المال · وبناء على قرار من اللجنة المركزية كتب جورج ديمتروف (المناضل الاممي المعروف) سلسلة من المقالات حول بناء الجبهة المتحدة ومهماتها·

لقد أكد جورج ديمتروف في مقالاته هذه على جوهر الفاشية كونها تهدد مصالح وحقوق وحريات كافة الطبقات الكادحة والمثقفين العاملين والعناصر اللارأسمالية في المجتمع · مبينا بأن الفاشية لا تعني فقط مجرد العداء للشيوعية بل هي في الوقت ذاته عداء للشعب ، مهمتها السياسية تأمين مصالح الرأسمال وضمان نهب الجماهير الشعبية من الاقلية الرأسمالية · ولهذا فان الجبهة الموحدة هي تحالف بين الطبقات الكادحة واحزابها السياسية دون ان يعني هذا التحالف ، القائم على اساس برنامج عمل مشترك يعالج القضايا الحيوية لغالبية الشعب ، تخلي هذه الاحزاب عن اهدافها الاستراتيجية وهويتها التنظيمية وانظمتها الداخلية ودون ان يعني الغاء حق النقد المتبادل بين هذه الاحزاب المؤتلفة في الجبهة الموحدة · ان ما يجمع بين هذه الاحزاب هو مصالح البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة والتي تفصلها هوة ساحقة عن مصالح البرجوازية الرأسمالية · كما ميز جورج ديمتروف بين الجبهة الموحدة والتعاون الطبقي كونهما تكتيكان متعاكسان ومتناقضان · فالجبهة الموحدة تمثل عملا ونضالا مشتركا للجماهير الكادحة واحزابها السياسية ومنظماتها النقابية والجماهيرية في سبيل مطالب واهداف ملموسة لا يمكن تحقيقها الا عبر النضال ضد البرجوازية والرأسمالية وأحزابهما وليس عبر التعاون معهما · في حين لا يمثل التعاون الطبقي حتى في افضل اشكاله سوى « اخضاع احتياجات ومصالح الجماهير الكادحة للمصالح والاهداف الطبقية وللسياسة الطبقية البرجوازية لقاء مساومات مؤقتة تافهة مع احزاب او جماعات او حتى اشخاص معينيين » · ففي حين **توحد الجبهة** الموحدة جهود البروليتاريا وجميع الجماهير الكادحة للدفاع عن مصالحها وحقوقها ضد البرجوازية الرأسمالية ورجعيتها ، **يشتت** التعاون الطبقي صفوف الجماهير الكادحة ويقوض احزابها ومنظماتها ويسهل للبرجوازية انجاز اهدافها الاستغلالية ويساهم في تثبيت وتوطيد سيطرتها الطبقية على الاغلبية العظمى من الشعب ·

فالجبهة الموحدة تهدف الدفاع عن حقوق وحريات ومستقبل الشعب الكادح ، وهي ضرورية «لحماية الجماهير الشعبية وجميع المثقفين العاملين وسائر العناصر غير الرأسمالية ، من الاستغلال ، والنهب ، والاضطهاد الذي تمارسه الاقلية الرأسمالية» ومن اجل احباط ، ديكتاتوريتها العسكرية أو الفاشية المقيتة ، وليقيموا سلطتهم الشعبية الحقة » ·

لقد طرح الحزب الشيوعي موضوعة الجبهة العمالية الموحدة **علنا** وعلى الجماهير كما طرحها على الاحزاب الديمقراطية ،

Digitized by Birzeit University Library

والمنظمات النقابية والجماهيرية · وافق الاتحاد الزراعي على دخول الجبهة وخاصة وأن العناصر اليمينية كانت قد تركته وانضمت بعد الانقلاب الفاشي الى الحلف الحاكم (الذي مثل ائتلاف جميع الاحزاب الرجعية التي استولت على الحكم في انقلاب حزيران ١٩٢٣) · وفي الوقت ذاته اتخذ اتحاد الشبيبة الشيوعية الاجراءات لبناء جبهة واحدة للشباب وتوسيع العمل في صفوف الشبيبة لبناء جبهة متحدة للشبيبة العمالية والفلاحية ضد الفاشيه · في حين رفضت الاحزاب الاخرى (الاشتراكي الديمقراطي ، حزب الحرفيين والحزب الراديكالي) الدخول في الجبهة مفضلين التعاون الطبقي ، بعد قبول السلطة الفاشية لممثلين عنهم في الحكومة · ورغم هذا ، باشر الحزب الشيوعي والاتحاد الزراعي في تشكيل لجان الجبهة الموحدة في المدن والارياف ·

ردت الحكومة على تشكيل الجبهة العمالية المتحدة بتشكيل حلف بين احزاب البرجوازية اليمينية ، وبادرت في الوقت ذاته بتوجيه ضربة الى الجبهة ، قبل استكمالها واستكمال الاستعدادات للانتفاضة ، فقامت في اوائل ايلول باعتقال الالاف من مناضلي الحزب الشيوعي واغلقت مقراته ونواديه · ورغم هذه الضربة القاسية اعلن عن الانتفاضة بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩٢٣ ، وشملت عدة مناطق وشارك فيها الحزب الشيوعي والاتحاد الزراعي واعداد من العمال والفلاحين غير المنظمين ، وشكلت اللجان الثورية في المدن والقرى ·الا ان السلطة الفاشية تمكنت من قمع وافشال الانتفاضة. فالتحالف ، ضمن الجبهة الموحدة ، لم يرق في كافة المناطق الى تحالف صلب بين العمال والفلاحين · كمان ان المدن الرئيسية بقيت خارج المشاركة في الانتفاضة ، ولان القوى البرجوازية الرجعية واجهت الانتفاضة وهي موحدة ومستعدة ·

بعد فشل الانتفاضة المسلحة صعدت البرجوازية الرجعية هجومها على الشغيلة، فخفضت الاجور والفت القانون الذي يحدد يوم العمل بثماني ساعات ، وأجبرت الفلاحين على دفع الضرائب المتراكمة ، وفي الوقت ذاته ارتفعت اسعار المواد الاولية وانتشرت البطالة ·

ومع بدء الحزب في اعادة بناء نفسه ، باشر في اعادة الاتصالات مع الاتحاد الزراعي لاحياء الجبهة المتحدة · وتمكن من تشكيل لائحة مشتركة مع الاتحاد الزراعي وحزب الحرفيين لخوض انتخابات المجلس النيابي المقررة في ١٨ تشرين الثاني من نفس العام (١٩٢٣) ، وتمكنت لائحة الجبهة الموحدة من الحصول على ٥ر٢٠٪ من اصوات الناخبين في حين لم تنل المعارضة البرجوازية سوى ١٣٪ من الاصوات ·

وتسهيلا لتحركه السياسي والمطلبي قرر الحزب انشاء حزب شرعي (حزب العمل) وجريدة تنطق باسمه طارحا برنامجا ديمقراطيا · وخلال الفترة المحتدة حتى العام ١٩٢٩ انخرط الحزب ومعه الاتحاد الزراعي في بناء وتوسيع الجبهة الموحدة كما اشترك الحزب في كافة الانتخابات المحلية والفرعية والبلدية ·

الازمة الاقتصادية التي دخل فيها النظام الرأسمالي عام ١٩٢٩ امتدت لتشمل بلغاريا حيث اخذ الانتاج الصناعي في الانخفاض ، وانهارت اسعار المحاصيل الزراعية وانتشرت البطالة ورافق هذا تخفيض واسع في الاجور والرواتب · هذا الوضع رافقه اتساع في نضالات وتحركات الطبقة العاملة وكافة الكادحين مما زعزع حكومة الحلف الفاشية وبدأت التناقضات تنخر في صفوفها · فشكلت الاحزاب البرجوازية اليمينية كتلة لخوض الانتخابات البرلمانية في حزيران ١٩٣١ ونجحت في احراز اكبر

Digitized by Birzeit University Library

عدد من الاصوات (*) ، وشكلت على اساس هذا حكومة جديدة . وهنا وقع الحزب في تحليل خاطيء اذ وصف احزاب الكتلة الوطنية بأحزاب فاشية وبالتالي لم يعمل على تغيير تكتيكه بما يتلائم مع الظروف الجديدة (غياب الجبهة الوطنية واجتذاب بعض الاحزاب الاخرى كالحزب الاشتراكي الديمقراطي ، والجناح اليميني من الاتحاد الزراعي . فقد وصف الحزب الاتحاد الزراعي بأنه « طليعة الثورة الفاشية المضادة » ، والحزب الاشتراكي الديمقراطي بانه « السند الرئيسي للبرجوازية داخل الطبقة العاملة » . ان هذه المواقف الانتهازية اليسارية لم تساعد الحزب على جمهرة الاحزاب المعادية للفاشية ، بل أدت الى عكس هذا اذ ساد التفكك العلاقات بين هذه الاحزاب ، وبالتالي داخل الكتلة الوطنية وحتى داخل احزابها .

ان هذا الوضع المتفكك واستمرار الازمة الاقتصادية شجع القوى البرجوازية الفاشية على اغتنام الفرصة والقيام في ١٩ ايار ١٩٣٤ بانقلاب عسكري ، أطاح بالحكومة المنتخبة واقام ديكتاتورية عسكرية فاشية ، الغت الدستور ، وحلت الجمعية الوطنية والمجالس البلدية وحلت كافة الاحزاب ووضع نشاط المنظمات الجماهيرية والنقابية تحت رقابة الشرطة ، كما وباشرت بحملة ارهاب ضد الطبقة العاملة .

بناء الجبهة الشعبية المعادية للفاشية :

طرح عودة الفاشية للسلطة موضوع الجبهة الموحدة مجددا ، وجاء المؤتمر السابع للاممية الشيوعية (٢٥ تموز ـ ٢٠ اب ١٩٣٥) ليؤكد على اهمية انجاز الوحدة ضد الفاشية وتوسيع الجبهة الوطنية لتشمل كافة القوى الشعبية من احزاب ومنظمات المعادية للفاشية . وفي العام ١٩٣٦ وضع الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري الاجراءات الكفيلة لبناء الجبهة الشعبية المعادية للفاشية وتم الاتفاق مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي على برنامج عمل مشترك يركز على النضال من اجل الحريات الديمقراطية . كما بدأ في تشكيل جبهة عمالية موحدة ووضع لها برنامج يضمن وحدة العمل بين شتى المنظمات المهنية والنقابية للطبقة العاملة . وشارك في اللجان النقابية المشتركة اعضاء الحزب الشيوعي ، والحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي والاتحاد الزراعي واعضاء مستقلين على ان تستمر هذه اللجان في العمل ضمن النقابات الرسمية والاستفادة من الامكانيات الشرعية التي تتيحها هذه النقابات .

وهكذا اصبحت تظاهرات وتحركات الجبهة الشعبية مألوفة في النصف الثاني من العام ١٩٣٦ . واخذت اللجان التأسيسية المفتوحة لكافة القوى الديمقراطية والمعادية للفاشية في الانتشار في كافة المناطق . ومع انشاء هذه اللجان المحلية تشكلت لجنة تأسيسية مركزية لاستكمال بناء الجبهة على كافة المستويات . وتمكنت الجبهة الشعبية وتحت شعار العودة الى الدستور الديمقراطي من جذب ٢٠٪ من الاصوات في الانتخابات البلدية التي جرت في اذار ١٩٣٧ (أي بعد عام تقريبا من تشكيل الجبهة) .

وخاضت الجبهة الشعبية الانتخابات التشريعية التي جرت في اذار ١٩٣٨ بقوائم موحدة وبرنامج انتخابي موحد ركز على الحريات الديمقراطية والغاء القوانين

(*) احرزت الكتلة الوطنية ٦٠٠ ألف صوتا ، الحزب الحاكم (الحلف) ٤٨٠ ألف صوتا ، وكتلة العمل (الجبهة الوطنية) ، ١٧٠ الف صوتا .

Digitized by Birzeit University Library

الاستثنائية، حل المنظمات الفاشية، الاصلاح الزراعي ، وضع حد ادنى للاجور وضرائب تصاعدية على الدخل ، دعم التعاونيات. (برنامج يتضمن مطالب اوسع الفئات الديمقراطية في المدن والريف) . وتمكن مرشحو الجبهة من احراز نحو مليون من الاصوات (٢٨٪ من المقترعين) . وأولت الجبهة الشعبية (ومنظمات الحزب الشيوعي بشكل خاص) . اهتماما خاصا للعمل في المنظمات الجماهيرية والتعاونيات والمنظمات المهنية والمراكز الثقافية والمنظمات الرياضية ، باتجاه انتساب كافة اعضائها الى هذه المنظمات والمؤسسات وتوجيه نشاطها نحو الدفاع عن المصالح الاقتصادية والمطالب الملحة للجماهير . ونتج عن هذه السياسة اتساع نفوذ الجبهة الشعبية المضطرد داخل هذه المنظمات والمؤسسات . كما واصبحت العديد من قيادات هذه المنظمات والمؤسسات بيد الجبهة الشعبية .

الجبهة الوطنية تقود النضال ضد الاحتلال النازي :

في اذار ١٩٤١ عبرت القوات الالمانية الهتلرية المرابطة في رومانيا الدانوب وغزت البلد ، وتبع هذا حملات اعتقال واسعة وازدياد حدة القمع الفاشية. وبدأت سلطات الاحتلال النازي في احكام سيطرتها الاقتصادية والسياسية على البلد وتوجيه الثروات المعدنية والمواد الاولية نحو الصناعة الالمانية ، وتحويل بلغاريا الى قاعدة عسكرية وتموينية للنازية الهتلرية . (وصلت صادرات بلغاريا الى المانيا عام ١٩٤٤ الى ٨٧٪ من مجموع صادراتها ، وبلغت وارداتها من المانيا ٧٥٪ من مجموع الواردات) .

في ظل هذا الاحتلال اصبح اصطفاف القوى كالتالي :

- القوى الملكية الفاشية الحاكمة وترتبط مصالحها مع مصالح الرأسمال الاحتكاري الالماني . وتنفذ عبر اجهزة القمع المحلية ، السياسة الهتلرية ضد الاغلبية العظمى من الشعب .

- المعارضة البرجوازية اليمينية الشرعية. تمثل هذه مصالح البرجوازية المحلية المرتبطة بالرساميل الانجليزية والفرنسية . والتي تضررت مصالحها بسبب من الاحتكارات الالمانية ، الا انها معادية للقوى الديمقراطية والتقدمية .

- القوى الديمقراطية المعادية للفاشية والامبريالية .

بعد الاحتلال الهتلري لبلغاريا اعلن الحزب الشيوعي الكفاح المسلح ضد المحتلين ، وبدء في تنظيم فرق الانصار في المناطق والمصانع، وبدأت هذه العمليات العسكرية ضد قوات الاحتلال .

وطرح الحزب الشيوعي تشكيل جبهة متحدة ضد الفاشية لطرد المحتلين الالمان ، واسقاط الحكومة الخائنة وتشكيل حكومة ديمقراطية شعبية . الا ان التجاوب من الاحزاب الاخرى المعادية للفاشية كان محدودا . فقد رفض زعماء الحزب الاشتراكي الديمقراطي التعاون مع الحزب الشيوعي . وابدى جناح من الاتحاد الزراعي الشعبي تعاونا محدودا مع الحزب، في حين رفض الجناح الاخر التعاون . الا ان موقف هذه الاحزاب اخذ بالتغير بعد الضربة التي وجهها الجيش الاحمر للجيش الهتلري قرب موسكو في اواخر العام ١٩٤١ وبعد التحالف بين الاتحاد السوفييتي وانجلترا والولايات المتحدة ضد النازية الهتلرية .

وفي تموز ١٩٤٧ طرح الحزب الشيوعي برنامجا للجبهة الوطنية مركزا على رفض الدخول في الحرب الهتلرية وسحب القوات البلغارية ضد الشعب الصربي والمقاطعة الاقتصادية لالمانيا ودول المحور الاخرى ،

Digitized by Birzeit University Library

ودعا للنضال من أجل اعادة الحريات السياسية والديمقراطية وحل المنظمات الفاشية واطلاق سراح المعتقلين من قبل الفاشية والهتلرية وضمان العمل لسكان الريف والمدن . ودعا البرنامج الى تشكيل حكومة وطنية . لقد استهدف برنامج الجبهة الوطنية ، مقارنة مع برنامج الجبهة الشعبية، اشراك فئات اوسع من المجتمع (الفلاحين المتوسطين ، القوات المسلحة ، البرجوازية المتوسطة وحتى فئات من البرجوازية الكبيرة غير الفاشية) من حيث كونه يخاطب مصالح اوسع فئات الشعب ويحدد قضاياها ومطالبها المباشرة والملحة .

بقيت الاحزاب البرجوازية مترددة في الانضمام الى الجبهة الوطنية حتى اواخر العام . رغم هذا استمر الحزب في بناء اللجان الوطنية العديد من المناطق والمصانع والمنظمات الجماهيرية، وباشرت العديد من هذه اللجان في اصدار جرائد ونشرات سرية تشرح البرنامج وتوضح أبعاد سياسة الديكتاتورية الفاشية وتدعو الفلاحين على التمرّد في دفع الضرائب ، وتحرض العمال على الاضراب المتقن في مختلف المصانع وعلى النضال من أجل زيادة الاجور ..الخ. واستمرت حركة الانصار في كفاحها المسلح ضد الهتلرية المحتلة . ومع تزايد عمليات الانصار ونشاط اللجان الوطنية اتسعت حركة الجماهير المساندة لها والمساعدة لفرق الانصار .

ومع اتساع الجبهة الوطنية (التي اصبحت تضم في منتصف عام ١٩٤٣ عددا من الاحزاب الديمقراطية واعدادا كبيرة من المستقلين بالاضافة الى عدد من ممثلي المنظمات الجماهيرية) ، تشكلت لجنة مركزية للجبهة اخذت تصدر نشرة دورية ساعدت على التنظيم الافضل للجان الوطنية. وقد اظهرت اللجنة المحلية للجبهة الوطنية قدرة واسعة على الحركة في الدفاع عن مصالح الجماهير الاقتصادية والسياسية المباشرة وفي مساعدة حركة المقاومة. فاقت بكثير نشاطية وحركة قيادة الجبهة الوطنية بسبب سياسة الاحزاب البرجوازية التي بقيت تعارض الكفاح المسلح وتتخوف من « بلشفة » النضال المعادي للفاشية .

ومع نهاية العام ١٩٤٣ وبداية العام ١٩٤٤ اصبح للجان الجبهة الوطنية تواجد نشط داخل الجيش .

وهكذا عندما بدأ تقدم الجيش السوفييتي في صيف ١٩٤٤ باتجاه الحدود البلغاريا ، كانت لجان الجبهة الوطنية قد عمت مناطق البلد وتمرست في النضال واصبحت المقاومة المسلحة (فرق الانصار) تملك القدرة على الانتقال من مرحلة الدفاع الى الهجوم . في اواخر اب ١٩٤٤ اعطت هيئة اركان الجيش الثوري امرا الى كافة وحدات الانصار بالبدء بالاعمال الهجومية والمباشرة في اقامة سلطة محلية للجبهة الوطنية . واعقب الجبهة الوطنية هذا بيان يطالب الحكومة بالاستقالة الفورية ، داعية الى تشكيل حكومة شعبية للجبهة الوطنية .

الاستيلاء على السلطة وتصفية الرجعية

احدث وصول الجيش السوفييتي الى الحدود البلغارية (٣١ اب ١٩٤٤) ارتباطا في صفوف الطغمة الفاشية الحاكمة . فأعلنت الحياد ودعت الاتحاد الزراعي للعودة للسلطة محاولة بهذا انقاذ مواقع البرجوازية المهيمنة . الا ان اللجنة الوطنية (*) دعت

(*) كانت اللجنة الوطنية للجبهة الوطنية مشكلة في بداية ايلول ١٩٤٤ كالتالي : ٨ شيوعيين ، ٦ من الاتحاد الزراعي ، ٥ ممثلين عن مجموعة زفنو (من الضباط والمثقفين) ، ومستقلين .

Digitized by Birzeit University Library

الى اسقاط الحكومة واقامة سلطة الجبهة الوطنية وتبع هذا اضطرابات وتظاهرات في كافة انحاء البلاد تحت شعار « السلطة للجبهة الوطنية » وبدأت لجان الجبهة الوطنية في الاسبوع الاول من ايلول ١٩٤٤ في الاستيلاء على السلطة في عدد من القرى بمساعدة فرق الانصار . وفي ٨ ايلول تشكلت حكومة الجبهة الوطنية (*) واعلنت الانتفاضة الشعبية الشاملة في ليلة ٨ ـ ٩ ايلول تنفيذا لخطة وضعها المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي واللجنة الوطنية للجبهة الوطنية وهيئة اركان الجيش الثوري . واعتقل وزراء الحكومة الفاشية وتم احتلال الاذاعة والبريد والمحطة ومفوضيات البوليس والادارات الهامة ، وبدء فورا في تشكيل هيئة اركان المليشيا وانتقلت وحدات الجيش للعمل تحت قيادة هيئة الاركان .

لقد تكللت نضالات الجبهة الوطنية من اجل اسقاط الفاشية واقامة حكومة وطنية بالنجاح بفضل النشاط الدوب للحزب الشيوعي في بناء وتوسيع الجبهة الوطنية بحيث تشترك كافة القوى الديمقراطية وبفضل نضاله المتواصل من أجل تحويل هذه الجبهة الى قوة فاعلة بين الجماهير عبر بناء وتشكيل اللجان المحلية في القرى والمصانع وداخل المنظمات الجماهيرية والجيش ، بحيث اصبحت هذه القيادة المباشرة للجماهير الشعبية والمدافع الامين عن مصالحها ومطالبها السياسية والاقتصادية المباشرة . كما برز الحزب الشيوعي كطليعة المدافعين عن الوطن والمناضلين ضد الفاشية عبر تشكيله لفرق الانصار في الوقت الذي بقيت القوى البرجوازية مترددة حيال النضال المسلح حتى اللحظات الاخيرة . لقد تعلم الحزب من تجاربه واخطائه السابقة التي بدأت في محاولات بناء الجبهة العمالية المتحدة ، ثم بناء الجبهة الشعبية وصولا الى بناء الجبهة الوطنية وعمل وعلى امتداد الفترة منذ ٣٦ وحتى ١٠ ايلول ١٩٤٤ على مراكمة القوى الذاتية وجمهرة اوسع قطاعات الشعب حول الجبهة المتحدة ، محددا الاشكال النضالية على ضوء متطلبات كل مرحلة ومعلنا الانتفاضة الشاملة في اللحظة المناسبة : توفر مستلزمات النجاح حيث فرق الانصار في قمة نضالاتها وصعودها . اللجان المحلية للجبهة الوطنية مشكلة وناشطة في كافة المناطق والمواقع ، الحكومة الفاشية مربكة ومفككة . العوامل الخارجية ـ المتمثلة بموقف الاتحاد السوفييتي ووصول الجيش السوفييتي على الحدود وهزائم المانيا الهتلرية ـ لصالح القوى الديمقراطية والثورية في البلد وبشكل حاسم .

بعد استلامها السلطة ركزت الجبهة الوطنية على انجاز مهمة سحق بقايا الفاشية في الداخل (تطهير جهاز الدولة والجيش ، ضرب الاحتكارات ، بناء جهاز تعليم ديمقراطي) واعادة الحياة للاقتصاد الوطني المنهوب والمدمر ، بالاضافة الى تقوية الوحدة الوطنية عبر توحيد كافة القوى الوطنية والديمقراطية تحت راية الجبهة الوطنية ، وتطوير علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفييتي .

منذ لحظة استلام الجبهة الوطنية للسلطة بدأت البرجوازية ـ وبشكل خاص العناصر والفئات اليمينية فيها ـ العمل على عرقلة عمل الجبهة الوطنية وتفتيت الوحدة الوطنية، فبدأت تدعو الى حل اللجان المحلية للجبهة الوطنية وخلق المشكلات داخلها وبدأت

(*) تشكلت حكومة الجبهة الوطنية حسب التمثيل التالي : ٤ شيوعيين ، ٤ اتحاد زراعي ، ٢ اشتراكيين ديمقراطيين ، ٤ مجموعة زفنو ، ٢ مستقلين .

Digitized by Birzeit University Library

العناصر اليمينية داخل الاتحاد الزراعي تردد اطروحة السلطة الفلاحية- المستقلة . كما أخذت تطلق تحت شعار السلام وايقاف الحرب عودة الجنود البلغار الى بيوتهم في الوقت الذي كان فيه الجيش البلغاري يخوض معارك رابحة ضد بقايا الجيش الهتلري في يوغسلافيا والشعب البلغاري معبأ تحت شعار « كل شيء للجبهة ، كل شيء للنصر » .

وأخذت البرجوازية تدعو لاخراج الشيوعيين من الجبهة الوطنية .

وبدأت الفئات والعناصر اليمينية تعمل على تجميع وتكتيل ذاتها ومن هنا طالبت بتأجيل الانتخابات النيابية المقررة في ٢٦ اب ١٩٤٥ من أجل كسب الوقت لتقوية نفسها . وبالفعل أجلت الانتخابات بفعل ضغط من ممثلي انكلترا والولايات المتحدة المتواجدين في اللجنة الحليفة المراقبة في صوفيا. ورغم مطالبتها المجددة بتأجيل الانتخابات المقررة بتاريخ ١٨ - ١١ - ١٩٤٥ ، ومقاطعتها للانتخابات فقد تمت الانتخابات في موعدها وشاركت احزاب الجبهة الوطنية في لائحة مشتركة واظهرت نتائج الانتخابات نجاحا متقدما للحزب الشيوعي (*) . وصوت نحو ٨٩٪ من الناخبين لصالح قائمة الجبهة الوطنية .

وتابعت الجبهة الوطنية خطواتها في احداث التغيرات الديمقراطية في البلد ، فتم الغاء الملكية بعد استفتاء شعبي واعلنت جمهورية بلغاريا الشعبية في ١٥ ايلول ١٩٤٦ ، وتلى هذا طرح مشروع دستور جديد للبلاد ، وجرت انتخابات للجمعية الوطنية للجبهة الوطنية نال فيها الحزب الشيوعي ٣٥٪ من الاصوات والمعارضة اليمينية نحو ٣٩٪ من الاصوات. وكلفت الجمعية الوطنية جورج ديمتروف بتشكيل الحكومة الجديدة . وتابعت الجبهة الوطنية اجراءاتها لاضعاف القاعدة الاقتصادية للمعارضة اليمينية ، فأصدرت الجمعية الوطنية قانونا يسمح بمصادرة الاملاك المحققة عن طريق المضاربة وبصورة غير شرعية ، وأعلن في كانون الاول ١٩٤٧ تأميم الصناعة والمناجم والمصارف وتم تصفية القطاع الخاص في التجارة الداخلية وتجارة الجملة وانتزعت ملكية الابنية العقارية الكبرى في المدن - وهكذا اخذ القطاع العام (الاجتماعي) يتوسع باضطراد على حساب القطاع الرأسمالي . ولم تكتفي الجبهة الوطنية بحصر هذه الاجراءات كاجراءات قانونية - ادارية بل كانت ترافق كل خطوة من هذه الخطوات بنشاط توضيحي ودعاوي كبير من قبل اللجان الوطنية .

التحول الى منظمة جماهيرية تبني الاشتراكية

بعد انجاز مهمة تقويض الاسس المادية للرجعية المحلية واضعافها ، طرح الحزب الشيوعي برنامجا جديدا على الجبهة الوطنية حدد فيه المهمة المركزية امام المجتمع ببناء الاشتراكية ، وتحويل الجبهة الوطنية الى منظمة اجتماعية سياسية موحدة للقوى المناهضة للامبريالية . وجرى قبل المؤتمر الثاني للجبهة الوطنية حملة تعبوية واسعة ومتعددة الجوانب بالمهمات الجديدة (زيادة القوة الانتاجية ، تأمين الغذاء للشعب ، فرق العمل التطوعي ..) وأقر المؤتمر الثاني للجبهة الوطنية تحويل الجبهة الوطنية الى منظمة سياسية اجتماعية شعبية موحدة،

(*) كانت النتائج كالتالي : ٩٦ شيوعيا ، ٩٦ من الاتحاد الزراعي ، ٤٦ من مجموعة زفينو ، ٣١ من الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، ١١ من الحزب الراديكالي ، ١ مستقل .

Digitized by Birzeit University Library

تنظم علاقاتها الداخلية على قاعدة المركزية الديمقراطية وتقوم تشكيلاتها القاعدية على اساس الموقع (لمنع ازدواجية العمل في [illegible] والادارات ..) ويكون الانتماء افرادي . كما يسمح النظام الداخلي للجبهة للجميع بالانضمام للمنظمة باستثناء الافراد المتعاطفين مع الرجعية والذين شاركوا في ملاحقة وقمع المناضلين ضد الفاشية والذين ساندوا النظام الفاشي . كما اكد النظام الداخلي على ان كل عضو يفصل من عضوية المنظمة المحلية او لا يقبل فيها لا يستطيع ان يكون عضوا في اي حزب من احزاب الجبهة . وبهذا اصبحت قرارات الجبهة الوطنية ملزمة للاعضاء كأفراد ، وملزمة للاحزاب السياسية والمنظمات الجماهيرية المنتسبة اليها .

ان هذا يعني ان الجبهة الوطنية لم تعد كما في السابق ائتلافا بين احزاب وقوى ديمقراطية ووطنية بل اصبحت منظمة موحدة، وتحولت عمليا الى اتحاد بين شغيلة المدن والريف تحت قيادة الطبقة العاملة، واصبحت الجبهة الاطار الجماهيري الذي يمارس عبره الحزب الشيوعي مهمة تعبئة قوى الشعب لبناء الاشتراكية والرقابة الاجتماعية على المؤسسات الدولية وحماية الحريات الديمقراطية .

ان التغيرات الاقتصادية والسياسية التي ادخلت على البلد ، بالاضافة الى التغيرات في الشكل التنظيمي للجبهة الوطنية وفي وظائفها السياسية والاجتماعية لم تعني تقويض الاسس المادية والايديولوجية للقوى البرجوازية الرجعية فحسب ، بل قوضت ايضا اسس استمرارية الاحزاب البرجوازية واحزاب البرجوازية الصغيرة . وهكذا تم خلال عامي ٤٨ و ٤٩ ، اعلان الحزب الشيوعي الديمقراطي عن تبنيه للماركسية ـ اللينينية وانضمامه للحزب الشيوعي ، واعلان الاتحاد الزراعي تخليه عن سياسته وايديولوجيته السابقة وتبني برنامج بناء الاشتراكية ، واعلان الاتحاد الشعبي (مجموعة زفينو) عن حل نفسه وتبني برنامج الجبهة الوطنية والانضمام الكامل اليها ، واعلان الحزب الراديكالي كذلك الانضمام للجبهة الوطنية والتزامه بالبناء الاشتراكي واعترافه بالحزب الشيوعي البلغاري كطليعة للطبقة العاملة .

وهكذا تحولت الجبهة الوطنية الى منظمة جماهيرية واسعة يمارس عبرها ومن خلالها الحزب الشيوعي دوره القيادي في التعبئة السياسية والاقتصادية ودورة التربوي والتثقيفي ، وفي اشراك الجماهير في ادارة البلاد وفي الرقابة الاجتماعية على اجهزة الدولة والادارات الاقتصادية. (أي ممارسة الديمقراطية الشعبية) .

لقد نمت الجبهة الوطنية لتصبح اكبر منظمة اجتماعية سياسية في البلد يقع على عاتقها مهمات كبيرة على صعيد تجسيد الوحدة الفكرية السياسية للشعب وعلى صعيد اشراك الشغيلة مشاركة اوسع في مناقشة وتقرير السياسة الاقتصادية والاجتماعية للبلد وفي الرقابة الاجتماعية على ادارة الدولة ومؤسساتها وتطوير الادارة الذاتية للمجتمع بالاضافة الى دورها الاساسي في خلق الانسان الاشتراكي والتعبئة الجماهيرية في تنفيذ خطط بناء المجتمع الاشتراكي المتطور . ان بناء الاشتراكية المتقدمة غير ممكن دون ترسيخ وتوطيد الديمقراطية الاشتراكية . وهذه غير ممكنة دون ممارسة لجان الجبهة الوطنية لدورها الكامل .

ان تجربة الجبهة الوطنية في بلغاريا ، تجربة غنية وفيها العديد العديد من الدروس للثورة الفلسطينية والاحزاب الثورية العربية . فقد لعبت دورا اساسيا في كافة مراحل النضال وتحددت اشكالها ووظائفها

Digitized by Birzeit University Library

على ضوء كل مرحلة نضالية . ان الدرس الرئيسي من هذه التجربة يؤكد على الدور الطليعي للاحزاب الثورية التي بدونها وبدون مبادراتها وبرامجها التي تحدد في كل مرحلة المهمة المركزية للنضال ، وبدون نشاطها على صعيد القاعدة الجماهيرية وتعبئتها بمهمات النضال لا تقوم الجبهة الوطنية كشرط رئيسي من شروط الانتصار .

المرجع :

- جورجي ديمتروف ، **في الجبهة الوطنية الموحدة** ، بيروت ، دار الطليعة ١٩٧١ .
- فلاديمير بونيف ، **تجربة الجبهة الوطنية في بلغاريا** ، ترجمة د. خليل احمد خليل وفؤاد شاهين . اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، دار العودة - بيروت، ١٩٧٤.
- نيديو نيديف ، **الديمقراطية الشعبية (التجربة البلغارية)** ، دار ابن خلدون (دليل المناضل) ، ترجمة غضبان السعد . دون تاريخ .
- بيترا دينكوفا ، **جورجي ديمتروف ، سيرة حياة موجزة** ، صوفيا برس ١٩٧٨ .
- بينتشو كوبادينسكي، **دور الجبهة الوطنية في بلغاريا المعاصرة**. صوفيا برس ١٩٧٨.
- ديميتر كاليف ، نقابات العمال في بلغاريا ، صوفيا برس ١٩٧٦ .

Georgi Dimtrov; **Selected Works**. VOL 1, 11, III. Sofia Press 1972

Digitized by Birzeit University Library

اقرأ في العدد الخامس عشر من

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية متخصصة تبحث في التاريخ العربي

في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير

المستشار : د. انيس صايغ

- الاصلاح والتطور بقلم الشاذلي القليبي .
- ٣ لقاءات مع جمال عبد الناصر بقلم د . انيس صايغ
- ابتهاج قدورة رائدة النهضة النسائية في القرن العشرين بقلم د . فايزة سعد الدين رمضان
- الاسس العثمانية للشرق الاوسط الحديث بقلم د . البرت حوراني
- منابع الحضارة الاوروبية الحديثة بقلم د . محمد مخزوم
- وثائق من التاريخ : الصراع الدرزي ـ الماروني عام ١٨٤١ بقلم د . وجيه كوتراني
- ملف الوطن العربي : العراق اعداد « قسم الابحاث والدراسات »
- معركة سادوفا ١٨٦٦ اعداد شذا عدرة .

صدر العدد الاول في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨

تصل اعدادها الى ايادي نحو ٥٠٫٠٠٠ قارىء عربي

الاشتراك السنوي (بالبريد الجوي)

للافراد في لبنان	٥٠ ل.ل
للافراد في الدول العربية	٧٥ ل.ل
للافراد في دول العالم الاخرى	١٥٠ ل.ل
للمؤسسات والدوائر الحكومية في لبنان	١٥٠ ل.ل
للمؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل
للمؤسسات والجامعات ومراكز الابحاث خارج العالم العربي	٧٥ دولارا

العنوان : بناية ابو هليل ـ شارع السادات ـ بيروت ـ لبنان

ص.ب. / ٥٩٠٥ / هاتف : ٨٠٠٧٨٣

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

Digitized by Birzeit University Library

تعليق

بمناسبة انطلاقة الثورة الفلسطينية

نظرة على الوضع العربي

تتلاحق الاحداث السياسية في المنطقة من أواسط آسيا حتى أقاصي المغرب العربي بسرعة (غير عادية) . لكن هذا التسارع في الاحداث على اي حال هو امر منطقي ولا يتناقض وطبيعة الاشياء وضرورات التغيير الملحة ، بعد حالة التردي الشاملة التي وصلت اليها المنطقة على مدى السنوات الاخيرة .

لقد اتضح فشل مرحلة الجزر والانحدار الوطني بتوقيع معاهدة الصلح المصرية ـ الاسرائيلية وانتهى دورها تاريخيا بوقوع حرب الثمانية ايام في الجنوب اللبناني (الحرب الخامسة) في نيسان / ١٩٧٨ وباعتبار ما يعنيه انتصار الثورة الايرانية (عربيا) في شباط / ٧٩ ـ بقي ان تنتهي هذه المرحلة من تاريخ المنطقة العربية عمليا .

وبهذا المعنى فنحن الان نجتاز مرحلة انتقالية دقيقة وخطيرة ، ما بين الخيط الاسود والابيض ـ أو هكذا يفترض ـ توازي ـ ان لم تفق في اهميتها ـ مرحلة ٤٨ ـ ١٩٥٢ ـ ... تلك المرحلة الانتقالية التي مهدت لمرحلة المد الثوري الوطني في المنطقة حيث انطلقت الثورة الفلسطينية (في مطلع عام ٦٥) ... والمرحلة الانتقالية الجديدة ـ التي تمر ـ ، مختلفة عن مرحلة ٦٧ ـ ٧٠ الانتقالية ـ او هكذا يفترض ـ والتي جاءت بمرحلة الانحسار والتراجعات ..

لقد كان (قدر) الثورة الفلسطينية ، باستثناء سنتيها ، الاولين انها جاءت في معظم اعوامها ، في مرحلة التراجع العربي العام أو في مرحلة (الاعداد له) ، فقدم شعبنا على مذابح « الاشقاء » اضعاف ما قدمه على مذابح الاحتلالين الانكليزي والاسرائيلي ... ، وكان (قدرها) ربما ، حتى في سنتيها الاولين ان تعاني من تحفظات بعض « الاشقاء » بل ومطارداتهم ورصاصهم ...

وفي مرحلة الهزيمة ـ المرحلة الانتقالية (٦٧ ـ ٧٠) وجدت الانظمة فيمن كانت تطاردهم ـ قسرا ، مخرجا لها ، لتغطية عجزها واشغال الناس عنه ، فبدأ اعلامها مبالغا ، وبدا للناس العاديين ان المقاومة ـ الثورة ، امر غير عادي، وهي كذلك ـ مثلا ـ في ليل الهزيمة الطويل ... ومع هذه الصورة والمؤامرات الخارجية والاخطاء الداخلية ، كان الاستعداء الرسمي من قبل بعض الانظمة ازاء شعبنا وثورته ،يتصاعد، واغلقت الستارة عربيا مع اواخر عام ٧٠ وأوائل عام ٧١ ، في اكثر من قطر عربي ، على مرحلة المد الوطني ، لتبدأ عمليا مرحلة الردة ...

ورغم ان هذه المرحلة ـ الردة ـ حاولت ان تشغل الناس بتفاصيل حياتها اليومية ومصالحها الآنية ، بعيدا عن القومية الى الاقليمية ، وبعيدا عن المشاعر الوطنية العريقة الى الطائفية وعن الانتاج الى الاستهلاك وعن فلسطين الى القطرية والصراعات العربية ـ العربية ـ ... وعن توسيع قاعدة الاصدقاء وسياسة التحالف مع النقد في التعامل مع الحلفاء ، الى فتح ابواب العواصم للنفوذ الامبريالي امريكيا وغربيا على مصراعيه : سياسيا واقتصاديا

Digitized by Birzeit University Library

وثقافيا ·

وبدلا من التعاون العسكري والتنسيق الامني (عربيا) في سبيل القضايا الاستراتيجية جرت تدخلات عسكرية عربية (الى درجة التدخل في الشؤون الداخلية لهذا البلد او ذاك) لاسقاط تطلعات وطنية هنا وهناك · وعندما كانت الانظمة العربية تعجز عن تحقيق الغطاء ··· يلجأ نظام قابوس ـ مثلا ـ لشاه ايران لحمايته ·

تلك هي بعض ملامح مرحلة (الردة) ـ الهزيمة الحقيقية ـ والتي لم تكن زيارة السادات للقدس المحتلة ، الا واحدة من ذراها السوداء ، في تاريخ هذه الامة المعاصر ·· بل ان توقيع معاهدة الصلح الخيانية كشفت هذه المرحلة نهائيا واظهرت عجزها ، وجاءت حرب الايام الثمانية في جنوب لبنان لتضع تاريخيا حدا لتلك المرحلة ·

ومن قبل ان تصل المرحلة لتلك الذروة ، كانت ملامح نهاية المرحلة ـ تاريخيا ـ واضحة · مع اشتداد الثورة الايرانية وقد قصم انتصار الثورة الايرانية (شباط ٧٩) آخر حلقة من حلقات الردة ، موضوعيا ، ورسم ملامح المرحلة القادمة الايجابية ·

وفي تقديرنا ، لو كانت ثورة ايران ، ثورة عربية ، ولو كانت من قبلها حرب الثمانية أيام « بنتائجها » حرب شاملة عربية ـ اسرائيلية · لكان انتهاء مرحلة الردة تاريخيا وعمليا قد تما في آن معا···

اننا الان نجتاز ، ربما ، أصعب مرحلة في التاريخ المعاصر لامتنا العربية بعامة ، وتاريخ شعبنا الفلسطيني بخاصة ···

ويزيد من صعوبة المرحلة ، ان حسم الصراع المركزي مع العدو ·· لم يعد ملك ساحة الصراع المركزية ، فبخروج سادات مصر بالشكل الذي تم ودخول لبنان منذ عام ١٩٧٥ في حلبة الحرب الداخلية والتجزئة وتطور الاوضاع الداخلية أخيرا في سورية ·· على النحو الذي تتم عليه الامور لاضعاف رفضها لكامب ديفيد ، وبحالة الحصار العامة (عمليا) التي تعاني منها الثورة الفلسطينية ··· فقد خرجت ساحة الصراع المركزية من عنصر الحسم والفعل في الساحات الاخرى ، العربية ، الى عنصر التلقي والتأثر ، وانتظار نتائج الحسم في الساحات (الداخلية) ـ العربية والمحيطة ، وبخاصة ان انتصار الثورة الايرانية ـ والتأثيرات النفطية والاقتصادية والسياسية والعسكرية التي سببها نظام حكم الشاه باشكال مختلفة ··· ومجموع النتائج المترتبة ··· ومنها اوضاع جميع دول ودويلات الخليج ··· كل ذلك شكل مركزا هاما ودقيقا للصراع ، ويتزايد تأثير هذا المركز « الجديد » ، الى درجة انه اصبح الساحة الاكثر اهمية ـ بنتائجها ـ على مستقبل الصراع في المنطقة ـ المركز ، في حسم اوضاع الفترة الانتقالية ان سلبا أو ايجابا ·

وثمة ساحات اخرى ، بدرجة ثانية من الاهمية ، لكن نتائج الصراع فيها ستكون غاية في الاهمية ، بالنسبة لساحة الصراع المركزية ضد العدو الوطني الاول (اسرائيل)، ليست بكونها كذلك فحسب ، وانما ايضا باعتبارها التجسيد المادي الواقعي للامبريالية العالمية والثورة المضادة في المنطقة ـ وهذه الساحات هي ساحة الصحراء الغربية وساحة السودان (المقبلة على تطورات غاية في الخطورة) والساحة الارتيرية (والتي يزيد وضعها خطورة ، الاستغلال البشع الذي تتعرض له من قبل الرجعية العربية وفي المقدمة السودانية منها) واصرار نظام حكم هيلا مريام على التعامل مع الارتيريين من موقع القوة ، دون ان يدرك ان الانتصار العسكري النظامي الذي حققه ضد نظام ، سياد بري ، لم يوقف بعد حرب العصابات ولن يوقفها حل عسكري من

Digitized by Birzeit University Library

جانب اي نظام ... وان الامر يمتد ليشمل رقعة اوسع ، بحيث يبدو فيه الامر مقلوبا في بعض جوانبه ومشوها ، وكأن السوفييت واثيوبيا واليمن الديمقراطية في جانب والرجعيات السعودية والمصرية والسودانية ومعها الصومال والثورتين الصوماليـة والارتيرية في جانب آخر - وهو الامر ،الذي يفتح جبهة للصراع خطيرة ضد اليمن الديمقراطية من جهة وتشويه طموحات الارتيريين والصوماليين من جهة اخرى .

ذلك بالرغم من ان طريق اديس ابابا ، عدن ومقديشو وشعبا الصومال الغربي وارتيريا - ينبغي ان يكون واحدا - ضد الرجعيات السودانية والمصرية والسعودية ومحاولات الابتزاز ، وضد جر المنطقة الى سياسة المحاور ، والتعامل مع الاصدقاء كل الاصدقاء ، على قاعدة المساواة وعدم الانحياز والاحترام المتبادل والمصالح المشتركة .

ان جبهة القرن الافريقي - مضيق باب المندب - أعالي النيل تشكل نقطة ضعف خطيرة في خيارات الحسم والتأثير الايجابي والمنطقي - فالحدود والتمايزات غير واضحة ، متداخلة ومرتبكة ، يسودها التشويش والالتباس بل والتشويه - وهو الامر الذي ينبغي ان يتدارك ، ويفهم بشمولية تتجاوز المطامع والمطامح للامبراطوريات السابقة - والشعوب المتطلعة الى حرياتها - وليس في صالح القضية الوطنية بل والتقدمية استمرار حالة (الالتباس) والتشرذم القائمة في تلك المنطقة .

ان مؤتمر القمة العربي الاخير ، تحاشى الدخول كعادته في قضايا الحسم ، ولعلها تلك (عادته) منذ المؤتمر الاول (عام ٦٤) ، فبدلا من ان يضع - مثلا - خطة استراتيجية لمواجهة العدو وضرب عملية التمويل ذاتها ، اتخذ قرارا بتحويل مجاري نهر الاردن ، حتى هذه العملية ، كانت متعثرة - وكان احتلال عام ٦٧ ، كفيلا بادخال العرب - الانظمة - في دوامة تحويل جديد لمجريات النضال الى اقنية اخرى ... (تلك كانت الحال في اوضاع المد الوطني ، فما بالها في مرحلة الردة) ؟ .

تحاشت القمة العاشرة بحث وضع الصحراء الغربية - مثلا - او استقبال الوفد الايراني ، من مدخل تجنب اي عمل يعرقل الاتفاق من حول القضية الاساسية ولكن المنطقة هنا (في واقع الامر) لم تعد - في كل الموازين الراهنة - ، قادرة على حسم ما، ونقل تأثيراته الى الاطراف ... ان المعادلة الآن مقلوبة كما لم يسبق لها مثيل .

وهذا لا يعني ان على حركة التحرر الوطني ، وقواها التقدمية في منطقة المركز ان تغادر نضالاتها الاساسية والمركزية الى ساحات النضال الاخرى ، ولكن ذلك يعني، ان حالة من الفرز ، شاملة آخذة في الاتساع من شواطىء الاطلسي حتى الهند ... والا بماذا نفهم ، كيف تجد الشعوب المغلوبة على أمرها ، من حادثة المسجد الحرام ، مدخلا لها للتمرد على انظمتها ومهاجمة مراكز النفوذ الامبريالية الامريكية .

ان مرحلة الردة - بالامراض التي صنعتها وفي المقدمة ، الطائفية منها - قد زرعت بيدها بذور فنائها ... وها نحن نلاحظ نتاج ما صنعت ... وفي اكثر من مكان .

ويعني مما سبق ايضا ، ان شوائب التحالفات والعداوات بغض النظر عن التفاصيل - في جبهة قوى الثورة ، او من يفترض انها في صفها ، او من ينبغي ان يكونوا في صفها وينخرطوا في فعالياتها - ينبغي ان تنتهي (أي شوائب التحالفات والعداوات) ليحل محلها تحالف وطيد

Digitized by Birzeit University Library

عميق استراتيجي - يضع حدا عمليا لمرحلة الردة ، التي لم تعد ملامحها وقفا على الوطن العربي فحسب ...

ان انتصار الثورة الايرانية والثـــورة الاثيوبية ضد الحكم الامبراطوري فيهما ، ينبغي ان لا يعمى عن الحقائـق - وهي ان هاتين الامبراطوريتين السابقتين ، همـــا ارث استعماري لنظام ،ثيوقراطـــي أثني ، مارس كل منهما اضطهادا مزدوجا ضـــد جميع شعب الامبراطورية ذاته من جهـــة في كل منهما وضد شعـوب الامبراطوريـة الاخرى ، غير الفارسية والامهرية علـــى التوالي من جهة اخرى ... وان التحالـف مع سائر الشعوب في كلا الثورتين ، وحـل طموحاتها القومية وتطلعاتها ، يكون عبـر نفس استراتيجي طويل ، لا يسمح للرجعيات المحلية والاستعمار بالعودة ... ولا يكـون مدخلا ايضا لابتزاز الحقوق القومية،بدعوى الثورة والعداء للرجعية .

وبذلك يكـــون طريق بغـــداد وطهـران وشعوبهما معا .. وطريق اديس أبابـــا ومقديشو وشعوبهما معا ... وبذلك يكـون الحسم ضد عواصم الردة والانتكاس ويكون التأثير قويا ضد الانظمة العميلة من نميرية وساداتية وسواها ... وبذلك يكون التأثير ايجابيا على ساحة الصراع المركزية ... باتجاه عبور المرحلة الانتقالية الى مرحلـة النصر الوطني الحاسم .

شريف جيوسي

صدر حديثا

مديح لمقهى آخر

أمجد ناصر

دار ابن رشد - بيروت

Digitized by Birzeit University Library

خبرات تنظيم سري مفتوح الذراعين

عبد القادر ياسين

« ليس أمام البروليتاريا من سلاح آخر في نضالها ... سوى التنظيم » .

لينين

دفع الاحتلال الاسرائيلي «الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة » الى مأزق تنظيمي حقيقي ، اذ كان محتما على الحزب ان يحل المعادلة التنظيمية الصعبة ، التي واجهته غداة الاحتلال ، وتطلبت تصليب الحزب ، وتحويله الى « حزب حرب » ، بعضوية محدودة وشروط انتساب ضيقة ومتشددة ، في حين يقضي الطرف الاخر من المعادلة بتوسيع قاعدة الحزب ، وتعميق جماهيريته، بما يكفل نجاحه في مواجهة المهام الصعبة المطروحة بفعل الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة . فقد ازداد اهتمام قيادة الحزب ، غداة الاحتلال ، برفع درجة نقاء صفوف الحزب ، لان الاختيار الصحيح للاعضاء الجدد يضمن ايفاء عضوية الحزب باحتياجات العمل الثوري . وفي ظل الاحتلال فان تجنيد أعضاء جدد للحزب يتطلب تحفظا أشد . وغني عن القول بان الانتقاء هنا أفرادي . كما يتوقف كل شيء ، أخيرا ، على الخبرة التنظيمية لنظمة الحزب المحلية . وعلى دقة ومهارة قادتها . ولا يكفي اختيار الاعضاء الجدد فحسب ، بل لا بد من تحديد دقيق لموقع كل عضو ، ومهامه . فقوة الحزب هي في مجمل نشاط اعضائه ، العاملين في رابطة حميمة . ومن جهة اخرى فان ثمة ضرورة ملحة لتنظيم جماهير الحزب ، وعدم الاكتفاء بالتفافهم حوله . ومن هنا ، فمضمون المعادلة الصعبة يكمن في تعارض السرية مع الجماهيرية . اذ كيف يمكن للحزب ان يبني منظمة جماهيرية ، واسعة وبشكل سريع ، وفي الوقت نفسه يضمن لها درجة عالية من السرية والامان ، في ظروف بالغة الصعوبة والدقة ، ظروف احتلال اشتهر باجراءاته القمعية التعسفية الشرسة ، وتتضاءل ، في مواجهته ، شروط الكفاح القانوني الى أقصى درجة متصورة .

. ومعروف ان الحزب لا يلجأ الى السرية الا في حالات ضعفه ، قياسا الى قوة عدوه الطبقي أو الوطني . فالسرية تحمي الحزب، وتوفر له ضمانات أمن واستمرار ، بعكس العمل العلني . ومع ذلك فلا غنى للحزب الثوري عن العمل العلني . على أن يبدأ هذا العمل ضيقا ، ثم يأخذ في الاتساع على حساب العمل السري ، بالقدر الذي يميل فيه ميزان القوى الطبقية لصالح الحزب ، وبما يتناسب وانحسار الاساليب الفاشية

Digitized by Birzeit University Library

والقمعية التي يمارسها النظام الحاكم ضد الحزب وكافة القوى الثورية . ويمكن لحجم كل من العلني والسري أن يتغير ، أو أن يتسع أيهما أو يضيق ، تبعا للظروف . على أن أهمية كل منهما تبقى ثابتة ، وان ظلت السرية هي الاساس . ويكون الخروج الى العلنية في حدود ضيقة، وبما يخدم ويستجيب لاحتياجات المرحلة الثورية . وعليه ، فان اهتمامنا بالعمل السري لا يعني اهمالنا للاشكال العلنية من الكفاح ، بل لا بد من الجمع بين العلني والسري ، وضد الانحرافات اليسارية ، التي تدير ظهرها للاشكال العلنية للنضال وكما لا بد من المزج والفصل بين العلني والسري ، وبين الكوادر السرية والوجوه الجماهيرية العلنية للحزب. مع الحيلولة دون الانقطاع عن الجماهير ، تحت ضغط الحفاظ على سرية الحزب ونشاطاته .

لمحة عن تاريخ العمل السري في القطاع

في الخامس عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨، دخلت الجيوش العربية فلسطين ، وانقض بعضها على اسلحة المقاتلين الفلسطينيين ، يصادرها ويصادر معها حرية اصحابها في العمل والحركة . فمن شأن هذه الاسلحة عرقلة المؤامرات التي حاكتها بعض الانظمة العربية مع الدوائر الاستعمارية والصهيونية ضد الشعب الفلسطيني وارضه . واتضحت معالم الجريمة بعد الانسحابات المنظمة لبعض الجيوش العربية ، وافتضاح امر الصفقات التي عقدتها بعض الانظمة العربية مع الحركة الصهيونية ، وهو الامر الذي اصبح معروفا في التاريخ العربي المعاصر.

وفي قطاع غزة تصدت « عصبة التحرر الوطني » لمؤامرات الرجعية العربية ، فعمدت الى العمل السري ،وتوالت الضربات من النظام المصري ضد العصبة ، كان اخرها ضربة العاشر من آب (اغسطس) ١٩٥٢ ، وهي الضربة التي شملت تنظيم العصبة بأكمله . وفي شتاء عام ١٩٥٣ ، تشكل « الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة » الذي اعتبر امتدادا سياسيا وفكريا للعصبة وواصل السير على خطى العصبة في مجال التنظيم السري ، وشغل مكانها .

وبعد محاولة الاخوان المسلمين اغتيال الرئيس المصري جمال عبد الناصر ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ بمدينة الاسكندرية ، وجه النظام المصري ضربة قاصمة لحركة الاخوان في مصر ، وحظر تنظيمها ، فارتدت حركة الاخوان في قطاع غزة الى العمل السري ، دون ان تمسها ضربة النظام الناصري انذاك .

وفي العام ١٩٥٥ ، تشكلت نواة لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطاع ، وان كانت درجة السرية في هذا الحزب اقل منها لدى اي من الحزب الشيوعي والاخوان المسلمين ، بسبب مقاومة الادارة المصرية الاشد للشيوعيين والاخوان المسلمين انذاك .

وفي الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦ ، احتلت القوات الاسرائيلية قطاع غزة ، ضمن ما احتلته من أراض في العدوان الثلاثي ، واستمر احتلالها هذا حتى السابع من اذار (مارس) ١٩٥٧ ، اي لاكثر من أربعة أشهر .

وحفلت فترة الاحتلال هذه بالكفاح السري الذي قادته المنظمات السياسية السرية في القطاع ، (الحزب الشيوعي ، البعث والاخوان). فشكل الشيوعيون مع انصارهم « الحركة الوطنية » التي حملت بعد اقل من شهر واحد اسم « الجبهة الوطنية » ، ونصب جهد الجبهة الرئيسي على اصدار المنشورات التحريضية ضد الاحتلال واجتهدت من اجل تعبئة الجماهير للصمود والمقاومة السياسية ، بينما تحالف حزب البعث والاخوان المسلمين في « جبهة المقاومة

Digitized by Birzeit University Library

الشعبية ، ، التي شاركت في تهريب العملة الاسرائيلية المزيفة من مصر الى القطاع ، كما قامت بتهديد بعض المتعاملين مع المؤسسات الاسرائيلية ، وأحرقت حوانيت بعضهم . على ان سلطات الاحتلال تمكنت خلال كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧ ، من توجيه ضربات قاصمة لكلا الجبهتين ، مما حرمهما من فرصة تصعيد نضالهما وتوسيعه .

وبعد الانسحاب الاسرائيلي من القطاع (٧ اذار ١٩٥٧) استمر العمل الحزبي السري ، وان اختلف توجهه ، وتغيرت شعاراته واهدافه ، وعادت المنظمات السرية الثلاث الى العمل المنفرد .

وفي صيف العام ١٩٥٧ ، تكونت الحلقة الاولى للقوميين العرب في قطاع غزة ، وظلت هذه الحركة حبيسة الحجم المحدود ، حتى بداية العام ١٩٥٩ ، حيث القت بكل ثقلها وراء نظام عبد الناصر في معركته ضد الشيوعيين . ومع الخلاف الذي انفجر بين عبد الناصر والبعث ، أواخر العام ١٩٥٩ ، وانقطاع البعث والشيوعيين والاخوان عن ممارسة النشاط السياسي ، السري والعلني على السواء ، خلت الحلبة للقوميين العرب ، الذين أفادوا كثيرا من هذا الفراغ السياسي ، واتكأوا على شعبية عبد الناصر ، في تجنيد اعضاء جدد لحركتهم ، وتوسيع قاعدتها ، وتأثيرها .

ووجهت الادارة المصرية ضربة قوية للحزب الشيوعي الفلسطيني ، في نيسان (ابريل) ذاب(اغسطس) ١٩٥٩ ، فاعتقلت ٣١ من ألمع كوادر الحزب ومناصريه ، وذلك اثناء الصدام الذي احتدم بين القوى القومية والقوى الشيوعية في الوطن العربي ، أواخر الخمسينيات واوائل الستينيات . ومع نهاية العام ١٩٥٩ خرج البعثيون من الوزارة العربية ، وتضاءل حجم فرع البعث في القطاع ، بسبب انضمام عناصره للحزب على اساس مبادىء الناصرية، وانحدار معظم هذه العضوية من البرجوازية الصغيرة ، المتطلعة الى «الكفاح» تحت راية السلطة . لذا كان طبيعيا ان تهجر هذه العناصر وتلك الحزب عند اول ازمة علنية له مع عبد الناصر . ولجأ البعث الى العمل السري ، في الوقت الذي انحسرت عضويته الى العشر ، اما الاخوان المسلمون فقد ذوى نشاطهم في اعقاب تسرب كوادرهم الى امارات الخليج العربي والسعودية ، للعمل في الوظائف الرسمية هناك .

وبعد الافراج عن الشيوعيين ، في ربيع العام ١٩٦٣ نشب صراع بين مجموعتين منهم : الاولى ، تريد تشغيل الحزب ، في حين ترى الثانية الاكتفاء بمزاولة نشاط ديمقراطي علني والاستغناء عن الحزب . وانتهى الامر بانتصار الرأي الاول ، وعاد الحزب الى العمل ، منذ نيسان (ابريل) ١٩٦٦ . وظل الحال في مد وجزر حتى وقعت الحرب في حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وجاء الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة ، فاصيبت حركة القوميين العرب بالقطاع بصدمة واحباط شديدين . فعلى الصعيد السياسي هيأت الحركة نفسها للانتصار العربي وليس للهزيمة . وعلى الصعيد التنظيمي اقامت الحركة تنظيمها تحت حماية الادارة المصرية ، وبشكل علني لم يكن ينقص سوى الترخيص ، وعليه فتنظيم الحركة لم يكن مهيأ لمقاومة الاحتلال ، بسبب افتقاره للسرية ، ولاتسامه بطابع التنظيم الموالي ، لا المقاوم . وأدى هذا كله الى بروز أزمة حركة القوميين العرب بالقطاع فهجر الحركة اكثر من تسعة أعشار الاعضاء ، وتأخر رد فعل الحركة على الاحتلال نحو خمسة اشهر ، بعد أن أعادت ترتيب صفوفها ، واصدار العدد الاول من صحيفتها السرية « الجماهير » . على ان الحركة سرعان ما استطاعت ، من خلال الكفاح

Digitized by Birzeit University Library

ان تسترد مواقعها السياسية والتنظيمية ، وتلعب دورا رئيسيا في الكفاح السياسي والعسكري في القطاع .

اما الحزب الشيوعي فجاء رد فعله على الاحتلال سريعا ، لكونه حزبا محكم التنظيم، قائما على الاساس السري ، ، وله خبرة طويلة في هذا المجال ، كما انه « حزب مقاومة » منذ وجد في فلسطين في ربيع العام ١٩١٩ . وبالرغم من تغير النظم والمؤسسات الحاكمة ، منذئذ وحتى وقوع حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، على ان القوميين والشيوعيين لم يكونوا وحدهم في القطاع ، بل كانت ثمة تنظيمات سياسية اخرى :

١ ـ البعث ، محدود الحجم والتأثير ، وبلا عمل يومي .

٢ ـ جبهة تحرير فلسطين (ج. ت. ف.)، لا تزيد ، في نشاطها وتاثيرها ، عن البعث.

٣ ـ فتح ، تنظيم جديد ، استدعت قيادته معظم عناصره ـ غداة الاحتلال ـ الى الضفة الشرقية للاردن ، ولم يبق في القطاع سوى حلقة صغيرة من اعضاء الحركة .

في مواجهة التحديات التنظيمية الجديدة

تحت الاحتلال الاسرائيلي ، تاكدت اهمية البديهية التنظيمية القائلة بضرورة توضيح الحدود التنظيمية بين الحزب والجماهير :

أ ـ بعد توالي فشل الحركات الجماهيرية العفوية في القطاع ، وشراسة أساليب القمع الاسرائيلي وتصعيده ، مما أعطى الحزب اهمية محورية في قيادة الجماهير واعدادها للكفاح ، فالحزب ضمانة لاستقرار حركة الجماهير واستمرارها .

ب ـ برز التباين في درجة رفض الجماهير للاحتلال ، من طبقة الى اخرى ، ومن شخص لاخر داخل الطبقة نفسها ، مما ركز مهمة الحزب في حشد طلائع المقاومة ، وتجسيد وحدة هذه المقاومة في اعلى اشكالها ، وفي هذا تتضح اهمية الحدود التنظيمية بين الجماهير وبين الحزب . فالمستوى المتدني، أو المتوسط ، في الوعي السياسي لا يكفل مسارا صحيحا وسليما للكفاح ، حيث لا يكفله الا الحزب المسلح بنظرية الطليعة .

ج ـ في قطاع غزة ، البلد المتخلف ، تتزايد اهمية الحزب الثوري الذي يرتفع الى اعلى مراتب الوعي السياسي ، ويلعب دورا اساسيا في تكييف مواقف الطبقات الوطنية المختلفة وفق مسار الطبقة العاملة من جهة ، ويضمن ، من جهة اخرى ، استمرارية الكفاح . فالانسجام في الوعي والتنظيم يمكن الطليعة من التاثير في مجرى الاحداث ، ولا يترك الاحداث تتقاذف الحزب والجماهير معا .

على ان الحدود الفاصلة بين الحزب والجماهير يجب الا تحول دون وجود الحزب، بصفة دائمة ، وسط الجماهير ، وفي مقدمتها ، فالحزب يكافح بالجماهير ، وليس نيابة عنها ، وهو هنا يتلقى الافكار العفوية للجماهير ، ويمحصها ، ويصفيها ، ويعيد صياغتها ، ليردها الى الجماهير ، التي تحتضنها وتتبناها. وكان طبيعيا أن لا يكتفي الحزب الشيوعي بالصلة السياسية والفكرية بينها وبين الجماهير ، بل سارع الى تكريس هذه الصلة ، وبلورتها ، فاكتسبت قيمتها الجماعية من خلال الصلة التنظيمية، الساعية بداب الى تحقيق وحدة العمل بعد وحدة الفكر ، والوصول بوحدة العمل هذه الى حافة الوحدة العضوية ، مع تذويب الشللية وغرس الانضباط ، وقهر التردد والمغامرة لدى جماهير الحزب ، التي تم استيعابها في شكل تنظيمي جديد ، حيث تاكد انه لا يمكن الاسهام في كنس الاحتلال ، الا بكفاح الجماهير العريضة المنظمة وليس بنضال منعزل عن حركة هذه الجماهير . ومن هنا، ولدت الحاجة الى منظمة جماهيرية ، تحشد في صفوفها جماهير متباينة الافكار والاراء وتنحدر من عدة طبقات اجتماعية ، ويجري

Digitized by Birzeit University Library

توظيف الاحساس العام بضرورة المقاومة الجماعية للاحتلال في انجاح هذه المنظمة ، حيث يسعى الحزب الى تقديم اشكال تنظيمية جديدة من خلالها ، كما يقودها في حدود برنامجه السياسي ·

وكان لا بد من احداث تغييرات ، من شانها تسهيل عمل منظمات الحزب، وصياغة مفهوم الحزب حوال الوحدات القاعدية للجبهة الوطنية المتحدة · وجاءت الصيغة الجديدة بعد نقاش طويل فرضه الواقع على اللجنة المركزية للحزب · ففي الوضع المستجد ، لم يعد تنظيم الحزب الضيق ، وحده ، يستجيب لاحتياجات العمل الجديد. كما تطلبت اشكال النضال الجديدة اشكالا تنظيمية جديدة ، تصان فيها ، أيضا ، الاسس اللينينية لحياة الحزب ، من تكييفها واحتياجات الكفاح · وهي أسس تنبثق من طبيعة الحزب ، ومن طابع الاهداف التي يناضل في سبيل تحقيقها ·

ولقد تطلب الوضع ، الذي استجد بالاحتلال ، منظمة قادرة على استيعاب القطاعات الواسعة من جماهير الشعب ، ولم يكن بوسع الحزب الشيوعي القيام بهذه المهمة وحدة ، بشروط عضويته الضيقة التي تجتهد من أجل حشد طليعة الطبقة فحسب ، دون جماهيرها · كما كان متعذرا، أيضا ، حل الحزب ، أو نزع طابعه الطليعي، ليتحول الى منظمة جماهيرية · بل كان الامر يتطلب اقامة « تنظيم هالة » يحيط بالحزب·

وفي أحزاب الشيوعية يجري التسلح بالمركزية الديمقراطية ، وبالقيادة الجماعية على مختلف المستويات ، وبالانتقاد والانتقاد الذاتي، وبالارتباط الوثيق بين جميع منظمات الحزب وبين الجماهير· ومن جهة اخرى فان الاشكال التنظيمية الجديدة ثمرة لضرورة جذب وحشد الجماهير العريضة الى خضم النضال الثوري · وهكذا ، عرف الحزب الشيوعي كيف « يكيف شكله مع الظروف المتغيرة ، وان يغير هذا الشكل وفقا لمقتضيات الساعة » ، حسب وصية لينين ·

ولم تؤثر التغييرات التي أجريت في تركيب الحزب على طابعه الطليعي ، بل عمقت ارتباطه بالاهداف الكفاحية الجديدة· وبهذا الروح اعيد تنظيم لجان الحزب · أما « **اللجان الوطنية** » ، التي بادر اعضاء الحزب الى تشكيلها في الاحياء والمخيمات والقرى والمدن والتجمعات الجماهيرية ـ من مدارس وورش ـ هذه اللجان اعتبرها الحزب منظمات جبهوية ، يتحد فيها الشيوعيون مع وطنيين اخرين ، او هي بمثابة فروع جماهيرية للحزب ، بمعنى انها منظمات واسعة نسبيا ، يشغل فيها الشيوعيون مواقع قيادية · فهذه اللجان الوطنية تتسم بقاعدة اجتماعية عريضة ، لكنها تمتلك قيادة ثورية صلبة ، هي قيادة الحزب الشيوعي نفسها ، واعضاء هذه اللجان ، وان لم ينتسبوا الى الحزب الشيوعي ، الا انهم يتبنون برنامجه السياسي ، ويقاتلون من اجل تحقيق الاهداف الواردة فيه · لذا كثيرا ما جرى تصعيد اعضاء من هذه اللجان الى الحزب الشيوعي ، وهم الذين عرف عن أغلبهم ، قبيل الاحتلال ، العداء الشديد للشيوعية · على ان بعض هذه اللجان لم يرغبوا في الالتحاق بالحزب ، بالرغم من تمتعهم بالجسارة والديناميكية، وعلى الرغم من تأييدهم لخط الحزب · وربما يعود ذلك الى رواسب قديمة لدى هؤلاء الاعضاء ، شكلت لديهم تحفظات معينة على الشيوعية وحزبها ، او بسبب عدم الرغبة في الارتباط الدائم بالحزب، والاكتفاء

Digitized by Birzeit University Library

بالارتباط به والالتقاء معه خلال الاحتلال وحسب (*) .

وبعد اقامة اللجان الوطنية لم يكتف بوجود الحزب في جانب ، واللجان الوطنية كحركة عريضة ، مشوشة ، بلا معالم ، في الجانب الاخر . فالحدود بين الحزب وهذه اللجان من شأنها خلق فراغ بينهما ، ربما تشغله فئات غريبة ، تعمل على قصم علاقة الحزب بالنظمة الجماهيرية ، وتهدر طاقات هذه المنظمة ، وتبدد نشاطها . وعليه ، تم التوصل الى اقامة اللجان الوطنية بشكل متين ، منضبط ، ببناء قادر على تحمل اعباء الواجبات والمهام الثورية الجديدة . واوكل الى عناصر حزبية قيادة هذه اللجان ، والقيام بدور حلقة الاتصال بين الحزب ومنظمته الجماهيرية . ولم يغب الانسجام عن البناء التنظيمي لمجموع اللجان فحسب، بل افتقدت هذا الانسجام كل لجنة على حدة ، أيضا . فهناك اشخاص اصروا على ان تبقى علاقاتهم محصورة في حزبين بعينهم دون غيرهم ، وهناك لجان وطنية رؤي عدم قيادة نشاطها بواسطة حزبين في منطقتها ، بسبب ضعف مستوى الحزبين هناك واختيرت قيادات هذه اللجان من بين اعضائها انفسهم ، أو أسند الحزب أمر القيادة لعناصر حزبية من خارج المنطقة ، وتمايزت وتباينت أشكال الاتصال وأحجام توحيد معيار توزيع اللجان ، اذ توزعت اللجان . وفشل الحزب - في البداية - في بعضها على الاساس الجغرافي ، في حين تم توزيع لجان اخرى على الاساس النوعي. وتم التساهل مع اللجان الوطنية في هذا الصدد . انطلاقا من الوعي بتدني مستوى الانضباط لدى أعضاء تربى أغلبهم على رفض فكرة « التنظيم » ، بل وادانتها ، وبسبب تلمس أزمة الثقة التي عانى منها بعضهم من تأثير هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . على ان عدم الانسجام هذا ما كان ليثير ضجر احد منا ، لاننا كنا نعي أن الزمن واستمرار الكفاح كفيلين بفرض الانسجام على هذا التنظيم المشوش الشكل والتوزيع . وتذرعنا بالصبر ولم نرغم أعضاء اللجان الوطنية على الانصباب في لجان موحدة الشكل والتوزيع. فمثل هذا الارغام هو عمل اداري لا يليق بحزب سياسي ثوري ، وهو اجراء يتجاهل الطبيعة البرجوازية لاعضاء اللجان، وتبتسر الامور . في حين ان علاج هذا الامر لا بد وأن يكون سياسيا ، متأنيا ، اذ ان التزام العضو ، وليس الزامه ، كفيل بحل مثل هذه المسائل .

(*) أذكر أن مسؤولا في قيادة الحزب ، عرف ببساطته وطيبته الشديدتين - تسلم ، في فترة مبكرة من الاحتلال مسؤولية المكتب التنظيمي للحزب ، ثم اكتشف عند تسليمه هذه المسؤولية ، لمسؤول حزبي آخر - أنه قد رشح ١٣ من أعضاء اللجان الوطنية لعضوية الحزب ، وتبين للمسؤول الجديد ان هؤلاء المرشحين لم يطلبوا الانتساب للحزب ، كما أن أحد من الحزب لم يفاتحهم في ذلك . كل ما في الامر أن المسؤول التنظيمي أعجب بنشاطهم وبسالتهم وصفاتهم القيادية الاخرى ، فبادر الى ترشيحهم دون علمهم أو اعلامهم . ولما كان هذا الاسلوب خاطئا تماما ، فان المسؤول الجديد قام باستمزاجهم ، بواسطة مسؤوليهم الحزبيين ، وكانت المفاجأة حين رفض ١٢ منهم هذا الترشيح واعتقد ان المسؤول الطيب لا يزال مندهشا لموقفهم هذا ، في حين ان هذا الموقف هو ايجابي في جوهرة ، اذ يؤكد نجاح الحزب في اجتذاب جماهيره الى منظمته الجماهيرية ، من خارج مجال نفوذه .

Digitized by Birzeit University Library

ولم تكن اقامة منظمة جماهيرية تعني بناء حزب موازٍ للحزب الشيوعي في القطاع، بل هدفت الى حشد الجماهير في منظمة كفاحية تتصدى للاحتلال . وتعمل على كنسه ، بالتحالف مع بقية القوى الوطنية الفلسطينية في القطاع وخارجه ، وبالاشتراك مع بقية الثورة العربية بأنظمتها الوطنية وتنظيماتها التقدمية وبالاستناد الى تأييد القوى التقدمية في العالم ، وفي مقدمتها دول المعسكر الاشتراكي والاحزاب التقدمية في العالم .

ولقد عبرت اللجان الوطنية – في مجموعها – عن تحالف الطبقات الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية . وعمليا كانت الجماهير المتعطشة لمقاومة الاحتلال تنضم لهذه اللجان ، لا للحزب الشيوعي . ومن خلال هذه اللجان يمكن لاي عضو فيها ان يرتقي الى عضوية الحزب ، ان هو أبدى جسارة في الكفاح ، ورقيا في الوعي السياسي . ورغبة أكيدة في الانضمام للحزب . والامور الثلاثة مطلوبة مجتمعة ، وغياب اي منها يحول دون ترشيح العضو الى الحزب الشيوعي . فعضوية اللجان الوطنية متاحة أمام أي مواطن فلسطيني يعادي الاحتلال الاسرائيلي ، ويرغب في مقاومته وينفذ قرارات « الجبهة الوطنية المتحدة » ، ويشارك في نشاطها . ولا يشترط في عضو اللجنة الوطنية الوعي السياسي المرتفع ، والقدرة على الحركة والقيادة ، والشعبية ، والجماهيرية ، والاستعداد العالي للتضحية ، وقبول برنامج الحزب ولائحته الداخلية ، وهي الشروط المطلوب توافرها في العضو المرشح للحزب الشيوعي، بما يجعل هذا الحزب كتيبة متراصة من عناصر تتصف بالحماسة ، والجسارة والصلابة ، والاستعداد غير المحدود للكفاح والتضحية والتفاني ، والابداع، والانضباط. وظهرت للجان الوطنية فائدة اخرى ، اذ أنها لم تربط الحزب بالشعب فحسب ، بل كانت، ايضا ، الوسيلة الذي تعرف الشعب – من خلالها – على الحزب اكثر فاكثر ، وعلى برنامجه . وممارساته . كما كانت مجالا كفاحيا لاختبار المرشحين للحزب . ومن هنا ، شكلت هذه اللجان رافدا للحزب ، ما كان له أن يحوز عليه في غير ظروف الاحتلال الاسرائيلي . وفاق حجم مجموع هذه اللجان حجم الحزب بحوالي عشر مرات .

وحتى يتم انتظام اللجان الوطنية في كل واحد ، تم اعداد « ميثاق الجبهة الوطنية المتحدة » كبرنامج سياسي لهذه اللجان، كما صيغ نظام داخلي ينظم لها حياتها الداخلية . ويحكم علاقتها بعضها ببعض . وغدت اللجنة المركزية للحزب هي القيادة العليا لهذه اللجان . وبتوفر الميثاق والنظام الداخلي والقيادة ، اضفيت الوحدة على تنظيم الجبهة . وبالرغم من أن « الجبهة الوطنية المتحدة » كانت تضم الى جانب الحزب الشيوعي ، جبهة تحرير فلسطين (ج . ت . ف .) وحزب البعث ، الا ان الحزب الشيوعي هو الذي انفرد بتكوين اللجان الوطنية ، حتى قبل تشكيل الجبهة نفسها ، كما ان كلا من (ج . ت . ف .) والبعث لم يأخذا بصيغة اللجان هذه .

وربما يسأل سائل عن الجبهة التي توجهت اليها اللجان الوطنية بولائها . وهو السؤال الذي توجه به عضو في لجنة محلية القرى (جباليا ومخيمها والقرى المحيطة بها) الى قيادة الحزب ، وجاءه الرد في النشرة الداخلية للحزب ، مؤكدا أن ولاء هذه اللجان هو للحزب الشيوعي ولميثاق الجبهة الوطنية المتحدة وأن هذه اللجان ، في مجموعها ، هي المنظمة الجماهيرية للحزب ، شأن الحزب الاشتراكي بالنسبة للحزب الشيوعي السوداني ، و « التحالف

Digitized by Birzeit University Library

الاشتراكي ، بالنسبة لـ « رابطة الشيوعيين اليوغسلاف » .

الخبرات

ربما تكون تجربة اللجان الوطنية هي الجديد الوحيد الذي قدمه الحزب الشيوعي الفلسطيني بقطاع غزة تحت الاحتلال الاسرائيلي ، في المجال التنظيمي. صحيح أنه سبق لكل من غاندي في الهند وسعد زغلول في مصر استخدام سلاح اللجان الوطنية منذ اكثر من خمسين عاما . الا أن استخدامها في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي كان هو الجديد ، فغاندي وزغلول استخدماها كشكل علني ، وليس سريا ، مثل ما فعل الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة، كما استخدماها في ظل حريات نسبية ما كان ليعطيها الاحتلال الاسرائيلي لاهل القطاع .

ولم تمض تجربة الحزب الشيوعي التنظيمية هذه دون ان تخلف خبرات ، لعل اهمها :

١ - **ضرورة المحافظة على حلقة ضيقة من الكوادر القيادية**، ضمانا لامن واستمرار الحزب ، فهذه النواة من الكوادر الحزبية، تسمح بتكوين مركز يقود عمل الحزب ، وتؤمن قيادة سياسية وتنظيمية ، واعادة تشكيل منظمات الحزب عقب كل ضربة يتلقاها الحزب من سلطات الاحتلال . كما لا بد من وجود منظمات قيادية احتياطية تحل محل القيادة عند غيابها ، لاي سبب ، وتتخذ التدابير اللازمة لتشغيل الحزب .

٢ - **التمسك باعلى درجات السرية والكتمان ، ونبذ الثرثرة والمباهاة ، وتجنب التحدث بالهاتف في القضايا السياسية** والتنظيمية ، والعمل على عدم اعلام عضو الحزب الا بما هو ضروري لتأدية مهامه ، مع عدم التساهل ازاء الاخطاء والمخطئين ، والحذر من حيل رجال الامن ، وشراكهم . وبعد كل ضربة ، توجهها سلطات الاحتلال لاي منظمة حزبية ، لا بد للهيئات القيادية في الحزب من دراسة وتحليل اسباب هذه الضربة ، فمن شأن مثل هذه الدراسة معالجة نواقص العمل السري ، والمساعدة في كشف الاهمال ، او الوشاية أو عملاء الامن المندسين في الحزب .

٣ - **المبالغة في الحفاظ على اجهزة الطباعة ، والبيوت السرية للحزب ، والكوادر العليا والوسطى ومندوبي الاتصال، والارشيف ، وشبكة علاقات الحزب الداخلية والخارجية .**

٤ - مع اشتداد الارهاب السلطوي ، **يجبذ تجزئة المنظمات الحزبية الكبيرة** ، بتفتيت الوحدات الكبرى ، مثل اللجوء الى تقسيم لجان المناطق الى محليات ، يقود كل منها عضو مركزي يوفر له تأمين عال ، ويستغنى عن لجان المناطق ، بما يقلل من حجم الضربة المعادية عند وقوعها . كما يجب ان يكون لكل منظمة حزبية محلية مخابؤها الخاصة ، تختفي فيها عناصرها المطاردة ، وان يكون لها مطابعها وجهازها الدعائي الخاص ، بما يسمح باصدار نشرات ومطبوعات في حالة انقطاع الاتصال بمركز الحزب . ويجب تنظيم الاتصالات الداخلية للحزب بشكل محكم ودقيق ، وان يضمن استمرارها حتى في اشد الاوقات خطرا . كما يجب التقيد بالمواعيد التنظيمية بدقة بالغة . والتعامل دائما بالاسماء الحركية ، مع تغييرها عند الاشتباه في انكشافها . وعلى الاعضاء ان يحذروا من التسكع ، مجتمعين او منفردين ، في الشوارع ، أو التجمع في المقاهي او اماكن العمل . وعليهم ان لا يمارسوا هواية « حدوتة الباب » . ولا يجوز زيارة اي عضو عقب خروجه من السجن ، فمن عادة رجال الامن فرض رقابة شديدة على منازل

Digitized by Birzeit University Library

المفرج عنهم وأماكن عملهم ·

وعندما يصل ارهاب السلطة أقصاه يحبذ ان تحل الاتصالات الفردية والثنائية محل الاجتماعات الحزبية ·

٥ ـ التشديد على انتقاء مكان للاجتماع، يسمح باشعار المجتمعين ، باشارة متفق عليها سلفا ، عند قيام رجال الامن بمداهمتهم · وعلى الاعضاء ان يدخلوا ويخرجوا من والى مكان الاجتماع منفردين وان يتفقوا على كيفية الالتقاء في الاحوال الطارئة · وعليهم ان يبقوا سيارتهم ووسائل النقل الاخرى الخاصة بهم ، ان وجدت بعيدا عن مكان الاجتماع ·

ويبدأ الاجتماع بالاتفاق على « صمام أمن » الاجتماع ، حيث يتفق المجتمعون على كيفية تصرفهم اذا داهمهم رجال الامن، وما الذي ستكون عليه افاداتهم اذا ما قبض عليهم · ولا بد من اختصار الاجتماعات الى اقصر وقت ممكن ، وان تنتهي في الوقت المحدد لها ، ويجري التمسك بالتوقيت في صرامة ، فالتأخير يهدد باهدار اجراءات امن الاجتماع · ومن هنا لا بد من مكافحة الاعذار الواهية للتأخر والتغيب · وحصر الاعذار المقبولة في مثل هذه الاحوال ، على طريقة البدو في بلادنا ، في « السيل ، الحكومة والموت » · وفي احوال اشتداد مطاردة السلطة للحزب تستبدل الاجتماعات بلقاءات فردية خاطفة تتم بين مسؤول المنظمة الحزبية وكل عضو فيها على حدة ·

ولضمان امن امكنة الاجتماع ، لا بد من تخليصها من اوراق او كتب او وثائق ، كما لا يجوز استخدامها لغير اغراض الاجتماع·

٦ ـ لا بد من **التمسك الشديد بساعة الصفر** ، عند توزيع المنشورات ، مع الحرص على عدم الاحتفاظ باي نسخ منها لدى العضو ، بعد التوزيع ·

٧ ـ على كل عضو أن يهيء نفسه للاعتقال ، منذ اللحظة التي ينتمي فيها للحزب · فهذا التهيؤ يزيده صلابة ، ويحول دون تمكن الذعر منه عند اعتقاله ·

وفي حالة وقوعه في ايدي رجال الامن ، عليه ان يعلم ان كفاحه لم ينته، وان موقعه، فقط ، هو الذي تغير · وحبذا لو هيأ العضو اسرته لاحتمال اعتقاله ، بما يحصنهم ضد الاستجابة لابتزاز رجال الامن عند وقوع ابنهم في ايدي رجال الامن · فأجهزة الامن تبذل قصارى جهدها لدفع اسرة المعتقل الى الضغط على ابنها كي يدلي باعترافات عن الحزب ، او تمني الاسرة بالافراج عنه ان هي ادلت بمعلوماتها عن اتصالات ابنها واصدقائه ورفاقه ·

وفي السجن لا بد من تنظيم الاعضاء الموقوفين ، وشد أزرهم ، والمحافظة على اعلى درجات اليقظة الثورية بينهم ، وارشاد ومساندة الاعضاء الاقل خبرة ، وابداء النصح لهم ·

٨ ـ عدم البوح لرجال الامن باي شيء، تحت كل الظروف، ومهما استخدموا من اساليب مثل ايهام العضو الموقوف بأن هذا او ذاك من اعضاء الحزب قد ادلى باعترافات كاملة · فبوح العضو هنا بأي معلومات سيحوله الى عميل لسلطات الاحتلال · ولا يمكن لاي تعذيب أو سجن أو تهديد أن ينتزع اعترافا من مناضل باسل ، حريص على شرفه وتاريخه ·

وقد يعمد رجال الامن الى اثارة استياء العضو الموقوف من قادة حزبه ، « الذين يتمتعون بالحرية بينما يزجون بمثله في السجن » · وفي احيان اخرى ، يمتدح رجال الامن السجين في محاولة لكسب ثقته وصداقته · المهم ان لا تعتري العضو لحظة ضعف ، فالشجاعة صبر ساعة · ولحظة ضعف واحدة كافية لتلويث تاريخ وسمعة المناضل الى الابد ·

٩ ـ ثمة مخاطر للعمل السري لا بد من الحذر منها :

Digitized by Birzeit University Library

أ : فتقلص الديمقراطية الداخلية ، الذي يفرضه العمل السري ، قد يقود الى **البيروقراطية** .

ب : كما ان العمل السري قد يؤدي الى **عزلة الحزب عن الجماهير الشعبية** ، وعزلة قيادة الحزب عن قواعده .

ج : قد تنزلق قيادة الحزب الى **المحاباة في انتقاء الكوادر القيادية** .

د : **تخلف وتعثر التثقيف الحزبي** .

هـ : بالعمل السري **يفتقد الحزب مجالات اختبار حقيقية** لمدى كفاحية أعضائه ، وأعني بها مجالات النضالات العلني .

و : ان ضرب أي عضو قد يؤدي الى قطع الصلة بمنظمات من الحزب ، أو يربك العمل الحزبي ، بسبب عدم وجود معلومات كافية عن فروع الحزب ولجانه القاعدية .

١٠ ـ **عند مطاردة رجال الامن لعضو حزبي ، عليه الاختفاء** . الذي لا يعني الخلود الى الراحة والكف عن النشاط ، بل مجرد الاختفاء عن اعين رجال الامن وعملائهم ، مع استمرار العضو في ممارسة نشاطه . وللاختفاء قواعد واصول ، ابرزها :

أ : **المدن الكبيرة اكثر ملاءمة للاختفاء** من المدن الصغيرة ، بسبب اتساعها ، وضخامتها السكانية ، وتعدد الجنسيات واللغات والازياء فيها ، وكثرة الداخلين والخارجين منها واليها . بما يجعل المختفي يذوب وسط هذا كله ، بعكس المدن الصغيرة والقرى . اضافة الى ان الحفاظ عن الاسرار غير ممكن في البيئات الصغيرة ، بسبب التصاق المنازل ، والميل للمحافظة والارتياب في الغريب . كما تقل في البيئة الصغيرة امكانيات الهروب .

ب : يثور فضول الناس لمعرفة عن كل ساكن جديد . لذا **من الضروري ان ينشر المختفي ، عن نفسه ، بضعة معلومات** لاشباع هذا الفضول (اسمه ، بلده ، صناعته ، وسبب سكناه في المنطقة) .

ج : **على المختفي تجنب سكني الحارات المسدودة** ، ففي مثل هذه الحارات تجلس النساء في جماعات على ابواب المنازل في « جلسات نميمة » يتجاذبن فيها اطراف الحديث في ادق المسائل الشخصية ، مما يجعل من الساكن الجديد مضغة في افواههن ومثارا لشكوكهن . اما الحارات المفتوحة ، فهي طريق عام ، من الصعب جلوس النسوة على ابواب منازلهن وممارسة نشاطهن النميمي ، بما يساعد المختفي على النجاة من السنتهن ونظراتهن الفضولية . لذلك ، على المختفي **عدم السكنى في أطراف المدينة** ، فمعظم سكان الاطراف من اللصوص وحثالة البروليتاريا ، مما يهدد المختفي بالزج به في مشاكل لا حصر لها ، قد توصله الى مراكز البوليس ، كشاهد على الاقل . كما ان صرة المدينة لا تصلح للاختفاء ، بسبب اكتظاظها بالمحال التجارية والمقاهي وامتلائها بالمارة ، مما يجعل التقاء المختفي ـ اثناء تنقلاته ـ ببعض معارفه ، احتمال وارد .

هـ : **على المختفي الحرص على عدم مخالفة عادات الناس وتقاليدهم** ، في الوسط الذي يقيم فيه .

و : **ظهور المختفي بالشكل المألوف لدى** سكان منطقة الاختفاء ، فلا يصح ان يطيل ذقنه اذا كانوا يحلقونها ، او ان يلبس قلنسوة ، في الوقت الذي يلبسون الطربوش غطاء للرأس ، وهلم جرا .... فالشذوذ في الملابس يلفت النظر ويثير الريبة .

ز : **السير بخطى الواثق** ، وعدم التلفت او الجري ، مع معايشة الناس بالمألوف من السلوك . وعدم التوهم بان نظرات الناس تطارده ، ...

ح : **من الضروري تمتع المختفي بالمبادرة**

Digitized by Birzeit University Library

وسعة الخيال ، وضبط النفس ، وعليه ان يرمي ببصره الى ابعد نقطة من الطريق الذي يسير فيه ، ليلم بشخصيات المارة ، عساه يتجنب خطرا قبل وقوعه ·

ط : الحرص **على عدم ترك اوراق في المخبأ** تثير الشبهة ·

ى : **اعتناء المختبىء بصحته** العضوية ، والنفسية ، على السواء ·

تلك هي جملة الخبرات التنظيمية للجان الوطنية وللحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة · ولعل من فضول القول بأنه لا يجوز نسخ هذه الخبرات بشكل ميكانيكي ، بل لا بد من تمحيصها ، واختبارها في ضوء الظروف السائدة ، في زمانها ومكانها ، لاعادة صياغتها في مجرى الكفاح ، بما يلائم الظروف الموضوعية والذاتية لكل بلد على حدة · واخيرا ، فانه لاحراز النصر في الكفاح لا يجب الارتكان الى عدالة القضية التي يدافع عنها الحزب ، والى صحة نهجه السياسي فحسب ، بل لا بد من استيعاب فن الكفاح السري ، تطويره ، بما يخدم قضية الشعب ، ويجعل من الانتصار أمرا ممكنا ·

Digitized by Birzeit University Library

إنتفاضة ضد عصر القرود

رشاد ابو شاور

الانتفاضة و ٠٠ المنافقون

الانتفاضة التي هزت التكوين الهش لمملكة الشر ، مملكة آل سعود ، وحدت المنافقين العرب ، الجالسين على صدور شعوبهم بقوة السلاح ، والقمع ، وبكل أدوات القهر ، وبأحط الاساليب البوليسية وأكثرها بشاعة ٠

المنافقون ، لبسوا أقنعتهم الدينية ، وكتبوا البرقيات المتباكية على الكعبة ، وأرسلوا نداءات الاستفسار على مصير الحجر الاسود ، ودهاليز الكعبة ، وأسوارها ، ومآذنها ، وأوعزوا لاذاعاتهم ، وتلفزيوناتهم ، وصحفهم وخطباء ، مساجدهم أن يرددوا برقيات الاستفسار ، وأنباء حالة القلق التي تقضى مضاجع المسؤولين ٠

المنافقون ، الذين يستخدمون الدين وسيلة تضليل وغش ، وضحك على اللحى ، الذين يتباكون من بعيد ، ويطلقون صيحات الحرص ، ويلهجون بالادعية ويذرفون دموع التماسيح على المصيبة التي وقعت في بلاد النفط ، فمزقت العباءة ، وفضحت حالة الانسجام المفتعلة ٠

المنافقون ، تكلموا عن الاسلام ، والكعبة ، والاشهر الحرام ، وطهارة المقدسات ٠٠٠ للاستهلاك ، لانهم لا يعطون شعوبهم لا الخبز ، ولا الكرامة ، ولا حرية التراب ، ولا شرف الاستقلال وانما السجون ، والمخابرات ، والفتن الداخلية ، واتجار بكل شيء ، بدءا من رغيف الخبز وانتهاءا بتراب الوطن ٠

ولذا هم اتحدوا واندفعوا الى ملكوت اسرة تجار النفط السعودية ، وتمسحوا بالعباءة ، مقدمين فرائض الولاء والطاعة ، ليس لله ، وانما للاله الجديد : النفط ، وليس للكعبة ، وانما لقصور آل سعود ، الذين ما زالوا يعيشون بالشعب العربي السعودي في عصور محاكم التفتيش ، والانحطاط ، ودون مستوى القرود ٠

■■■

Digitized by Birzeit University Library

يا له من جيش ·· يا لهم من ممثلين اردياء

لقد جن جنونهم ·

بعضهم أرسل البرقيات والدموع ، وشق الاثواب ، اذ تناهى اليه الخبر ، وبعضهم أرسل قواته الجاهزة دائما للموت على أية أرض باستثناء أرض فلسطين ، ودفاعا عن أي عاصمة ، ما عدا القدس ·

ومن غير جيش الملك الهاشمي يذهب بلمح البرق الى بلاد النفط ، للدفاع عن مصالح البيت الابيض ، وذبح المعتصمين ببيت الله من فقراء العرب ؟

من غير هذا الجيش ، الحامل امجاد ذبح ثورة شعب العراق بقيادة رشيد عالي الكيلاني ، من غير هذا الجيش حليف الانفصاليين المتآمرين على وحدة مصر وسورية ، والمجلل بدماء الفدائيين الفلسطينيين ، المؤتمر بمصالح ورغبات أسرة لها (شرف) تمزيق بلاد العرب ، وأطلاق الرصاصة الاولى على رأس ثورتهم ، وربطهم بالانجليز ، والفرنسيين ·

من غير هذا الجيش الملكي المعد جيدا لاغتيال الفدائيين الزاحفين لتحرير القدس ؟

وهكذا ، التقى جيش الكلام المنافق ، بجيش زرعه الجنرالات البريطانيون ، وراحوا مؤتمنينه على التحالف مع الكيان الصهيوني ، ومواصلة ذبح الفلسطينيين ، والثوريين العرب حيثما واينما هبوا ·

يا له من جيش لم يخض معركة في سبيل الوطن ··· جيش يزين جنرالاته ، خريجي الاكاديميات البريطانية والاميركية ، بأوسمة كبرة ·· حصلوا عليها أين ؟

يا لهم من حكام شطار في ارسال البرقيات والدموع ، يا لهم من ممثلين اردياء نعرفهم جيدا ·

■■■

عصر القرود

صديق لي ، عمل في السعودية ، اخبرني ، حين التقيته ، بأن بعض الناس يعيشون في السعودية مع السعادين والقرود · انهم يسيرون في قوافل مشتركة،

Digitized by Birzeit University Library

واحيانا لا تميزهم عن بعضهم ، ان كنت بعيدا بعض الشيء عنهم ، يجب أن تراهم عن كثب · انهم ـ أقصد البشر ـ يعيشون في عصور بدائية ، يسيرون بأجسار هزيلة عارية ، لا مدارس لا طبابة ، لا بيوت ، لا كهرباء ، لا مواصلات ، لا راديو، لا شيء ··· الانسان هناك لا شيء · بل انهم يتكلمون بلهجات منقرضة ، عربية، وليست عربية ، قد لا تصدق ·· ربما بعد مئة سنة يصلون الى مستوى ·· مستوى الحيوانات الراقية أو الحيوانات التي في الحدائق العامة ·

ماذا تظن ؟

وصديق هرب من السعودية رغم الراتب المغري ·· وحكى لي عن الامراء ، والاميرات ، والحياة الباذخة ، وألف ليلة وليلة ، والتهتك ، وأمور لا تصدق ··

وبعد هذا ·· يقال الاشهر الحرم ·· والكعبة ·· وقدسية الاماكن الدينية ! الكعبة ؟ !! لمن الكعبة ؟ أليست للناس ؟

بيت الله ·· نعم ·· ولكن خلق الله ذهبوا الى بيت ! ليخرجوا من زمن القردة والسعادين الى زمن الانسان ·· وعليهم كان أن يواجهوا خدام البيت الابيض ، تجار النفط ، السفهاء الذين يبددون خيرات الامة ، وقوتها ، على أقدام السماسرة ، وكل صنوف التجار ، الذين بفضلهم يقوى الكيان الصهيوني ، ويعربد · الذين يدمرون مخيمات الفلسطينيين وقرى الجنوبيين بطائرات أسيادهم الاميركان ·· (أصحابهم) ، وبالنفط النابع من الصحراء العربية يحرقون القرى والمخيمات والمدن العربية ·

نعم : أهل بيت الله الفقراء · انتفضوا على جماعة البيت الابيض ، واهتزت مملكة الشر ، ففرحنا نحن العرب في كل مكان وارتجفت مفاصل عروش وكراسي ليست اقل شرا ·

والمثل عندنا يقول : الكلب لا يعض أذن أخاه ·· ولذا فهم أشرعوا أشداقهم وانيابهم ، واتحدوا ، وأصبحوا يأكلون جلود الفقراء الجوعى ، ويمصمصون عظامهم ، كي يفوزوا برضى من آل سعود ، ويحظوا ببركات فتات الموائد ·

■■■

اناديك

يا محمد بن عبد الله الثاني .

يا جيهان القاسي الملامح، بوجهك العربي الحزين الغاضب، يا **محمد** المحترق

Digitized by Birzeit University Library

بالقنابل الاميركية المستوردة خصيصا للمتمردين والثوار في بلاد الحجاز ونجد.

أيها الخارج على قوانين زمن النفط ، والقواعد الاميركية ، والتضامن العربي ، والمشاعر الدينية الكاذبة . يا محمد الصحراوي .. روحي فداك روحي فداك .. انني أشم رائحة ، حريق جسدك ، غضبك وصلنا ، شيفرة عظامك ولحمك وشرايينك ، وصلت ... وأشهد انك قد بلغت اذ التجأت وصحبك ، من التلال الى الكعبة ، ولذتم بصليل سيوف محمد بن عبد الله الاول وعلي بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وأبي ذر ...

واني لا عجب لفقير لا يحمل سيفه ويخرج في الناس ولو كان الفقر رجلا لقتلته بسيفي هذا .

فيا علي .. ويا أبا ذر ها قد انفجر الغضب ، وتدفق الفقراء ، وحجوا بالسيوف ، والمدى ، وكشفوا كل زيغ ، وتحدوا الضلال ، وصرخوا بالتجار والسماسرة ، في ابهاء الكعبة : أخرجوا من بيت أبينا ، أيها الصيارفة .

■■■

صحف عكرة بلون النفط

صحيفة **الشرق الاوسط** السعودية الملكية جدا ، الانيقة بفظاظة ، كأحد تجار النفط ، المحدثة النعمة ، المتسكعة على أرصفة لندن ، والتي نصبت نفسها : جريدة العرب الدولية .. في عددها بتاريخ ١٢/٦ نشرت صورة الثائر **جهيمان بن سيف العتيبي** ، أحد قادة الانتفاضة وكتبت تحت الصورة : **جهيمان بن سيف العتيبي بعد أسره** ، وقد لوحظ أنه صبغ وجهه بالاسود .

كذبت الجريدة النفطية الحاقدة في كل ما قالت باستثناء كلمة واحدة هي : أسره .

نعم أسر جهيمان ، بعد معركة دامت أكثر من عشرة أيام .

نعم أسر ، فهو كان في معركة .. معركة بين جيوش النفط وجيش الفقراء .

أما انه صبغ وجهه بالاسود فهذا كذب . لقد احترق بعض رفاقه بالقنابل الاميركية ، التي احضرت خصيصا ، والتي تشعل حريقا محدودا في الغرف والدهاليز والابنية . لكن الذين كانوا يطلون وجوههم بالاسود .. بالبوبيا ، وسخام الصاجات ، هم الجنود الملكيون الاردنيون الذين كانوا يحاصرون المخيمات والمدن والقرى أيام انتفاضة الشعب في الضفتين ضد **الجنرال تمبلر** ، وضد حلف بغداد ..

Digitized by Birzeit University Library

فقط القتلة يسخمون وجوههم ، لتصير بلون قلوبهم وضمائرهم ·

أما ذلك الشخص الذي اسمه **احمد الجار الله** والذي له صحيفة اسمها **السياسة** يصدرها في الكويت ، الجريدة التي حققت لنفسها سمعة لا تحسد عليها بالخدمات التي قدمتها للشاه المخلوع ، وللنظام الاردني بعد مذابح أيلول ·· **الجار الله** هذا زف للقراء في العالم الاسلامي نبأ أسر **جهيمان العتيبي** ومجموعته ، **والجار الله** أعلن : تنفرد السياسة ، من بين الصحف الكويتية ، بعرض صورة **جهيمان العتيبي** ، زعيم المجموعة التي قامت بعملية الحرم الشريف ، وذلك بعد أن خرج من القبو الذي كان يقود فيه فلول المجموعة الملتجئة الى سراديب الحرم ·

والجار الله يضيف : بعد ان تنفس العالم الاسلامي الصعداء ، بعد انقشاع هذا الكابوس الذي أصاب أقدس بقعة في قلوب المؤمنين ، فانه سيظل في ذاكرة المسلمين في كافة بقاع الارض ، أن تعليمات جلالة الملك **خالد بن عبد العزيز** ، بالحفاظ على سلامة المسجد الحرام كانت هي الالتزام الاساسي الذي ··· الخ ·

ناجي ماذا قال ؟

هذا الضمير ، البسيط ، الذي يختزل ويختزن في داخله خبرات المخيمات ، والمنافي والجوع وملاحقات البوليس وعسف الانظمة ··· **هذا الناجي العلي** ·· ماذا قال عن انتفاضة الحرم ؟

قال ما لم تقله قوى وطنية كثيرة ، انتظرت **بهدوء ورواق** بال ان **تحصل** على معلومات دقيقة تفصيلية !!

قال ما لم تقله صحف وطنية ، أو شبه ذلك ·· موضوعية ، وقورة ، فيها جيوش من محررين لا يجيدون كتابة خبر عادي ، ينفخون صدورهم ويحكون في القضايا الكبيرة وبناء الحزب الثوري ، وديكتاتورية البروليتاريا ·· قال كاريكاتورا بسيطا : برميل نفط فارغ ·· وطابور من الفقراء بملابس مرقعة ، وجلاد بعباءة ، ودشداشة ، وكرش ، وسيف ، ولم ينس الكوفية والعقال ··· دم الفقراء يصير نفطا ·· والولد الفلسطيني ، هذه المرة ، لا يدير ظهره ·· ويقول (فيكم ·· وفي كل ابهتكم وعظمتكم الفارغة) – انه يصف في الطابور ·· طابور الفقراء ··

فان ما حدث في السعودية ، **هو انتفاضة ، وهو (بروفة)** ، حتما ، لحدث عظيم قادم ، يخلع الشر من جذوره ، وينهي عصور الشر والانحطاط والفساد التي تفرضها الاسرة النفطية الملكية ·· بروفة عظيمة لحدث جليل عظيم ،

Digitized by Birzeit University Library

سيخلع القواعد الاميركية التي تمتص ارضنا ، وتعصرها ، وتنهب كل ما فـــي باطنها ·· ولذا ، فكل الشرفاء أعطوها ، ليس اعجابهم وتقديرهم فقط ، ولكن كل الاجلال والفرح ، رغم الحزن على رواد الثورة القادمة ، الذين قضوا ، بكـــل بسالة وشرف ومعهم زوجاتهم وأولادهم ·· ونجوا من عصر السعادين والقرود ··· وبشروا بعصر الانسان ·

● يهمني ان أشير باحترام الى المرقف الممتـاز الذي اتخذته **هيئة** تحرير مجلة **الصمود من الانتفاضة** ، حيث جاء غلاف العدد الاخير يشكل فضيحة كبيرة للنظام السعودي ·

● كما وأشير بالتقديـر للـدور الـذي ادتـــه جريدة **السفير** ، ولمتابعتهـا ، وتغطيتها للانتفاضة ، وفضحها لدور النظام الهاشمي الذي أرسل قوات اسهمت في قمع الانتفاضة ·

● شاعر فلسطيني مقيم في القاهرة هجا الانتفاضة شعرا عموديا ركيكـا ، وتباكى على مصير الكعبة ·· نشر قصيدته في مجلة (مقربة) من السعودية تصدر في باريس ·

● فلسطيني شاطر نفطي الحلول والمصالح أشاد بحكمة وحنكة المملكة ، وخاصة صاحب الجلالة بالسيطرة على الفتنة ···

Digitized by Birzeit University Library

نظام تبادل حقوق والتزامات اقامة الصناعات العربية (*)

د. عبد الرازق حسن

مقدمة :

(أ) ان القضاء على التخلف التكنيكي والاقتصادي لاي بلد يتطلب قبل كل شيء تنويع الهيكل الاقتصادي على اساس تزويد الاقتصاد باحدث انواع التكنيك واستخدام وسائل وطرق الانتاج الحديثة ، ويعتبر التصنيع اساسا للتغيير الجذري للهيكل الاقتصادي .

ومع بداية عقد الستينات ، ثم كنتيجة لاعمال لجنة التنمية الصناعية التابعة لهيئة الامم المتحدة ، ساد مفهوم يؤكد ان محور التصنيع هو تطوير الصناعات التحويلية ، كما توالت محاولات اغلب دول العالم النامي في تبني خطط تصنيع طموحه وذات اهداف متباينة ، ولحقت الكثير من البلدان العربية بهذا الركب ، والذي يمكن القول بأنه أخذ في الاسراع في عدد غير قليل منها ، بل وأنه حق قومي لا مجال لمناقشته خاصة في ظل توافر جو من العلاقات الدولية والعالمية الذي يتيح فرصا ارحب للاستفادة بالمنجزات التكنولوجية التي أحرزها العالم الصناعي طيلة القرن الحالي .

(ب) الا انه قد يكون من المبالغة في التبسيط اعتبار أن البلدان النامية - ومن بينها الاقطار العربية - انما تحظى بتفوق معين نظرا لانها تستطيع استخدام تجربة « الغير » ومنجزاته دون أية أبحاث او دور الوقوع في اخطاء ، ذلك لان هذه الامكانيا توجد في ظل ظروف وحدود ضيقة نسبيا . فاذا ما تزايدت الهوة الاقتصادية اتساعا فان الدولة العربية المنفذة لمشروعات التصنيع الجديدة سوف تواجه مشكلات جديدة لا حصر لها ، .. تضاف اليها مشكلة رئيسية هي محدودية السوق الداخلية من جانب ، ومخاطر السوق العالمية من جانب اخر .

(ج) فالمعروف ان المشروعات الصناعية الحديثة تتطلب استثمارات كبيرة للغاية ، وتدفقا مستمرا لكميات ضخمة من المواد الخام والوقود ، ووجود قوة عمل مدربة ، وأسواق تصريف واسعة ، ولا تؤدي الثورة التكنولوجية الى زيادة هذه المتطلبات وحسب او تبرز الحاجة الى درجة جودة عالية للمنتجات ، بل تؤدي أيضا الى نمو لا مثيل له في الاموال المستغرقة في انتاج معين ، وفي الاموال اللازمة لتزويد موقع العمل بالتجهيزات والمعدات ، ذلك معناه انه بينما تيسر المعرفة التكنولوجية - المستجلبة - جانبا هاما من احتياجات برامج التصنيع فانها - وبطريق غير مباشر - تضيف قدرا لا يستهان به من المشكلات واجبة المواجهة .

(د) وكنتيجة للتسارع غير المترابط لكثير من خطط التصنيع في عدد من اقاليم العالم النامي ، اصبح من الملاحظ في غالبية هذه البلدان ، وكذلك في فروع الصناعة

---

* د . عبد الرزاق حسن من ابرز المفكرين الاقتصاديين التقدميين في مصر . ومقالنا هذا هو في الاساس ورقة للمناقشة قدمها الى اللجنة الفرعية للتنسيق الصناعي التابعة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، المنعقدة في ما بين ١٦ و ١٨ - ٤ - ١٩٧٧ . وحملت الورقة عنوان « مشروع اتفاقية للتنسيق المسبق للانتاج الصناعي العربي ، او نظام تبادل حقوق والتزامات اقامة الصناعات العربية » .

Digitized by Birzeit University Library

الهامة ، شيوع ظاهرة التركز المشابه للانتاج في المشروعات « الكبيرة » وان كان معظمها دون الحدود الاقتصادية التي تتفق والمفاهيم الحديثة لاصول ومشكلات الحجم الانسب للمشروعات ·

(فمثلا يعتبر – طبقا لهذه الاصول – المشروع ذو الطاقة الانتاجية التي تبلغ ٤ ملايين طن من الحديد الزهر و ٥ ملايين طن صلب في السنة الصورة الانسب – حسب المؤشرات التكنولوجية والاقتصادية الرئيسية – لمجمع تعديـن حديث ذو دورة انتـاج كاملة . كما تبلغ الطاقة الانتاجية المناسبة لمصنع اسمنت حديث اكثر من مليون طن سنويا ، وفي انتاج سيارات الركوب ٢٠٠ ألف وحدة ، في انتاج سيـارات الشحن والجـرارات مـن ١٠٠ ألف الى ١٥٠ الف سنويا ، وهكذا ·· ولهذا فمن الطبيعي ان انشاء مثل هذه المشروعـات الصناعية – وخاصة ذات الضخامة النسبية – يتطلب وجود سوق كبيرة يسهل تصريف المنتجات فيها ، وهذا عمليا ما تفتقر اليـه البلدان النامية خاصة اذا لم تجمعها اطر اقليمية شاملة للتنسيق والترابط الانتاجي والتسويقي في آن واحد) ·

اولا : النشاط الصناعي العربي القائم ودور اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية

١/١ – في سعيها الى تحقيق التنميـة الاقتصادية ، لجأت الدول العربية – وبشكل خاص غير النفطية منها – وخلال العقديـن السابقين الى انتهـاج سيـاسات تصنيع تستهدف في المقام الاول « الاحلال محـل الواردات ، ونظـرا لاتسام غالبيـة هذه السياسات باقامـة مشروعات صناعيـة متعددة : صغيرة او متوسطة الحجم ، تنتج سلعا استهلاكية لمواجهة احتياجات الاسواق المحليـة التي تتميز بمحدوديـة طاقاتها الاستيعابية ، فقد ادى ذلك – وفي أحيـان كثيرة الى انخفاض حجم التبادل التجاري فيما بين الدول العربيـة بسبب عدم تحقيق فوائض انتاجية للتصدير من ناحية ولتشابه المنتجات الصناعيـة العربيـة من ناحيـة اخرى ·

٢/١ – وبطول عقد السبعينـات نحت المنطقة العربية مسلكا مختلفا في سياساتها التصنيعية حيث برز الاتجـاه الى اقامـة صناعات تصديرية وذلك بعد ان استنفـذت امكانات الاستمرار في اتباع سياسة احلال الواردات من جهـة ، وكضرورة تفرضها مقتضيات معالجة موازين المدفوعات من جهة اخرى. كما لوحظت ظاهرة انشاء صناعات تصديرية بالدول العربية النفطية كـأسلوب منطقي لتنويع مصادر ايراداتها وتطـوير هياكلها الانتاجية ·

٣/١ – ومع الاقرار التام بالحق الذاتي لاي دولة في انتهاج الاسلوب الذي تـراه مناسبا لتطوير اقتصادياتها وتنويعها ، الا أن زيادة حرص الاقطار العربية عى التعجيل باللحاق بالـركب الحضاري – الاقتصادي المتطور ، ادى الى بدء شيوع ظاهرة تكرار المشروعات الصناعية متشابهة الانشطة على الارض العربية ، الامر الذي لا يمكن الادعاء باقتصار حدوثه داخل امتنا العربيـة بل هي في ذلك سالكة نفس الدرب الذي انتهجته معظم الاقاليم النامية خلال العقدين الاخيرين من القرن الحالي ، باخطائه واخطاره ، الذي تدلل عليها المراجعة الاولية لخطط الانتـاج الصناعي التي صار اقرارهـا بالفعل في مجموعة اقطار الوطن العربي خلال فتـرة السنوات ١٩٧٣ – ١٩٨٠ (على التفصيـل المبين بالجدول المرفق) ، والتي يتضح منها تضمنها – على سبيل المثـال – لثمانية مشروعات جديدة للاسمدة الكيماوية وموادها الوسيطة ، واحدى عشر مشروعـا لانتاج الاسمنت ، وتسعـة مشروعـات للحديد والصلب ، وأربعـة مشروعـات لتجميع السيارات ، والجرارات · وبطبيعة الحال فان من أهم أسباب ذيوع مثل هذا التكرار والتشابه – ودون أية مناقشة لحق أي دولة في اقامة الصناعات التي ترغبها – انما هو

Digitized by Birzeit University Library

ناتج عن سببين رئيسيين أولهما : تشابه الكثير من الموارد الطبيعية ذات الوفرة النسبية في بعض هذه الدول مع وجود فوائض مالية تحفز الاقدام على انشاء صناعات جديدة تدعيما للاقتصاد وتنويعا لمصادر الدخل وتعديلا كذلك لهيكل التجارة الخارجية ، .. والسبب الثاني هو بطبيعة الحال غياب خطة قومية شاملة تجمع تحت لوائها سياسات وبرامج التصنيع القطرية العربية وتنسق بينها وتحقق المصالح المشتركة لكل الاطراف المشتركة فيها .

٤/١ - ان تحقيق التكامل الاقتصادي لا يمكن تقييمه تقييما صحيحا الا باعتباره جهدا مستمرا يسعى الى التوفيق بين هدف الاستخدام الامثل للموارد الاقتصادية المتاحة من أجل اقامة القاعدة الصناعية التي تسمح بها امكانيات المنطقة ، وبين هدف اخر هو اعطاء جميع الدول الاعضاء الفرصة للمشاركة في اقامة هذه القاعدة ، وفي اقامة صناعاتها الخاصة بها وفقا لمبدأ الاعتماد المتبادل ، .. خاصة بعد ما ثبت من ضرورات لوجود نوع من التنسيق التخطيطي للصناعات التكاملية في جميع أطر التكتلات الاقتصادية وبوجه يخدم اهداف المجموعة ، وبحيث تسانده دراسات عميقة لاعداد المعايير اللازمة لتحقيق كفاءة التوزيع الاستثماري . وعدالته في وقت واحد ، الامر الذي ينطبق على الامة العربية وعلى اية منطقة اخرى تسعى الى تحقيق التكامل الاقتصادي من خلال البرمجة الصناعية في اطارها الشمولي .

٥/١ - وللحقيقة ، فقد تنبه - وفي مرحلة مبكرة - مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، الى الاخطاء التي قد تنجم عن ظاهرة التكرار هذه في برامج التصنيع والصناعات العربية ، وحرص على وضع الاطار التشريعي المرن الذي يضمن تطبيقه المتكامل درء هذه الاخطاء بل وتجنبها قبل وقوعها ، وذلك بموجب قراره رقم (٢١٦) الصادر في دورات انعقاده العادي الثامن (بتاريخ ٢٢ - ٢ - ١٩٦٦) والذي تنص بنوده على ما يأتي : -

« أن تأخذ الدول بعين الاعتبار الاثار التي قد تنجم عن التسابق في اقامة صناعات لديها يوجد ما يماثلها في الدول الاعضاء الاخرى قبل انجاز أعمال التنسيق بينها » .

« أن تأخذ الدول التي ترغب في اقامة صناعات جديدة لديها بعين الاعتبار وضع الصناعات المماثلة القائمة في الدول الاعضاء الاخرى » .

«ان لكل دولة عضو ترى في قيام دولة أخرى بانشاء صناعة مماثلة لصناعة موجودة لديها .. وسوف تتأثر من هذا المشروع الجديد ، ان تتقدم الى مجلس الوحدة الاقتصادية العربية بمذكرة بهذا الشأن تتضمن دراسة عن الصناعة القائمة لديها والمبررات التي تحملها على طلب دراسة الموضوع » .

٦/١ - وكتجسيد عملي لاهداف هذا القرار ، تبنى مجلس الوحدة الاقتصادية العربية خلال السنوات القليلة الماضية ، تنفيذ سياسة تنسيقية للمجالات الانتاجية المختلفة - تعتمد على اسلوبين رئيسيين هما :

صيغة المشروعات العربية المشتركة بالنسبة للاستثمارات الجديدة .

صيغة الاتحادات النوعية المتخصصة بالنسبة للاستثمارات القائمة .

وقد تحقق من خلال تبني هذه السياسة اقامة عدد من الانشطة العربية المشتركة في قطاعات التمويل الانمائي والانتاج والاستثمار والخدمات ، كما تم انشاء عدد اخر من الاتحادات النوعية المتخصصة في القطاعات الانتاجية وفي قطاع البنية الاساسية ايضا .

٧/١ - ورغم الكفاءة الموثوقة لهذه

Digitized by Birzeit University Library

الصنع ، واتساع الافاق التي يمكن ان تحققها بعد مرور عدد كاف من السنوات على مباشراتها التنفيذية لانشطتها وواجباتها على الارض العربية ، فان التجربة العملية ونتائج تحليل الخطط العربية القطرية في المجال الصناعي ، تؤكد الحاجة الى ضرورة ربط هاتين الصيغتين ، بحلقة ثالثة وجديدة تحكم امكانات تنفيذ النمو السليم للاقتصاديات العربية على صعيدها القومي، خاصة وقد برزت في الاونة الاخيرة عدة شواهد تتعارض والمصلحة الاقتصادية العربية القومية، خاصة على الاجال المتوسطة والطويلة وان بدت بعض آثارها في الاجل القصير ، وهذه الشواهد تعتبر نتيجة طبيعية لظاهرة التكرار في اقامة الانشطة المتماثلة وعدم الربط بينها .

٨/١ – وبطبيعة الحال ، فانه عند غياب خطة عربية قومية شاملة للانتاج الصناعي فان التكرار المشار اليه – ثم مضاعفاته خلال الفترات المقبلة – كفيل بأن يتيح الفرصة لتواجد الوحدات الانتاجية المتنافسة ومضارها المتعددة الى جانب سلبيات الانتاج المحدود والمتناثر جغرافيا على رقع ارضية ذات اهداف واحدة وذات هياكل تسويق ذاتية – داخلية – محدودة لا تستطيع أي منها – منفردة – أن تتحمل مواجهة التقلبات الحادة للسوق العالمية ، ذلك اذا ما وسعت انتاجها حتى يلج هذه السوق – الامر الذي تمليه في معظم الاحيان طبيعة المشروعات المنفذة سواء من الناحية التكنولوجية او من الناحية الاقتصادية المجردة – اما اذا بقي هذا الانتاج – حجما وأهدافا – داخل حدود الاستهلاك القطري – او أبعد قليلا – فانه ولا شك سوف يواجه عدة مشاكل منها :

- التكلفة الاكثر ارتفاعا للالات والمعدات ،
- ضعف تطور التخصص ومحدوديته ،
- انخفاض كثافة استخدام الموجودات الاساسية ،
- الحاجة الى معدلات كبيرة لرأس المال المتداول ،
- زيادة استغراق الانتاج لرأس المال (بالمقارنة بالدول الصناعية) .

٩/١ – ومن واقع ما تقدم من معطيات ، وبما اثبتته الكثير من التجارب العملية في مجالات التصنيع وسياساته ، تبرز حقيقتان على جانب كبير من الاهمية اولاهما: أن نجاح المشروعات الصناعية – خاصة تلك ذات الطاقات الانتاجية المرتفعة – يعتمد بصورة رئيسية على الارتفاع المستمر لمعدلات تشغيلها ، وهذا الامر يتطلب – قبل أي شيء آخر – توافر السوق الواسعة المضمونة القادرة على استيعاب منتجات هذه المشروعات ، .. والحقيقة الثانية هي ان المشروعات الصناعية غير المستندة الى القاعدة الاستهلاكية المضمونة المتمثلة في طاقات استيعابية ملائمة ، تتعرض باستمرار الى العديد من المخاطر السياسية والاقتصادية من ابرزها الاضطرار الى التكامل مع قوى اقتصادية أجنبية وفي حالة البلدان العربية فان مثل هذا الوضع يعزز الانفصام بين الاستثمارات المستغرقة في مشروعاتها وبين المصالح العربية من ناحية ، ويجعلها بصفة مستمرة عرضة للانعكاس السلبي لاهتزازات الاقتصاديات الاجنبية ، من ناحية اخرى .

ثانيا : فكرة المشروع « اتفاقية نظام المطروح » :

١/٢ – يعتبر المشروع المطروح في مجمله بمثابة « صمام الامان المتصور » للمرحلة المقبلة للنمو الصناعي العربي ، وكفترة انتقالية الى حين اقرار خطة عربية شاملة للتنمية في المجالات المختلفة ، تراعي باحكام وثيق كل من الظروف القومية والخصائص القطرية للصناعة العربية ، والمصالح المشتركة المنظومة تحت لواء المصلحة الواحدة للأمة العربية .

وتفرض الحاجة الى مثل هذا التصور عدة حقائق هامة تجلت بشكل واضح وثبتت

Digitized by Birzeit University Library

تأثيراتها على الواقع الاقتصادي العربي خلال السنوات الاخيرة ، تتلخص في ان الاطار الراهن للعلاقات الدولية لن يتيح - ولعشرين عاما قادمة على الاقل - سوقا مناسبة للصناعات العربية - ومهما كانت درجة كفايتها وتقدمها - خارج نطاق الارض العربية الا في نطاق محدود لا يوفر لها الظروف المواتية للانطلاق والازدهار.

٢/٢ - **وتعتمد** فكرة المشروع المقترح على الاركان الرئيسية الاربعة التالية :

• الانطلاق بمبادرة تنفيذية عملية لنصوص واحكام قرار مجلس الوحدة الاقتصادية العربية رقم (٢١٦) د ٨ سابق الاشارة اليه، وبشكل يكفل تحقيق الارتباط بين هيكل الانتاج الصناعي العربي ، والقاعدة الاستهلاكية العربية للمنتجات الصناعية .

• ضم صيغتي المشروعات العربية المشتركة والاتحادات النوعية المتخصصة الى اسلوب ثالث يستكمل أهدافها ويحقق ارتباطا عمليا اوثق وتنسيقا اشمل للانتاج الصناعي العربي ومخططاته المقبلة .

• استغلال مفهوم المصالح المشتركة للدول العربية - المتمثل في المصلحة العربية الواحدة - في خدمة تطلعاتها المشروعة وفي تنمية اقتصادياتها وتنويع هياكلها والاخذ بمزايا الانتاجية المعاصرة مع تجنب اخطارها غير المباشرة .

• افساح المجال امام الاستثمارات العربية المشتركة للاسهام بشكل اكثر فاعلية في تطوير الصناعات العربية وتحقيق التعاون والتكامل العربيين في المجال الصناعي .

٣/٢ - **وتتمثل** عناصر الاسلوب المقترح فيما يشبه صيغ التعاقدات متعددة الاطراف، والموقوتة المدة ، والتي تحدد بعضا من الحقوق والالتزامات للاطراف المتعاقدة ، حول مشروع او نشاط صناعي معين ، بحيث يحقق الامتناع والتنازل « القطري » من جانب احدى الدول المتعاقدة عن انشاء مشروع ما ، التزاما « قطريا » على جانب او دولة اخرى - طرف اخر في التعاقد - سواء بالتزويد بالانتاج - وفق المواصفات والاسعار الدولية - او بالحصول على المواد الخام من الطرف الممتنع عن تصنيع هذه المواد المتوافرة لديه - خلال فترة التعاقد .. او بالاشتراك في رأس المال والادارة والتسويق - عربيا وخارجيا ، .. وقد يذهب التعاقد أيضا الى اقتسام تصنيع اجزاء معينة تمثل في مجموعها انتاجا صناعيا كاملا وفي مقابل ارتباطات محددة المدة وشروط تتضمن صالح الاطراف المشتركة كلها .

ثالثا : الجوانب العملية لتنفيذ المشروع المقترح للتنسيق المسبق للصناعات العربية الحديثة .

١/٣ - تنحصر المهمة الرئيسية لاعمال النظام (او الاتفاقية) المقترح ، في دراسة المشروعات الصناعية العربية الجديدة المراد اقامتها داخل احدى الدول الاطراف المتعاقدة . قبل اقرار « او الترخيص » بانشائها ، وينصب ذلك على المشروعات الانتاجية التي تخضع لشروط ومواصفات أساسية معينة (كأن يتعدى رأسمال المشروع ... مليون دينار عربي حسابي ، وان تكون نسبة من انتاجه - في حدود ٢٠٪ مثلا - مخصصة للتصدير ، وذلك وفق معايير تتفق ونوعية كل صناعة محل الدراسة بالتراضي الكامل - والاختياري للاطراف المتعاقدة) .

٢/٣ - تضمن الحدود السابقة لطبيعة عمل النظام المقترح عدم تدخله - بصورة او باخرى - في عمليات تخطيط وانشاء المشروعات الصناعية القطرية ، والاقتصار على تنظيم اقامة المشروعات الضخمة ذات التأثير الاقليمي العربي والمرتبطة بالسوق العربية الواحدة ، وبالاستناد الكامل الى الرغبة الذاتية لكل قطر عربي .

Digitized by Birzeit University Library

٣/٣ ـ يتم تحديد المشروعات الصناعية التي تخضع لهذا النظام ، كذا تقدير رؤوس الاموال المحددة بالنسبة لكل صناعة حتى تعتبر ذات تأثير اقليمي (على المستوى القومي العربي) ، والمواصفات الاساسية للانتاج (المتفقة مع المواصفات الدولية السائدة للصناعة موضع الدراسة) ، عن طريق لجان فنية تشكل من قبل الدول الاعضاء وتكون بمثابة الجهة الاستشارية لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية ـ عن طريق امانته العامة في خطوات تنفيذ هذا المشروع .

٤/٣ ـ تمنح المشروعات التي تحصل على « ترخيص » بمقتضى النظام المقترح اعفاءات جمركية في جميع الدول الاعضاء (المنضمين للاتفاقية الخاصة بهذا المشروع)، ويشترط عدم اقامة مشروعات مماثلة بتلك الدول خلال فترة معينة يتم تحديدها بالنسبة لكل مشروع على حدة ، الا اذا ثبتت الحاجة الاقتصادية والاجتماعية خلاف ذلك وبموجب تعديل في الاتفاق الاصلي ترتضيه الاطراف المتعاقدة .

٥/٣ ـ في مقابل « تنازل/ امتناع » الدول الاعضاء التي تملك مقومات اقامة مشروعات مماثلة عن تنفيذ هذه المشروعات خلال المدد التي يتفق عليها (٣ ـ ٥ سنوات او اكثر حسب الاحوال والمقتضيات مع امكانية تجديدها) ، تمنح هذه الدول بعضا من المزايا ازاء تنازلها الاختياري هذا ، قد تتمثل في واحد مما يلي او اكثر .

* حق المساهمة في رأسمال المشروع المرخص له بالتنفيذ .
* الاولوية في الحصول على المنتجات بالاسعار الدولية او بأسعار التكلفة مضافا اليها نسبة يتفق عليها .
* استخدام المشروع للمواد الخام المتوافرة في الطرف المتنازل عن التصنيع .
* الالتزام باقامة مشروعات تكميلية للمشروع المنفذ باراضي الطرف الاخر (طرف واحد او اكثر) .
* الاشتراك في الادارة والتسويق واقتسام العائد بنسب يتفق عليها .

وبطبيعة الحال فان هذه المزايا المتبادلة تتوقف على نوعية المشروع ويتم الاتفاق عليها من خلال مفاوضات مباشرة بين الاطراف المعنية (قد تدعو اليها وتشرف عليها الامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية وبمعاونة اللجنة الفنية/ الاستشارية المشار اليها) .

٦/٣ ـ تتضمن « التراخيص » طبقا لهذا « النظام » عددا من الشروط والالتزامات الاساسية المتعلقة بالعملية الانتاجية والمنظمة للعلاقات المترتبة على اقرار هذا المشروع وأهمها :

الشروط الكمية : وتنصرف الى التزام الطرف المرخص له بالوفاء بالاحتياجات السلعية للاطراف الاخرى ، من انتاج مشروعه .

الشروط النوعية : وتتعلق بالالتزام بانتاج سلعة تقدمة لها قدرة تنافسية من حيث الجودة والمواصفات الفنية الاخرى .

الشروط السعرية : وتنصب على توفير السلع المنتجة في حدود الاسعار السائدة بالاسواق الدولية او بتلك التي يتفق عليها.

الشروط الوقائية : وتنصرف الى الحيلولة دون تمكين الشركات الاجنبية من الاستفادة من الترخيص الممنوح الا في اضيق الحدود وفي ضوء المقتضيات الادارية او الفنية .

الشروط الزمنية : وتختص بتحديد الافق الزمني (المدة الزمنية) للترخيص والذي يتم تجديده على ضوء الطبيعة الفنية والاقتصادية لكل مشروع وعلى الظروف التسويقية لمنتجاته .

الشروط الاعفائية : وتحوي موافقة الدول الاطراف في منح الترخيص على معاملة منتجات المشروع كسلع وطنية تتمتع بكل مزايا التحرير من الرسوم الجمركية والقيود

Digitized by Birzeit University Library

التجارية والادارية طيلة مدة سريان الترخيص .

٧/٣ - يوضح الشكلان المرفقان النوعيات المتعددة للعلاقات التكاملية - حقوق والتزامات - التي يسمح النظام المطروح بتواجدها بين الاطراف المتعاقدة (واحدة او اكثر من هذه العلاقات المتبادلة وبما يتفق وظروف كل مشروع والاتفاق المبرم بشأنه) .

رابعا : الخطوات الاجرائية للمشروع (تصور لآلية العمل) :

١/٤ - تقوم الدولة - او الجهة - الراغبة في انشاء مشروع صناعي تصديري ذو طاقة انتاجية كبيرة ، بتقديم الدراسات المسبقة للمشروع الى الامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية بغرض طرحه للنقاش والتفاوض على النطاق العربي .

٢/٤ - تقوم الامانة العامة بتعميم الدراسة الخاصة بالمشروع على الدول الاعضاء ، كي تقوم كل من تلك التي قد يوجد لديها مشروعات قائمة مماثلة ، او التي تخطط بالفعل لانشاء مشروعات مماثلة، بدراسة تأثير اقامة المشروع الجديد على نشاطها الصناعي - القائم فعلا او المعتمد التخطيط لتنفيذه - وتكوين لجنة فنية تمثل رأي الدولة في اجتماع عربي موسع يضم مختلف اصحاب المصالح في النشاط محل التفاوض ويتم تحت اشراف الامانة العامة للمجلس وبدعوة منها خلال فترة زمنية محددة من التعميم (٣ اشهر مثلا) .

٣/٤ - وفي انتظار الانتهاء من دراسة المشروع الصناعي المطروح للتفاوض من قبل السلطات الوطنية المعنية ، تتولى الامانة العامة تكليف مجموعة من الخبراء المختصين في نشاط هذا المشروع (ويمثلون هنا لجنة فرعية تنبثق عن اللجنة الاستشارية الدائمة المشار اليها من قبل) ، ليتولوا اعداد دراسة عن امكانيات تسويق منتجات هذا المشروع عربيا ودوليا ومدى توافر مقومات الانتاج على النطاق العربي الشامل ، وبحيث توضع نتائج هذه الدراسة تحت تصرف الاجتماع العربي الموسع عند عقده .

٤/٤ - يتم الاجتماع الموسع المشار اليه في مقر الامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، او في الدولة صاحبة المشروع ان رغبت في ذلك ويتم خلال التفاوض المباشر بين جميع الاطراف صاحبة العلاقة للاتفاق على المزايا والالتزامات (الحقوق والواجبات) التي تكفل اقرار نمط للتخصص الانتاجي في مجال النشاط الصناعي المطروح ، يستند على المصالح المتبادلة والرؤية الشمولية الواضحة ، ويكون الهدف النهائي من عقد مثل هذا الاجتماع ، ومن المفاوضات التي تتم في اطاره ، التوصل الى عقد اتفاقية تكامل محدودة بين الاطراف ذات المصلحة يتم بمقتضاها توزيع عادل للحقوق والواجبات المترتبة على مباشرة طرف ما للنشاط وتنازل طرف - او اكثر - عن هذه المباشرة .

خامسا : المزايا المنتظر تحقيقها من المشروع المقترح :

١/٥ - تطبيق احكام العديد من الاتفاقيات المنعقدة في اطار مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، ليس فقط من قبل الدول الاعضاء، وانما ايضا من قبل الدول غير الاعضاء التي توافق على الانضمام الى هذا النظام او تشارك في منح الترخيص لمشروع معين، وتنطبق هذه الحقيقة على تنفيذ احكام قرار السوق العربية المشتركة على اسس مرحلية وقطاعيه .

٢/٥ - توسيع رقعة التعاون الاقتصادي العربي بحيث يشمل عددا اكبر من البلدان العربية يفوق عدد الدول الاعضاء في اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية ، وما يحققه ذلك من سيولة مطلوبة في حركة عناصر الانتاج فيما بين الدول العربية .

٣/٥ - استثناء سلع المشروعات المرخص باقامتها في ظل هذا النظام من تلك المتطلبات

Digitized by Birzeit University Library

الاقتصادية العامة التي من الممكن أن تتخذها بعض الدول تحقيقا لاغراض سياسية في مراحل معينة وتخفيف نزعة التأثير لاية دولة ـ خارجية ـ على المشروع الاقليمي للحيلولة دون استغلاله ·

٤/٥ ـ تشجيع الفنيين والاداريين على تخفيف كفاءات انتاجية عالية وعلى خفض تكاليف التشغيل والانتاج ، مما يعود بالنفع على مشروعاتهم ويؤدي الى تطوير اطارات وكوادر من الكفاءات الفنية والادارية تتسم بشمولية النظرة وقوميتها ·

٥/٥ ـ الافادة من اتساع حجم السوق الناشىء عن ازالة الحواجز الجمركية والادارية ، الامر الذي يتيح للوحدات الانتاجية تحقيق وفورات الانتاج على نطاق واسع ، كما يتيح انتاج سلع بمواصفات فنية ومتقدمة مرتكزة على معايير التخصص والتركيز ـ وان كان محددا بفترة زمنية فان الاجادة تكون سندا له في اطالتها وتمديدها ، بالاضافة الى الوفورات الناتجة عن التسهيلات المالية وتكاليف التسويق التي تنخفض كلما كبر حجم العمليات التجارية ·

٦/٥ ـ استحداث نوع من التخصص، الممكن تسميته بالتكامل الرأسي ، بما يحقق العبور الى حدود اقتصادية وتكنولوجية جديدة تستطيع ان تولد تحولا بعيد المدى في تطوير البنية الاقتصادية للدول المشتركة·

٧/٥ ـ تنظيم الصناعات العربية على اسس واقعية تتناسب والظروف السياسية والاقتصادية العربية المعاصرة · وبرمجة ما نصت عليه اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية بشأن تنسيق السياسات الصناعية، وترابط المصالح الاقتصادية وتوفير المناخ للسير بالاهداف التكاملية العربية قدما ·

٨/٥ ـ انه على الرغم من الطابع « الاختياري » للمشروع المقترح ، فانه يسمح بنوع من التخطيط المشترك لفروع معينة من الصناعة وخطوط الانتاج وهو بهذه المثابة يشابه التخطيط التكاملي لصناعات بذاتها ، ويمكن بطبيعة الحال ان يبدأ بنوعيات محددة منها تتسع تدريجيا كلما زادت الخبرة في التطبيق وتأصلت مفاهيمه، مع الحفاظ بصورة مستمرة على هدف دعم التنمية السريعة لخطوط الانتاج في الدول الاعضاء الاقل نموا من الناحية الصناعية سواء عن طريق شركائها في الاتفاق ممن يمكن اعتبارهم اكثر نموا ، او عن طريق تعاضدهما معا تجاه الدول المتقدمة صناعيا في تحقيق البرامج الصناعية المستهدفة ، وبما يضع نوعا من « الضوابط » امام الظاهرة التي عرفت في الفترة الاخيرة باسم انتشار او تسويق « الصناعات البائرة » عن طريق العالم الاول ·

هذا ، وتجدر الاشارة الى ان وضع الاقتراح المعروض موضع التنفيذ في نطاق « منظمة حكومية عربية (الامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية) » كفيل بالقضاء تماما على ظاهرة السرية ، غير المقصودة لذاتها في احيان كثيرة التي تحيط بعمليات تخطيط وانشاء المشروعات الصناعية في الدول العربية ، وعلى ما تمثله هذه الظاهرة من عقبة لا يستهان بها في طريق مسيرة التكامل الصناعي العربي ·

بل ويمكن القول انه حتى بالنسبة لتلك الدول التي لن تدخل طرفا في منح ترخيص باقامة نشاط انتاجي صناعي معين وفقا لهذا المشروع فانها لا بد وان تأخذه بعين الاعتبار عند اختيارها للمشروعات الصناعية الداخلة في خططها ، وهذا الامر في حد ذاته يمثل نوعا من الحماية لهذه المشروعات مستقبلا ·

Digitized by Birzeit University Library

ارتباط اسرائيل بالسوق الاوروبية المشتركة والتبادل التجاري مع الاقطار العربية

محمد قرّش

رد الفعل العربي على ارتباط اسرائيل بالسوق

مرت علاقة الدول العربية بالسوق المشتركة بمرحلتين رئيستين :

امتدت الاولى من عام ١٩٥٧ وحتى نهاية عام ١٩٦٢ ، واتسمت بالتردد في اقامة العلاقات الاقتصادية مع التكتل التجاري الجديد . ويعود هذا التردد للاسباب التالية:

أ) لم تتضح ، بعد ، امكانية تطبيق معاهدة روما ، القاضية بانشاء سوق اوروبية مشتركة . وبالتالي فان أي ردة فعل ستكون سابقة لاوانها .

ب) أن اسرائيل لم توقع ، بعد ، أي اتفاقية مع دول السوق . على الرغم من انها تقدمت بطلب رسمي للارتباط بالسوق عام ١٩٥٩ . لكنها لم تفلح في عقد أي معاهدة مع السوق الا عام ١٩٦٤ ، وهي أول معاهدة تعقدها دولة شرق اوسطية مع التكتل الاقتصادي الاوروبي الجديد . وحيث ان ردة الفعل العربية مرتبطة بمدى نجاح اسرائيل في عقد معاهدة مع دول السوق ، فان تأخير ارتباطها بالسوق قد اتاح للدول العربية فرصة لدراسة اهمية المنظمة الاقتصادية الجديدة على صعيد التجارة الدولية .

ج) ان جامعة الدول العربية لم تبادر ، حتى ذلك التاريخ ، لدراسة النتائج الاقتصادية والسياسية لقيام السوق الاوروبية . وقد تركت الحرية لكل دولة عربية لفعل ذلك بمفردها على ان تزود الجامعة العربية ومؤسساتها الاقتصادية بأية دراسات او بحوث حول هذا الجانب * .

واتسمت المرحلة الثانية ، باقبال الدول العربية على الارتباط بدول السوق ** . ولهذا الاقبال اسبابه :

فأولا : أصبحت السوق الاوروبية المشتركة حقيقة واقعة ، معترف بها من كافة التكتلات الاقتصادية الدولية .

وثانيا: ارتباط اسرائيل بمعاهدة تجارية مع دول السوق عام ١٩٦٤ ، دفع الدول العربية الى الاسراع للارتباط ، بأي شكل ، بالمجموعة الاقتصادية .

وثالثا : مطالبة جامعة الدول العربية كافة الدول الاعضاء ، منفردة او مجتمعة بالاتصال بالسوق لعقد اتفاقيات تجارية تضمن للدول العربية الحصول على امتيازات لا تقل عن تلك التي حصلت عليها اسرائيل . وقد جاءت مطالبة جامعة الدول العربية للدول الاعضاء ، بعد ان اتضح الانقسام في الرأي . فدول المغرب العربي وبعض الدول العربية الاولى وجدت ان مصلحتها الاقتصادية تكون بعدم معارضة هذا التكتل

---

* وهذا يعود بدوره لاسباب سياسية واقتصادية متعددة راجعة لاوضاع الدول العربية في ذلك الوقت .

** يطلق بعض الباحثين على هذه الفترة اسم المرحلة الايجابية .

Digitized by Birzeit University Library

الجديد ، بل بالتعاون معه ، واقامة أوسع العلاقات التجارية بما يخدم تطوير اقتصادياتها · بينما ارتأت بعض الدول العربية الاخرى عدم التسرع في اقامة علاقات مع السوق المشتركة ، ريثما تتضح طبيعة وفحوى العلاقة بين اسرائيل والسوق حتى يتسنى لها اتخاذ موقف موحد · وأمام هذا الوضع تركت جامعة الدول العربية الحرية للدول الاعضاء اقامة العلاقات مع دول السوق · وعلى ضوء ذلك ، فقد بادرت العديد من الدول العربية للاتصال بالسوق المشتركة، بهدف عقد معاهدات أو اتفاقيات تجارية ، على أن تراعي التزاماتها العربية ، وأن ترتبط بأي منظمة اقتصادية دولية تتعارض مع مبادىء الوحدة الاقتصادية العربية · وبهذا فانه يمكن القول بأن ردة الفعل العربية على ارتباط اسرائيل بالسوق لم تكن متجانسة وبالتالي لم تتمكن من التأثير على علاقة اسرائيل بالسوق · وكما رأينا ، اثناء استعراضنا لحيثيات ارتباطها ، فان الضغط العربي لم يكن له أي تأثير على تأخر ارتباط اسرائيل بالسوق ، وانما المصالح المباشرة لكل من فرنسا وايطاليا هي التي حالت دون سرعة الارتباط · وكما لاحظنا ، فان الفيتو الفرنسي الايطالي على ارتباط اسرائيل قد تلاشى بالكامل ، دون ان تقدم فرنسا وايطاليا تبريرا معقولا لذلك · يمكننا القول وبدون تحفظ بأن ردود الفعل العربية على ارتباط اسرئيل بالسوق لم تكن بمستوى الهدف ، على الرغم من امتلاك الدول العربية، وخاصة بعد عام ١٩٧٣ ، وكافة وسائل الضغط التي تتمكن من خلالها ليس فقط من تحقيق أهداف الدول العربية وانما من منع ارتباط اسرائيل في السوق ·

أما الاجتمعات والمؤتمرات العديدة التي عقدتها جامعة الدول العربية ، بهدف تطويق علاقة اسرئيل بالسوق الاوروبية المشتركة فقد فشلت جميعها ، بسبب الانقسام في الصف العربي ·

الاجتماعات العربية المشتركة

عقدت جامعة الدول العربية ومجلس الوحدة الاقتصادية سبعة اجتماعات ، لمناقشة الآثار المترتبة على ارتباط اسرائيل بالسوق ، طوال الفترة الممتدة من ١٩٦٢ - ١٩٧٠ · ففي الاجتماع الاول ، الذي عقد في شهر نيسان ١٩٦٢ ، أوصت لجنة الشؤون الاقتصادية التابعة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية بما يلي * :

١) ابلاغ دول السوق المشتركة بأنه في حال ارتباط اسرائيل باتفاقية أو معاهدة تجارية معها ، فأن الدول العربية ستعيد النظر في حجم التبادل التجاري مع دول السوق ·

٢) ايفاد لجنة فنية (اقتصادية وتجارية) من خبراء الاقتصاد في جامعة الدول العربية للاجتماع مع المسؤولين في السوق من أجل مناقشة الآثار الاقتصادية الناجمة عن ارتباط اسرائيل بالسوق ·

٣) قيام جامعة الدول العربية بتعيين مندوبين دائمين لدى مقر السوق في بروكسل لمتابعة ومواكبة المحادثات التي تجري بين اسرائيل والسوق · وتقديم تقاريرها الدورية للامانة العامة لجامعة الدول العربية ·

٤) استدعاء سفراء دول السوق الست ، المعتمدة لدى الدول العربية ، لابلاغهم بالاخطار التي ستلحق بحجم التبادل التجاري بين الاقطار العربية ودول السوق ، اذا ما أصرت على عقد اتفاقية تجارية مع اسرائيل· بنفس الوقت الذي يقوم سفراء الدول العربية

---

* سنكتفي بالاشارة الى أبرز التوصيات

Digitized by Birzeit University Library

المعتمدة لدى دول السوق بابلاغ حكومات الدول الست بمضمون هذه التوصية ·

ويتضح من هذه التوصيات أنها صيغت بلهجة حادة ، لكنها ، للاسف ، لم تترجم على الصعيد العملي · مما أضعف ليس فقط الموقف العربي التفاوضي مع دول السوق بل بين ايضا عدم جدية الدول العربية في مواجهة ارتباط اسرائيل بالسوق ·

أما الاجتماع الثاني ، الذي عقد في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٣ ، فقد تبخرت فيه التوصيات الاولى ، وأجازت للدول العربية حرية لارتباط بالسوق ، بشرطين :

أ ـ أن لا ترتبط أي دولة عربية مع أي تكتل اقتصادي من شأنه ان يتعارض مع السوق العربية المشتركة والوحدة الاقتصادية العربية ·

ب ـ عدم اعطاء امتياز لبلدان السوق المشتركة من شأنه التأثير على حجم التبادل التجاري بين الاقطار العربية ·

وفي الاجتماع الثالث ، الذي عقد في شهر آب (أغسطس) ١٩٦٤ (أي بعد توقيع اسرائيل لاول اتفاقية مع السوق) ، أوصى المجلس بأن تقوم الدول العربية ، مجتمعة او منفردة ، بالاتصال بالسوق ، لعقد اتفاقيات تجارية معها ، تضمن للاقطار العربية الحصول على امتيازات مماثلة لتلك التي حصلت عليها اسرائيل · وقد اشترط المجلس بألا تتعارض الاتفاقيات مع المصالح والاهداف العربية العليا ··· وقد ارفق بهذه التوصية توصية اخرى تقوم الدول العربية بحملة دعائية ، بواسطة أجهزة بموجبها الدول العربية بحملة دعائية ، بواسطة اجهزة الاعلام العربية ، تستهدف حمل دول السوق على منح الاقطار العربية مزايا مماثلة لتلك التي حصلت عليها اسرائيل ·

ويبدو واضحا ليس فقط التغيير بصيغ التوصيات ، وانما في تغير نظرة الدول العربية للسوق المشتركة · فبعد ان كان الموقف العربي يستند الى التحذير من مغبة أقدام دول السوق على عقد معاهدة أو اتفاقية تجارية مع اسرائيل ، نراه ، الآن ، يتغير باتجاه مطالبة الدول العربية التفاوض مع دول السوق ، للحصول على امتيازات لا تقل عن تلك الممنوحة لاسرائيل وهذا التغيير ليس وليد الصدفة ، وانما وليد التخبط في اتخاذ القرار ·

وفي الاجتماعين الرابع والخامس ، اللذين عقدا في ١٣ ديسمبر ١٩٦٦ و ١٨ مايو ١٩٦٨ ، أعاد المجلس الاقتصادي التأكيد على ضرورة مطالبة الاقطار العربية بالتفاوض مع دول السوق ، وطالبها بأحباط مساعي اسرائيل الهادفة للارتباط بالسوق كعضو مشارك وفي الاجتماع السادس ، الذي عقد في شهر فبراير ١٩٧٠ ، اتخذ المجلس مجموعة جديدة من التوصيات لا تختلف عما سبق واتخذه في اجتماعات سابقة · حيث طالب الدول العربية بسرعة الانضمام لاتفاقية الوحدة الاتفاقية الاقتصادية العربية لاجل تكوين تكتل اقتصادي عربي في مواجهة السوق المشتركة كما وأعاد طلبه للاقطار العربية التي لم تبادر لعقد معاهدات تجارية مع السوق لفعل ذلك ·

كما طالب الدول العربية التي لم تنضم بعد لاتفاقية « الجات » بسرعة الانضمام اليها حتى تتمتع تلقائيا بالمزايا الجمركية ، التي يتوجب على دول السوق منحها لاعضاء المنظمة المذكورة · وفي الاجتماع السابع ، الذي عقد في ١٦ ديسمبر ١٩٧٠ ، أعاد المجلس على توصياته السابقة · وهذا يعني أن معظم التوصيات لم تر طريقها للتنفيذ على الرغم من مرور ثمانية أعوام على بدء اجتماعات المجلس الاقتصادي العربي ، لدراسة امكانية تطويق دخول اسرائيل

Digitized by Birzeit University Library

السوق .

ومن سلسلة الاجتماعات السابقة يتبين لنا ، ما ذهبنا اليه قبل قليل من ان الدول العربية مجتمعة لم تكن على مستوى المسؤولية ، ويعود هذا للانقسام الحاصل في العالم العربي الذي يعتبر السمة المميزة للاوضاع العربية ، وبالتحديد ، منذ العقود الثلاثة الاخيرة * .

أهم الاتفاقات التي عقدت مع بعض الدول العربية

أبدت دول السوق اهتماما واضحا بالشرق الاوسط ، بدأ من عام ١٩٧٠ ، وذلك للاسباب التالية (١):

١ ـ بروز أهمية الشرق الاوسط ـ وخاصة الدول النفطية منها ـ لكونه اصبح يملك القدرة التأثيرية على حركة الانتاج الصناعي الغربي .

٢ ـ ظهور مشاكل الانتاج الزراعي داخل دول السوق بشكل خاص .

٣ ـ تشابك المصالح الاقتصادية والسياسية لدول السوق مع دول الشرق الاوسط ودول العالم الثالث بشكل عام .

٤ ـ نمو اقتصاديات دول السوق ، بحيث بات من المستحيل على اقتصاديات دول الشرق الاوسط منافستها . وبالتالي فان توثيق علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع دول الشرق الاوسط والسماح لسلعها بحرية الدخول داخل اسواقها تصبح غير ذات قيمة اقتصادية كبيرة .

٥ ـ انتهاء الفترة الانتقالية التي حددتها دول السوق بنجاح .

لهذه الاسباب لم تعارض دول السوق على الدخول بمفاوضات تجارية ، ليس فقط مع بعض بلدان الشرق الاوسط ، وانما مع دول أخرى عديدة ، أوروبية وغير أوروبية .

الدول العربية التي ارتبطت بمعاهدات أو باتفاقيات تجاريه مع دول السوق :

لم تبد الدول العربية نفس درجة الاهتمام بالسوق الاوروبية المشتركة فمنها من لا يطمح الى تعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري مع دول السوق ، وأبرز هذه الدول هي : المغرب ، تونس والجزائر ومصر وسوريا ولبنان والاردن . أما الدول العربية الاخرى فلم تبد أي اهتمام ذو مغزى ** . اذن فان تركيزنا الاساسي سيكون منصبا على هذه الدول السبع .

مرحلة المفاوضات الاولى (١٩٦٣ ـ ١٩٧٥)

كانت المغرب وتونس أول دولتين عربيتين تقدمتا بطلب رسمي للانتساب للسوق الاوروبية المشتركة . ففي اكتوبر من عام ١٩٦٣ قدمتا طلبا لسكرتارية السوق ، تعلنان فيه عن رغبتهما في فتح باب المفاوضات ، لكن طلبهما لم يلق استجابة من قبل الدول الاعضاء ، وذلك لسببين رئيسيين . الاول لموقفها الدائم حول استقلال الجزائر ، وهذا الموقف جعل فرنسا تتباطأ في الموافقة على الدخول بمفاوضات معها ، عقابا لهما على مساندتهما لجبهة التحرير الجزائرية . في حين يرجع السبب الثاني الى تأخر الدول الاعضاء في تحديد السياسة الزراعية الواجب اتباعها داخل

---

* على اعتبار ان فترة الاستقلال بدأت منذ عام ١٩٤٨ .

** باستثناء الجزائر والعراق .

Digitized by Birzeit University Library

المجموعة الاقتصادية * . فمن عام ١٩٦٧ لم تكن الدول الست قد وصلت الى اتفاق بشأن المسألة الزراعية ** . وهذا التأخير جعل من غير الممكن الموافقة على اعطاء الدول التي تقدمت للانتساب للسوق تسهيلات جمركية لسلعها الزراعية . وبعد مفاوضات استمرت حتى اذار ١٩٦٩ ، تم التوقيع على اتفاقية انتسابهما للسوق الاوروبية وأهم ما تضمنته الاتفاقية ما يلي :

١ ـ الاعفاء الكامل للسلع الصناعية من الرسوم الجمركية ، وكذلك من القيود الكمية ، باستثناء سلعتين ، هما الفلين ومنتجات الحديد والفحم . وهذا الاعفاء يمثل أهمية محدودة بالنسبة للمغرب لكون الصادرات المغربية الصناعية للسوق المشتركة تشكل ٤٠ ٪ من اجمالي صادراتها. بينما تمثل الصادرات الصناعية التونيسية للسوق حوالي ٥ ٪ من اجمالي صادراتها في ذلك الوقت . وهذا يعني ان درجة تأثر تونس بهذا الاستثناء اقل من تأثر المغرب ، ويعود هذا بدوره الى ان نسبة الصادرات الصناعية لكلتيهما لا تزيد عن ١٠ ٪ في تلك الفترة .

٢ ـ للمغرب وتونس الحق في حماية صناعتهما الناشئة من المنافسة الاجنبية ، ولهذا سمح لهما بفرض رسوم جمركية على السلع المشابهة والواردة من دول السوق .

٣ ـ اعفاء ٥٠ ٪ من اجمالي صادرات المغرب الزراعية و٧٠ ٪ من اجمالي صادرات تونس الزراعية لدول السوق ، وهذا المكسب يعتبر اكثر أهمية من الاعفاء الاول لكون الصادرات الزراعية لهما تشكل نسبة كبيرة من اجمالي الصادرات .

٤ ـ يسري مفعول هذه الاتفاقية لمدة ٥ سنوات قابلة للتجديد .

كذلك سارعت لبنان ، عام ١٩٦٥ ، الى عقد اتفاقية تجارية مع دول السوق . وفي عام ١٩٧٢ وقعت الجزائر اتفاقية تفضيلية مع دول السوق *** وتعتبر هذه الاتفاقية الاولى التي تعقد مع دولة عربية نفطية .

وفي ابريل ١٩٧٢ وقعت مصر اتفاقيتها الاولى مع السوق المشتركة ، ونصت الاتفاقية على ما يلي :

١ ـ تتمتع السلع المصرية المصدرة لدول السوق بتخفيض جمركي بنسبة ٤٥ ٪ ارتفعت الى ٥٥ ٪ في يناير ١٩٧٤ .

٢ ـ أما بالنسبة للسلع الزراعية المصدرة ، فتقوم دول السوق بتخفيض التعرفة الجمركية بنسبة تتراوح ما بين ٢٥ ٪ ـ ٥ ٪ . واستثنت الاتفاقية الموالح ، حيث تتمتع بتخفيض نسبته ٦٠ ٪ ، وهي معادلة لتلك التي حصلت عليها اسرائيل في اتفاقيتها الثانية عام ١٩٧٠ .

٣ ـ تقوم مصر ، مقابل ذلك ، بتخفيض الرسوم الجمركية على الواردات من دول

---

* وهنا يكمن احد أسباب عدم جدية الدول العربية في مواجهة سياسة دول السوق ليس فقط ارتباط اسرائيل وانما اتجاه علاقة الدول العربية نفسها مع منظمة السوق .

** بدأت السودان بالاهتمام بتنمية علاقتها التجارية مع السوق ، وبالاخص الحصول على معونات مالية لتنمية بعض المشاريع الزراعية كالرز .

*** كانت الجزائر عام ١٩٦٢ تتمتع بامتيازات تجارية عديدة لكنها تخلت عن هذه الامتيازات بعد الاستقلال ، لاسباب سياسية . حيث رأت انه من غير السليم بقاءها أسيرة للعلاقة مع دول السوق .

Digitized by Birzeit University Library

السوق ، بنسبة تتراوح ما بين ٣٠ ـ ٥٠٪ .

٤ ـ مدة الاتفاقية ٥ سنوات ، قابلة للتجديد .

وفي عام ١٩٧٥ وقعت كل من الاردن وسوريا اتفاقيةتفضيلية مع دول السوق ، ولا تختلف بنود الاتفاقية الموقعة بينها وبين دول السوق عن تلك التي وقعتها مصر عام ١٩٧٢ .

مرحلة المفاوضات الثانية
(١٩٧٥ ـ ١٩٧٧)

معظم الاتفاقيات التي عقدتها الدول العربية كانت تنتهي خلال الفترة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ . ولما كانت كافة الاتفاقيات قابلة للتجديد ، فقد بادرت الدول العربية السبع الى الدخول في مفاوضات مع السوق الاوروبية ، خاصة بعد انضمام بريطانيا وايرلندا والدانمارك الى هذه المنظمة . ولم تجابه المفاوضات العربية مع دول السوق اية معارضة يمكن ذكرها * ، وذلك للاسباب التالية :

١ ـ رغبة دول السوق في اتخاذ موقف محايد ، فيما يخص توقيع الاتفاقيات التجارية مع دول المنظمة .

٢ ـ بروز أهمية ومركز الدول العربية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، خاصة بعد ظهور أهمية النفط على المستوى العالمي .

٣ ـ توقيع اسرائيل للاتفاقية الثالثة مع دول السوق ، والتي اعتبرت ، من أهم الاتفاقيات التي تعقدها السوق الاوروبية مع دول الشرق الاوسط ، قد وضع السوق في موقع غير قادرة فيه على رفض المطالب العربية .

وعلى أثر ذلك ، دخلت الدول العربية في مفاوضات على شكل كتلتين :

الاولى ضمت كل من المغرب وتونس والجزائر والثانية ضمت سوريا ولبنان والاردن ومصر ** .

وقد وقعت الدول المذكورة نوعين من الاتفاقيات : الاولى : بروتوكول للتعاون المالي والفني ، والثانية : لتشجيع التبادل بين الدول العربية والسوق .

وقد حصل بعض التأخير في تنفيذ بروتوكول التعاون المالي ، وذلك بسبب انتظار موافقة برلمانات دول السوق التصديق عليها ، هذا الى جانب انشغال ايطاليا بمشاكلها الداخلية بينما كانت هولندا في انتظار تشكيل حكومة جديدة لها . لذا فقد دخلت الاتفاقيات التجارية حيز التنفيذ الفعلي بدءا من شهر تموز ١٩٧٦ مع دول المغرب العربي وتموز ١٩٧٧ مع دول المشرق العربي . أما بروتوكول التعاون المالي فقد دخل حيز التطبيق الفعلي في تشرين الثاني ١٩٧٧ .

أولا : بروتوكول التعاون المالي والفني

وافقت برلمانات الدول التصديق على البروتوكول المالي الموقع مع الدول العربية المذكورة ، بعد التأخير الاجرائي السابق الاشارة اليه ، وأبرز ما تضمنه البروتوكول ما يلي :

١ ـ تقديم مساعدات مالية مختلفة للدول العربية السبع ، خلال الفترة ١٩٧٧ ـ ١٩٨١، ويوضح الجدول التالي حجم المساعدات المقدمة للدول العربية *** .

---

* حصل هناك بعض التأخير في تنفيذ بعض الاتفاقيات وبالاخص المساعدات المالية .

** اضيفت مصر في شهر يناير ١٩٧١ .

*** بملايين الوحدات الحسابية الاوروبية .

Digitized by Birzeit University Library

اسم الدولة	قروض بنك الاستثمار الاوروبي	قروض خاصة	مساعدات	المجموع
الجزائر	٧٠	١٩	٢٥	١١٤
المغرب	٥٦	٥٨	١٦	١٢٠
تونس	٤١	٣٩	١٥	٩٥
مصر	٩٣	١٤	٦٣	١٧٠
سورية	٣٤	٧	١٩	٦٦
الاردن	١٨	٤	١٨	٤٠
لبنان	٢٠	٢	٨	٣٠
المجموع	٣٣٢	١٤٣	١٦٤	٦٣٩

المصدر : ملحق « الثورة » الاسبوعي (بغداد) ، العدد ٢٥ تاريخ ٥ شباط ١٩٧٩ · ص ٩

ب ـ تحسين البنية الارتكازيه لاقتصاديات الاقطار المذكورة ، وتحديث الزراعة ومصايد الاسماك ، وبناء الطرق والسدود ·

ج ـ تعمل دول السوق على تمويل الخطط القومية في هذه الاقطار ، مع التأكيد على ضرورة اقامة صرح صناعي متقدم ومتنوع·

د ـ تشكيل لجنة مشتركة على مستوى الوزراء ، تجتمع كل سنة ، للحكم على نتائج العمل المشترك · هذا الى جانب تشكيل لجنة على مستوى السفراء ، مهمتها رفع التقارير والملاحظات الدائمة عن سير تنفيذ البروتوكول ·

هـ ـ تقوم منظمة السوق الاوروبية بفتح مكاتب لها في الدول المشار اليها ، قبل عام ١٩٨٠ ·

و ـ ونظرا لكثرة عدد العمال العرب من المغرب العربي العاملين في دول السوق ، فقد اتفق على اعطائهم بعض الامتيازات الشبيهة بالعمال الاوروبيين ·

ان نظرة سريعة على مضمون هذا البروتوكول ، توضح أن الدول العربية السبع تمكنت من تحقيق بعض المكاسب الهامة ، لكنها ستبقى محدودة النتائج بحكم ضآلة المساعدات المالية المقدمة · فاجمالي المبالغ التي ستقدم للدول العربية تبلغ ٦٣٩ مليون وحدة حسابية ، خلال خمس سنوات ، أي بمعدل ١٢٨ مليون وحده لكل عام بواقع ١٨ مليون وحدة حسابية ، لكل دولة عربية سنويا · ان هذا المبلغ لا يمكن مقارنته بالمساعدات التي قدمتها السوق المشتركة لاسرائيل ، سواء من خلال المكاسب العائدة من الاتفاقية نفسها أم من خلال التسهيلات الائتمانية التي حصلت عليها اسرائيل ·

ان امكانية زيادة حجم المساعدات في المستقبل القريب مستبعدة بحكم الوضع العربي الراهن · وقد تعطلت ، فعلا ، اجتماعات اللجنة الوزارية بسبب مقاطعة الدول العربية الاخرى لمصر · وهذا من شأن أن يضعف الموقف التفاوضي للاقطار العربية مع دول المجموعة الاقتصادية ·

ثانيا : اتفاقية تشجيع التبادل التجاري بين الدول العربية والسوق ·

من ابرز ما نصت عليه الاتفاقيات التجارية التي دخلت حيز التطبيق الفعلي في خريف ١٩٧٧ ، ما يلي : ـ

١ـ تعجلي للدول العربية الموقعة شروطا

Digitized by Birzeit University Library

افضل لصادراتها من المواد الخام ، وكذلك الصادرات الصناعية ·

٢ ـ استثنت الاتفاقية بعض المنتجات ذات الطبيعة الخاصة ، مثل المنتجات البترولية (للجزائر ومصر) ، والقطن (لمصر وسوريا) ، والمخصبات الزراعية · وكافة هذه المنتجات سيكون لها سقوف كمية، حتى نهاية العام الحالي (١٩٧٩) ·

٣ ـ كذلك فرضت دول السوق القيود الادارية على صادرات المنسوجات من دول المغرب العربي · فقد طلبت دول السوق من اقطار المغرب العربي أن تفرض ، حدودا شكلية ، من ناحيتها على الكميات المصدرة سنويا من المنسوجات · وحيث انه لا يوجد قرار فعلي ملزم لدول المغرب العربي ، فان دول السوق بدأت بالتحايل على دول المغرب العربي ، وذلك من خلال قيامها بعقد اتفاقيات سنوية متعددة على اساس زيادة الصادرات من عام الى آخر ، وليس زيادة الصادرات لكل دوله · وقد انطلقت دول السوق من انها تواجه مشاكل عديدة وهي تطلب من الدول المذكورة تفهم طلبها بضرورة فرض قيود شكلية على حجم صادراتها السنوية من المنسوجات · وبالفعل وافقت دول المغرب عام ١٩٧٨ لتمديد فترة العمل ، بالقيود الشكلية ، على صادرات المنسوجات عام آخر ، ينتهي بنهاية عام ١٩٧٩ الحالي · ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : ما هي المشاكل التي ما زالت تحول دون الغاء القيود الشكلية ؟ فالمعروف أن مشاكل السوق الاوروبية دائمة ومتعددة وتزداد سنويا فاذا ما اتخذت دول السوق مواقفها انطلاقا من أزماتها الاقتصادية ، فمعنى ذلك استمرار وجود القيود الشكلية ، هذا اولا ، وثانيا ، فما دامت دول السوق تعتبرها شكلية فلماذا تصر على تمديدها سنويا * ·

١ ـ التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية للاقطار العربية

تتركز التجارة الخارجية للاقطار العربية مع الدول الرأسمالية · ويرجع هذا التركز الى عوامل عديدة ، سياسية واقتصادية وتاريخية · ورغم مناهضة بعض الاقطار العربية للنظام الرأسمالي ، الا ان هذه المعارضة ظلت محصورةفي النطاق السياسي والاعلامي ، دون أن تترجم على نطاق التبادل التجاري والمالي · أي بقيت مناهضة المصالح الامبريالية في المنطقة عبارة عن شعارات لم تجد من يطبقها فعليا ** · كما أن نسبة التبادل التجاري بين الاقطار العربية نفسها ضعفية جدا · وهذا يؤكد ما سبق وأشرنا اليه ، من أن السياسات التجارية العربية لا تستند الى أساس المصالح المشتركة للوطن الواحد · فرغم قيام السوق العربية المشتركة وكافة المؤسسات الاقتصادية الاخرى ، سواء ضمن جامعة الدول العربية

* جرى تمديدها مرتين : الاولى في نهاية عام ١٩٧٧ (أي أثناء دخول الاتفاقية حيز التطبيق) ، والثانية في نهاية عام ١٩٧٨ ·

** نحن لسنا بصدد تقييم العلاقات التجارية بين الاقطار العربية والدول الرأسمالية ولكننا نشير فقط لظاهرة عامة في الوطن العربي ·

Digitized by Birzeit University Library

أو بشكل ثنائي أو ثلاثي ... الخ ، الا ان حجم ونسبة التبادل التجاري بين الاقطار العربية ظلت في انخفاض مستمر . فبعد ان كانت نسبة التبادل التجاري بين الاقطار العربية ٢ر٧٪ (من اجمالي تجارة الوطن العربي الخارجية) عام ١٩٦٥ ، انخفضت الى ٧ر٥٪ عام ١٩٧٥ ، بالمقابل زادت نسبة التبادل التجاري بين الاقطار العربية والدول الرأسمالية من ٤ر٧٥٪ الى ٢ر٧٧٪ نفس الفترة . كما شهدت نفس الفترة انخفاضا ملموسا في تجارة الاقطار العربية مع دول المعسكر الاشتراكي ، حيث انخفضت من ٣ر٩٪ الى ٨ر٣٪ .

يبين الجدول التالي التوزيع الجغرافي النسبي للتجارة الخارجية للاقطار العربية لعامي ١٩٦٥ و ١٩٧٥

١٩٦٥

اسم الدولة	الوطن العربي ٪	الدول الرأسمالية ٪	الدول النامية ٪	الدول الاشتراكية ٪	المجموع
العراق	٢ر٥	٠ر٧٦	٩ر٠	٨ر٩	١٠٠
مصر	٤ر٧	٢ر٤٨(٢)	٨ر٨	٦ر٣٥	١٠٠
سوريا	٤ر٢٣	٥ر٤٦(٢)	١ر٥	٠ر٢٥	١٠٠
الاردن	٥ر٢٥	٥ر٥٨(١)	١ر٥	٣ر١١	١٠٠
الكويت	٣ر٨	١ر٨٩(١)	٤ر٥	١ر٧	١٠٠
السعودية	٠ر٦	٤ر٨٢	٦ر١١		١٠٠
لبنان	٢ر٢٨	٠ر٥٩	٤ر٤	٨ر٤	١٠٠
السودان	٣ر٦	٠ر٦٤	١٢ر٣	١٧ر٤	١٠٠
ليبيا	٢ر٤	٣ر٩٤(١)	١ر٤	١ر٩	١٠٠
الجزائر	٢ر٤	٠ر٩٠	٤ر٢	٣ر٤	١٠٠
المغرب	٢ر٤	١ر٧٧	٦ر٧	١٣ر٨	١٠٠
تونس	٤ر٤	٨ر٧٨	٩ر٩	٦ر٩	١٠٠
اليمن ش	٤ر٧٣(٤)	٤ر٢١(٢)	٥ر٢		١٠٠
اليمن ج	١ر٢١	٣ر٤٥(٢)	٣١ر٥	٢ر١	١٠٠
موريتانيا		٥ر٩٥	٣ر٥	٠ر١	١٠٠
الصومال	٧ر٢٢	٣ر٥٣	١٦ر١	٧ر٩	١٠٠
البحرين	١ر١(٣)	٥ر٨٤(١)	١٤ر٤		١٠٠
قطر وعمان والامارات	١ر٧	٠ر٨٦	١٢ر٣		١٠٠
اجمالي الوطن العربي	٧ر٢	٤ر٧٥	٨ر١	٩ر٣	١٠٠

Digitized by Birzeit University Library

الوطن العربي	الدول الرأسمالية	الدول النامية	الدول الاشتراكية	المجموع
اسم الدولة ٪	٪	٪	٪	
العراق ٤ر٣	٩ر٧٥	١٥ر٧	٤ر١	١٠٠
مصر ٥ر٣	٢ر٦٩(٢)	٥ر٠	٥ر٢٠	١٠٠
سوريا ١ر١٠	٦ر٦٦(٢)	٩ر٦	١٣ر٧	١٠٠
الاردن ٢ر٢٢	٩ر٥١(١)	٢١ر٦	٤ر٥	١٠٠
الكويت ٧ر٣	٣ر٦٨(١)	٢٦ر٦	١ر٤	١٠٠
السعودية ٨ر٤	٧٨ر٥	١٦ر٥	٢ر٠	١٠٠
لبنان ٧ر٢٧	٦١ر٠	٦ر٥	٨ر٤	١٠٠
السودان ٧ر٧	٦٤ر٥	١٥ر٠	١٢ر٨	١٠٠
ليبيا ٥ر٢	٨٤ر٤(١)	١٠ر٢	٢ر٨	١٠٠
الجزائر ٣ر١	٨٦ر٧	٦ر٥	٥ر٥	١٠٠
المغرب ٢ر٥	٧٢ر٤	١١ر١	١١ر٣	١٠٠
تونس ٢ر٨	٨٢ر٣	٤ر٦	٤ر٩	١٠٠
اليمن · ش٩ر١٣(٤)	٤٩ر٤(٢)	٢٢ر٠	١٤ر٧	١٠٠
اليمن · ج ٨ر١٦	٦٥ر٨(٢)	١٤ر٥	٢ر٩	١٠٠
موريتانيا ١ر١	٩١ر٦	٥ر٩	١ر٤	١٠٠
الصومال ٦ر٢١	٤٩ر٢	١٨ر٨	١٠ر٤	١٠٠
البحرين ٢ر٥٤(٣)	٣٦ر٢(١)	٦ر٣	٣ر٣	١٠٠
قطر وعمان والامارات ٩ر٤	٨٦ر٣	٨ر١	٧ر٠	١٠٠
اجمالي الوطن العربي ٧ر٥	٧٧ر٢	١٣ر٣	٣ر٨	١٠٠

● عام ١٩٦٥ يشمل فقط قطر وعمان ·

(١) تشير الى الاقطار العربية التي انخفضت نسبة مبادلتها التجارية مع الدول الرأسمالية ·

(٢) تشير الى الاقطار العربية التي زادت نسبة مبادلتها التجارية مع الدول الرأسمالية زيادة ملموسة ·

(٣) تشيرالى الاقطار العربية التي زادت نسبة مبادلتها التجارية مع الاقطار العربية بشكل كبير جدا ·

(٤) تشير الى الاقطار العربية التي خفضت نسبة مبادلتها التجارية مع الاقطار العربية بشكل كبير جدا ·

Digitized by Birzeit University Library

فالارقام لا تحتاج الى توضيح أو استنتاج . ذلك ان التعاون الاقتصادي العربي ضعيف والبناء الاقتصادي في كل دولة يتم بمعزل عن الدولة الاخرى ، وكل دولة حرة في انتهاج السياسات التجارية التي تضمن مصلحتها الذاتية فقط . فحتى استيراد الايدي العاملة التي تقوم به دول الخليج كافة ، لا يتم على ضوء المصالح العربية المشتركة ، اذ ان العديد من أقطار الخليج يستورد الايدي العاملة الاجنبية (كورية ، هندية ، باكستانية ..) . في الوقت الذي تعاني فيه بعض الاقطار العربية من زيادة كبيرة في الايدي العاملة ، التي تشكل عبئا على اقتصادياتها الناشئة ، بما يؤخر عملية التنمية فيها .

٢ ـ تطور التبادل التجاري بين الاقطار العربية والسوق الاوروبية المشتركة

احتلت السوق الاوروبية موقعا هاما ومتميزا في اجمالي التجارة الخارجية العربية ، خاصة بعد انضمام بريطانيا للسوق ، في بداية عام ١٩٧٣ . ويعود هذا الموقع المتميز الى أسباب تاريخية وسياسية واقتصادية* . وليس من الموضوعية أن نعالج اجمالي الصادرات والواردات العربية الى ومن دول السوق ، لان ذلك قد يعطي انطباعا بأن الاقطار العربية جميعها تحقق فائضا سنويا مع السوق المشتركة ** . لذلك رأينا تقسيم الاقطار العربية الى مجموعتين :

الاولى : تشمل الدول العربية غير المنتجة للنفط . الثانية : تشمل الدول العربية المنتجة للنفط .

وبعد أن نستعرض حجم التبادل التجاري بين كل مجموعة وبين دول السوق ، سنبين النسب المئوية لاجمالي التجارة الخارجية (الصادرات والواردات) للمجموعات الاربع المشار اليها .

اولا : صادرات وواردات الدول العربية غير المنتجة للنفط مع السوق المشتركة ***

تميزت العلاقات التجارية بين هذه المجموعة ودول السوق بما يلي : ـ

١) أن الميزان التجاري بين الطرفين كان دائما ، لصالح دول السوق وهذا يعني ان هناك عجزا سنويا في الموازين التجارية لهذه المجموعة ، التي زادت ، بشكل ملموس ، بعد عام ١٩٧٣ .

٢) أن دول السوق تشكل المورد الاساسي لهذه المجموعة، فهي تأتي في الدرجة الاولى من الاهمية بالنسبة لوارداتها .

٣) ان حجم المساعدات المالية المقدمة من دول السوق لهذه المجموعة لا تكاد تذكر أمام حجم الارباح السنوية التي تحققها من هذه المجموعة .

٤) ان الدول العربية النفطية لم تحاول تدعيم المواقف التفاوضية لهذه الاقطار مع دول السوق مما جعل قوتها التفاوضية ضعيفة . وهذا يؤكد على استقلالية

---

*فالاقطار الرئيسية لدول السوق (فرنسا ، بريطانيا ، ايطاليا) سبق لها وأن استعمرت هذه المنطقة . وربطت اقتصادياتها بها . هذا اضافة الى ان الدول العربية عموما ، وجدت في اقامة العلاقات مع السوق الدليل على عدم انحيازها لاي من الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفياتي .. هذا الى جانب طبيعة الانظمة السياسية القائمة ببعض الاقطار العربية ، والتي تحبذ اقامة علاقات مع الدول الرأسمالية دون غيرها .

** وذلك بفضل وجود النفط .

*** كافة الارقام الواردة هنا تشمل دول السوق التسع .

Digitized by Birzeit University Library

وانفرادية كل دولة في حل مشاكلها التجارية مع المجموعات الاقتصادية الدولية ·

حجوم التجارة الخارجية لهذه المجموعة مع دول السوق :

سجلت واردات هذه المجموعة من دول السوق نموا ملحوظا ، خلال الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٦ ، حيث ارتفعت من ١ر٤٠٨ مليون دولار عام ١٩٧٠ ، الى ٦ر١١٢ مليون دولار عام ١٩٧٦ · بينما بلغت اجمالي صادراتها لدول السوق ٧٨٩ مليون دولار ، ارتفعت الى ٢ر٤١٦ مليون لنفس الفترة ، وبذلك ارتفع الفائض الذي حققته دول السوق مع هذه المجموعة من ٥١٨ مليون عام ١٩٧٠ ، الى ٣ر٦٩٥ مليون دولار عام ١٩٧٦ ·

ويبين لنا الجدول التالي حجوم الصادرات والواردات لهذه المجموعة ·

مع دول السوق المشتركة

الوحدة ١٠٠٠ دولار

السنة	اجمالي الصادرات	اجمالي الواردات	الفائض لصالح دول السوق
١٩٧٠	٧٨٩٥٦٣	١٤٠٨٣٥٢	٥١٨٧٨٩
١٩٧١	٧٩٢٩٩٤	١٥٣٢٢٧٤	٧٣٩٢٨٠
١٩٧٢	١٠٠٦١٧٤	١٨٣٠٨٧١	٨٢٤٦٩٧
١٩٧٣	٢٣٥٢٦٧٨	٢١٦٤٥١٧	٨١١٨٣٩
١٩٧٤	٢٣٠٥٧٢١	٣٥٩١٨٣٩	١٢٨٦١١٨
١٩٧٥	٢١٦٧٠٣٠	٥٤٤٨٤٠٥	٣٢٨١٣٧٥
١٩٧٦	٢٤١٦٩٧٥	٦١١٢٨٨٣	٣٦٩٥٩٠٨

كافة الارقام مجمعة من قبل الباحث على ضوء الارقام لا الكلية الواردة بالجدول المرفق · ومن أبرز هذه المجموعة المغرب وتونس وسوريا ومصر (بعد عام ١٩٧٣) ، فالاردن ولبنان (حتى عام ١٩٧٣) فموريتانيا فالسودان فالصومال * ·

ثانيا : صادرات وواردات الدول المنتجة للنفط ** مع دول السوق ·

باستثناء الجزائر ، فان كافة اقطار هذه المجموعة تحقق فائضا سنويا مع دول السوق ، وهذا الفائض ناجم عن حجوم الصادرات النفطية لهذه المجموعة · وقد تميزت علاقة السوق بهذه المجموعة بما يلي : ـ

١) ان وارداتها ، خلال الفترة محل البحث

---

* مرفق جدول يبين اجمالي الصادرات والواردات لهذه الدول مع السوق ، للفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٦ ·

** وتشمل الجزائر ، السعودية ، الكويت ، قطر ، الامارات ، ليبيا ، العراق (حيثما امكن ذلك) ويجب ملاحظة ما يلي :

أ ـ ان صادرات العراق من غير البترول والكبريت واردة ضمن اجمالي الصادرات

ب ـ ان اجمالي الواردات تشتمل على الواردات العراقية من دول السوق ·

Digitized by Birzeit University Library

(١٩٧٠ ـ ١٩٧٦) ، تضاعفت حوالي ٦ مرات ، بينما صادراتها من البترول لم ترتفع بأكثر من ٥ مرات ٠

٢) أنه على الرغم من الاهمية الكبيرة التي تحتلها السوق المشتركة في التجارة الخارجية لهذه الاقطار ، الا أن درجة مساهمة دول السوق في تنمية اقتصاديات هذه البلدان محدودة ٠ وهذا يعني أن الاقطار العربية فشلت في التأثير على دول السوق ، لدفعها الى نقل الوسائل التكنلوجية الحديثة ، سواء في قطاعات الصناعة والزراعة ، أو بالصناعات المرتبطة بالنفط ٠ وهذا عكس العلاقة القائمة بين اسرائيل ودول السوق ٠

٣) أن هذه الاقطار قد حققت فوائض سنوية ، ازدادت ، بشكل ملموس ، بعد عام ١٩٧٣ ٠

ويبين لنا الجدول التالي حجوم صادرات

السنة	اجمالي الصادرات الى دول السوق	اجمالي الواردات من دول السوق	الفائض لصالح المنتجة للنفط
		الموحدة ١٠٠٠ر١ دولار	
١٩٧٠	٥٤٢٤٠٢٠(١)	١٨٧٠٧٨٧(١)	٣٥٥٣٢٣٣
١٩٧١	٦٦٢٢٨٠٨(٢)	٢٠٠٢٩٨٥(٣)	٤٦٠٩٨٢٣
١٩٧٢	٧٥٩٩١٨١(٤)	٢٧١٣٠٤٢	٤٨٨٦١٣٩
١٩٧٣	١٠٦٣٩١٥٠(٤)	٣٨٧٥٧٦٤	٦٧٦٣٣٨٦
١٩٧٤	٣١٢٧٣١٨٥	٦٤٥٩٤٢٤	٢٤٨١٣٧٦١
١٩٧٥	٢٥٥١٣٨٩٣(٥)	١٠٢٩٩٢٩٥	١٥٢١٤٥٩٨
١٩٧٦	٢٧٣٦٥٩٠٢(٦)	١١٥٢٩١٧٣	١٥٨٢٦٥٨٥

الارقام مجمعة من قبل الباحث على ضوء

(١) باستثناء صادرات وواردات الامارات

(٢) باستثناء الامارات وقطر

(٤) باستثناء صادرات النفط العراقية

(٥) باستثناء قطر

٤) وبالمقابل فان دول السوق قد استفادت بطريقة غير مباشرة ، من عوائد النفط العربية ، وذلك من خلال ايداع الاخيرة لارصدتها النقدية في المؤسسات والبنوك المالية الاوروبية ، باستثناء الجزائر والى حد ما العراق وبدرجة أقل ليبيا ٠

حجوم التجارة الخارجية لهذه المجموعة مع دول السوق :

كما ذكرنا ، فان واردات هذه الاقطار من دول السوق تضاعفت حوالي ٦ مرات ، حيث قفزت من ١ر٨٧٠ مليون دولار عام ١٩٧٠ ، الى ١١ر٥٢٩ مليون دولار عام ١٩٧٦ ٠ بينما قفزت صادراتها من ٥ر٤٢٤ مليون دولار الى ٢٧٣٦٥ مليون دولار ، للفترة نفسها ٠

وواردات هذه المجموعة الى دول السوق

(٣) باستثناء الامارات وقطر ٠

(٦) باستثنا صادرات النفط العراقية ٠

.....

* مرفق جدول يبين واردات كل دولة من هذه المجموعة مع السوق الاوروبية المشتركة للفترة من ١٩٧٠ ـ ١٩٧٦ ٠

Digitized by Birzeit University Library

ومن كلا الجدولين يتضح ليس فقط اهمية السوق المشتركة لاجمالي الصادرات النفطية العربية ، ولكن الى زيادة قيمة ما تستهلكه الاقطار العربية من اجمالي صادرات دول السوق · فقد ارتفعت الواردات العربية من ٣٢٧٩ مليون دولار ، عام ١٩٧٠ ، الى ١٧٦٥٢ مليون دولار ، عام ١٩٧٦ · وفي المقابل فأن اجمالي الصادرات العربية لدول السوق قد ارتفعت من ٦ر٢١٣ مليون دولار الى ٢٩ر٧٨٢ مليون دولار ، لنفس الفترة (وهذه الارقام تشمل اجمالي صادرات وواردات الاقطار العربية المنتجة للنفط وغير المنتجة) · وكما يتضح لنا ، فانه على الرغم من الاهمية الكبيرة التي تحتلها دول السوق في حجم المبادلات التجارية العربية ، الا انها لم تسهم في تنمية الاقتصاديات العربية · وهذا على عكس العلاقة القائمة بين اسرائيل ودول السوق · فأسرائيل نجحت ، الى حد كبير ، في استحضار الوسائل التكنولوجية لمؤسساتها الاقتصادية من دول السوق على الرغم من أن الارباح التي تحققها السوق المشتركة مع الاقطار العربية غير المنتجة للنفط لا يمكن مقارنتها بالارباح التي تحققها مع اسرائيل ، هذا الى جانب الفوائد والمناقع غير المباشرة ، والمتمثلة في الارصدة العربية النفطية في البنوك والمؤسسات المالية الاوروبية ·

مقارنة حجوم ونسب للتبادل بين الاقطار العربية والسوق المشتركة وكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي واليابان ·

ذكر قبل قليل بأن ٢ر٧٧٪ من اجمالي التجارة الخارجية للاقطار العربية تتم مع الانظمة الرأسمالية ، وفقا لاحصائية عام ١٩٧٥ ، وتعتبر السوق المشتركة واليابان والولايات المتحدة من ابرز الدول الرأسمالية التي ترتبط مع الاقطار العربية بعلاقات تجارية وثيقة · بينما لا يحتل الاتحاد السوفياتي ودول اوروبا الاشتراكية نسبة ذات شأن في اجمالي التجارة العربية - بأستثناء مصر، والى حد ماسوريا والعراق* والصومال (حتى عام ١٩٧٥) والمملكة المغربية · ولكنه وبدءا من عام ١٩٧٤ ، سجلت حركة التبادل بين هذه الاقطار والاتحاد السوفياتي واوروبا الاشتراكية انخفاضا واضحا · فبعد ان كانت مصر تستورد ٣ر٢٩٪ من المجموعة الاشتراكية عام ١٩٧٠ انخفضت الى ٣ر١٢٪ عام ١٩٧٧ ، كما أن صادراتها ، الى نفس المجموعة ، انخفضت من ٨ر٥٦٪ الى ٦ر٣٩٪ لنفس الفترة · بالمقابل ، فأن نسبة الواردات المصرية من السوق المشتركة ارتفعت من ٧ر٢٨٪ عام ١٩٧٠ الى ٦ر٣٦٪ عام ١٩٧٧ ، كذلك الحال بالنسبة للولايات المتحدة

* انخفضت نسبة الواردات العراقية من الاتحاد السوفياتي ودول اوروبا الاشتراكية من ٢١ ٪ عام ١٩٧٠ الى ٥ر٨٪ عام ١٩٧٦ . في الوقت الذي انخفضت فيه الصادرات من ١ر٤ ٪ الى ١ر٠ ٪ لنفس الفترة · اما الواردات السورية فقد انخفضت من ٧ر٢١٪ الى ١٠٪ لنفس الفترة في الوقت الذي سجلت فيه الصادرات انخفاضا ملموسا - كما سنرى ·

Digitized by Birzeit University Library

واليابان ، حيث ارتفعت نسبة وارداتها من الاول من ٦ر١٪ الى ١٦ر٤٪ ، وللثانية (اليابان) من ١ر٥٪ الى ٢ر٥٪ ، لنفس الفترة محل البحث . هذا الى جانب ان بعض الاقطار العربية لا تقيم أى علاقة تجارية - واحيانا سياسية - مع دول المعسكر الاشتراكي . لذلك وجدنا بأن نسبة نصيب الدول الاشتراكية من التجارة الخارجية العربية قد انخفضت من ٩ر٣٪ عام ١٩٦٥ الى ٣ر٨٪ عام ١٩٧٥ * . وقبل ان نبين تطور نسب التبادل بين المجموعات المشار اليها والاقطار العربية : رأينا ان نقدم حجوم الصادرات والواردات بين الاقطار العربية وكل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة واليابان لعام ١٩٧٤ ** ، وبعد ذلك نبين النسبة المئوية لتجارة كل دولة عربية مع المجموعات الاقتصادية الاربعة وبذلك تكون قد استكملنا هذا الموضوع .

اولا : صادرات وواردات الولايات المتحدة مع ابرز الاقطار العربية

رغم مسؤولية الولايات المتحدة المباشر ، ليس فقط في دعم الاقتصاد الاسرائيلي وتزويده بكل وسائل وأدوات الدمار العسكرية ، وانما أيضا في اجهاض المكاسب الجزئية التي تحققت عام ١٩٧٣ (حرب اكتوبر) ، فأن الاقطار العربية لم تتخذ منها موقفا معاديا من الناحية العملية . فلا هي اوقفت تزويدها بالنفط ، ولا حتى أوقفت التعامل التجاري العادي معها . فقد شهدت الفترة الممتدة من عام ١٩٧٣ وحتى اليوم نموا ملحوظا في نسبة التبادل التجاري بين الولايات المتحدة والاقطار العربية . وبالاخص مصر وسوريا . بينما حافظت بقية الاقطار العربية على نسبة مبادلتها التجارية معها . وكما سيتضح لنا فأن نسبة الواردات العربية من الولايات المتحدة تراوحت ما بين ٣ر٥٪ - ٣ر١٩٪ مقابل صفر٪ ٣ر١٢٪ للاتحاد السوفياتي ، خلال الفترة ١٩٧٠/٧١ - ١٩٧٦/١٩٧٧ . بينما بلغت نسبة الصادرات العربية اليها ما بين (٠٠)٪ *** - ٤ر٤٨٪ خلال نفس الفترة .

---

* فمثلا ، انخفضت الواردات العراقية من الاتحاد السوفياتي فقط من ٦ر١٠٪ عام ١٩٧٠ الى ٢ر١ ٪ عام ١٩٧٦ . وكذلك الحال بالنسبة لسوريا ومصر والجزائر كما سنرى .

** بحكم توفر الاحصائية الكاملة للدول الثلاثة المشار اليها، وكذلك للاقطار العربية وذلك تسهيلا للمقارنة .

*** غير معروف .

Digitized by Birzeit University Library

يبين الجدول التالي ارقام الصادرات والواردات الاميركية الى بعض الاقطار العربية لعام ١٩٧٤ . (مليون دولار)

اسم الدولة	صادرات الولايات المتحدة	واردات الولايات المتحدة	الفائض لصالح الولايات المتحدة
الجزائر	٣١٥ر١	١٠٩٠ر٦	– ٧٧٥ر٥
البحرين	٧٩ر٧	٦٠ر٧	+ ١٩ر٠
مصر	٤٥٥ر٢	٦٩ر٨	+ ٣٨٥ر٤
العراق	٢٨٤ر٧	٩ر٠	+ ٢٨٣ر٨
الاردن	١٠٥ر٢	٢ر٠	+ ١٠٥ر٠
الكويت	٢٠٨ر٥	١٢ر٤	+ ١٩٦ر١
لبنان	٢٨٦ر٩	٢٩ر٩	+ ٢٥٧ر٠
ليبيا	١٣٩ر٤	١ر٤	+ ١٣٨ر٠
المغرب	١٨٤ر٠	١٩ر٧	+ ١٦٤ر٣
سلطنة عمان	٣٦ر٥	٢٠ر٨	+ ١٥ر٧
قطر	٣٣ر٦	٧٩ر٦	– ٤٦ر٠
العربية السعودية	٨٣٥ر٢	١٦٧١ر٢	– ٨٣٦ر٠
السودان	٦٤ر٣	٢٦ر٨	+ ٣٧ر٥
سوريا	٣٩ر٦	١ر٢	+ ٣٧ر٥
تونس	٨٦ر٩	٢١ر٤	+ ٦٥ر٥
الامارات العربية	٢٢٩ر٧	٣٦٦ر٣	– ١٣٦ر٦
اليمن . ش	١ر٥	٠ر٦	+ ٩ر٠
اليمن . د	١٢ر٣	٥ر٠	+ ٧ر٣

* غير معروف .

المصدر :

the Middle East Year Book 1977,
Published by Middle East Magazine, London. P. 53
Ibid, P. 53

اما واردات الولايات المتحدة من البترول لعام ١٩٧٤ قياسا بعام ١٩٧٣ فيبينها الجدول التالي .

اسم الدولة	كمية (حجم) الاستيراد عام ١٩٧٤ برميل	كمية حجم الاستيراد عام ١٩٧٣ برميل
السعودية	٦٣٧ر٧٣٣ر١٥١	٧٣٥ر٢٥٢ر١٣٦
الجزائر	١٩٧ر٦٩٣ر٧٧	٨٥٣ر٧٨٦ر٤٧
الامارات العربية	٣٦٤ر٧٣١ر٣١	٩٣٦ر٨٢٦ر٢١
قطر	١١٩ر٦٦٦ر٦	
الكويت	٢٢٦ ٥٧٦	٤٥٩ر٥٩٠ر١٥
ليبيا	٢٠٩	٧٨١ر٨٨٨ر٤٨

Digitized by Birzeit University Library

ثانيا ـ صادرات وواردات الاتحاد السوفياتي مع ابرز الاقطار العربية

ذكرنا بأن من ابرز الاقطار العربية التي تقيم علاقات تجارية مع الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية هي : مصر بالدرجة الاولى ، تليها العراق وسوريا والجزائر والمغرب والصومال * . ومع ان الاتحاد السوفياتي وكافة دول المنظومة الاشتراكية قد وقفت بالكامل لجانب حركة النضال العربي ، ومدت الاقطار العربية (مصر ، سوريا ، العراق ، الجزائر الخ ...) بكافة وسائل الدعم العسكري والسياسي ، الا انها لم تترجم على صعيد التبادل الاقتصادي (باستثناء الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٤ مع مصر) ** .

ويبين لنا الجدول التالي حجوم الصادرات والواردات السوفيتية الى بعض الاقطار العربية الرئيسية لعام ١٩٧٤

(مليون دولار)

اسم الدولة	صادرات الاتحاد السوفياتي	واردات الاتحاد السوفياتي	الفائض لصالح الاتحاد السوفياتي
الجزائر	٩ر١٥٥	٨ر٨٦	+ ١ر٦٩
مصر	٨ر٤٢٥	٢ر٦٠٣	ـ ٤ر١٧٧
العراق	٦ر٢٥٧	٧ر٣٨٢	ـ ١ر١٢٥
لبنان	٠ر٣٦	٥ر١٠	+ ٥ر٢٥
ليبيا	٣ر٤٠	ـ	+ ٣ر٤٠
المغرب	٥ر٧٦	٦ر٤٦	+ ٩ر٢٩
السودان	٤ر٥	٤ر٣	+ ٠ر٢
سوريا	١ر٩٩	٦ر١٤٤	ـ ٥ر٤٥
اليمن ٠ د	٣ر٢١	١ر٠	+ ٢ر٢١
تونس	٤ر١١	٧ر١٢	ـ ٣ر٢

Ibid., P. 59

ثالثا ـ صادرات وواردات اليابان لبعض الاقطار العربية الرئيسية

تأتي اليابان بعد السوق الاوروبية المشتركة في قائمة الدول التي تقيم علاقات اقتصادية وتجارية مع الاقطار العربية ٠ وقد ازداد نصيب اليابان في اجمالي التجارة الخارجية العربية بشكل ملموس ، وخاصة

.....

* يجب ملاحظة بأن نسبة التبادل قد انخفضت مع كل هذه الدول خلال الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٦ ، كما اشرنا الى ذلك ٠ وكما يتضح من الجدول المرفق ايضا .

** هناك اسباب عديدة لهذا الانخفاض في نسب التبادل بين الاقطار العربية والمعسكر الاشتراكي بصورة عامة لسنا بصددها الان .

Digitized by Birzeit University Library

عد عام ١٩٧٢ بأستثناء بعض الاقطار لنفطية . كالكويت والسعودية التي كانت رتبط بعلاقات تجارية جيدة معها · فنسبة واردات بعض الاقطار العربية من اليابان خلال السنوات الماضية تظهر دور اليابان المتصاعد في اجمالي التجارة الخارجية العربية · والجدول التالي يوضح لنا بالنسبة المئوية لتطور الواردات العربية من اليابان لعام ١٩٧٠ و ١٩٧٦ ·

اسم الدولة	٪ للواردات العربية لعام ١٩٧٠ من اجمالي وارداتها الكلية	٪ للواردات العربية لعام ١٩٧٦ من اجمالي وارداتها الكلية
الجزائر	١ر١	٦ر٢
البحرين	١٢ر٤	٨ر٦
مصر	١ر٥	٥ر٢
العراق	٣ر١	١٣ر٩
الاردن	٥ر٩	٦ر٣
الكويت	١٥ر٢	٢١ر٣
ليبيا	٥ر٦	٨ر٣
قطر	٩ر٣	٢٦ر٧
السعودية	١ر١٠	١٢ر٦
سوريا	٦ر٠	٧ر٣
الامارات العربية	١٣ر٨	١٧ر٤

Trade Book of International, Op. Cit, P.

اما حجوم الصادرات والوردات اليابانية الى ومن الاقطار العربية لعام ١٩٧٤ فيبينها الجدول التالي :

اسم الدولة	الصادرات اليابانية للاقطار العربية	الواردات اليابانية من الاقطار العربية	مليون دولار الفائض لصالح اليابان
الجزائر	١٥ر٠٨٦	٣ر٣٠٦	+ ١١ر٧٨
البحرين	٦٠ر٧٩٤	٣٧٥ر٠٧٢	- ٣١٤ر٢٨
مصر	٧ر٢٧٤	١٦ر٣٣٥	- ٩ر٠٧
العراق	٤٧٣ر٥٤٠	٢٠١ر٦٤٢	+ ٢٧١ر ٩
الاردن	٣٠ر٢٤٣	١٤ر٥١٨	+ ١٥ر٧٢
الكويت	٢٧٩ر١٤٢	٢١٣١ر٩٤٩	- ١٨٥٢ر٨٠٧
لبنان	٩٤ر٠٣٩	٣ر١٩٣	+ ٩٠ر٨٤٦
ليبيا	٢٢ر٧١٥	٣٥ر١٠٣	- ١٢ر٣٨٨

Digitized by Birzeit University Library

المغرب	٢ر٥١٧	٥ر١٢١	- ٢ر٦٠٤
العربية السعودية	٦٧٦ر٩٥٤	٥٢٣٨ر٣١٥	- ٣٦١ر٥٦١
سوريا	٧٠ر٠٦٠	١ر٩٣٨	+ ٦٨ر١٢٢
اليمن · د	١٤ر٤٥١	١٤ر٦٤٥	- ٠ر١٩٤
الامارات العربية	٣٠٨ر٧٤٠	٢١١٦ر٠١١	- ١٨٠٧ر٣٠٧

ومن خلال ما تقدم ، والجداول المرفقة ، يتضح بأن السوق الاوروبية المشتركة تحتل الموقع الاول لاجمالي التجارة الخارجية العربية تليها اليابان فالولايات المتحدة الامريكية فالاتحاد السوفيتي * ·

٣ ـ نتائج انضمام كل من اليونان ** واسبانيا والبرتغال للسوق المشتركة على الاقطار العربية المرتبطة باتفاقيات تجارية مع السوق

ترجع خطورة انضمام هذه الدول الى السوق المشتركة لكونها من اقطار حوض البحر لابيض المتوسط · وهذا يعني انها تنتج نفس السلع الزراعية التي تنتجها الاقطار العربية · وبالاخص الدول العربية السبع المشار اليها · فهذه الدول تنتج الموالح والفواكه والخضروات والزيتون ، بشكل رئيسي ، لهذا فان من شأن دخولها للسوق التأثير ، بشكل مباشر، على حجم الصادرات العربية من هذه السلع · ومما يزيد من خطورة انضمام هذه الدول الثلاث · ان دول السوق تحد من استيراد منتجات دول البحر الابيض المتوسط ـ وخاصة الزراعية منها ـ عندما ينخفض مستوى الاسعار المحدد من قبل مجلس وزراء السوق · وهذا يكون امر نتيجة لوفرة في الانتاج (العرض ـ الطلب او لزيادة الواردات لسنة من السنوات · وحيث ان الدول الثلاث (اسبانيا ، اليونان، البرتغال) تعتبر من الدول المنتجة والمصدرة للسلع الزراعية ، فأن انضمامها للسوق سيؤدي الى زيادة عرض السلع الزراعية وبالتالي الى انخفاض اسعارها دون المستوى المحدد من قبل مجلس وزراء السوق · مما سينتج عنه تقليص وارداتها من الاقطار العربية · و ٧٠٪ من الصادرات الحقلية لكل من تونس والمغرب تتم مع دول السوق · وهذا يعني ان نسبة الخسارة التي ستلحق باقتصاديات هذه الاقطار ستكون كبيرة ، مما سيزيد في حجم العجز التجاري السنوي القائم بينهما · فقد رأينا بأن الاقطار العربية السبعة المشار اليها تحقق عجزا سنويا مع دول السوق · ذلك ان تقليص الصادرات الزراعية لهذه الاقطار من شأنه أن يزيد العجز في الميزان التجاري . ولن يقتصر الامر على السلع والمنتجات الزراعية بل سيتعدها الى بعض السلع الصناعية كالمنسوجات · فالى جانب القيود التي تفرضها دول السوق على صادرات دول المغرب العربي من المنسوجات ، والتي سبق أن أشرنا اليها · فأن دخول اسبانيا لمنطقة

---

* هذا لا يعني بأن الاتحاد السوفياتي يحتل الموقع الرابع في اجمالي التجارة الخارجية العربية ، ولكن ترتيبه وفقا لهذه المجموعات يأتي بالدرجة الرابعة ·

** انضمت اليونان · رسميا ، للسوق في ٢٧ مايو (ايار) ١٩٧٩ ، ولهذا تصبح الدولة العاشرة في المجموعة الاقتصادية الاوروبية ·

Digitized by Birzeit University Library

السوق يعني احد امرين : فاما أن تستعمر دول السوق في تحديد العمل باتفاقية تقييد المنسوجات ، واما أن تعمل على تقليص وارداتها من هذه السلعة نتيجة لانضمام اسبانيا اليها • وكلا هذين الامرين يزيد في اجمالي العجز التجاري بين اقطار المغرب العربي ودول السوق •

ومما تقدم يتضح مدى الاثار السلبية التي ستلحق باقتصاديات الدول العربية المرتبطة باتفاقيات تجارية مع منظمة السوق • ان قدرة الاقطار العربية على الحد من هذه الاقطار يتوقف على توحيد المواقف أولا وثانيا على دعم ومساندة الاقطار النفطية بطريقة غير مباشرة لها في مفاوضتها القادمة مع السوق • وخاصة بعد عام ١٩٨١ ، حيث من المقرر أن تنضم اسبانيا •

الخلاصة

من خلال استعراضنا لحجوم ونسب التبادل التجاري بين اسرائيل والاقطار العربية ، كل على انفراد ، مع السوق الاوروبية المشتركة ، تبين لنا اهميتها في قائمة التصدير والاستيراد ، لكل منهما • فهي تستوعب ما بين ٣٦٪ ـ ٣٨٪ من اجمالي الصادرات الاسرائيلية ، كما وانها تشكل المورد الاول ، اذ تراوحت نسبة واردات اسرائيل منها ما بين ٤٣٪ ـ ٥٤٪ • بالمقابل ، فان السوق تستوعب ما بين ٥٠ ـ ٨٠٪ من اجمالي الصادرات لبعض الاقطار العربية النفطية (ليبيا ، الجزائر) وما بين ٤٥٪ ـ ٦٠٪ لعدد اخر من الاقطار العربية (المغرب ، تونس ، موريتانيا ، مصر) (حتى عام ١٩٧٦) الكويت (حتى عام ٧٥) • وما بين ٥٪ ـ ٢٥٪ بعدد اخر من الاقطار (الاردن ، لبنان ، البحرين ، الصومال اليمن الشمالي والجنوبي) • وما بين ٢٥٪ ـ ٤٥٪ لما تبقى من الاقطار العربية (سوريا ، السعودية ، العراق ، السودان ، الامارات العربية ، الخ ...) • اما واردات الاقطار العربية من السوق فيمكن تحديدها في مجموعتين ، الاول تستورد ما بين ٢٥٪ ـ ٥٠٪ ، والثانية ما بين ٥٠٪ ـ ٦٩٪ •• •

ومن خلال الجداول السابقة والمرفقة يتضح لنا ما يلي : ـ

● أن السوق الاوروبية المشتركة تقيم علاقتها التجارية مع الاقطار العربية وفقا لمصالحها التجارية المباشرة ، وهذا بخلاف علاقتها مع اسرائيل ••• • فنسبة الصادرات العربية لدول السوق كبيرة نسبيا لبعض الدول النفطية ولعدد محدود من الدول التي ارتبطت منذ فترة طويلة بعلاقات متميزة (كالمغرب وموريتانيا وتونس) •

● ان هذه الاهمية لكافة الاقطار العربية في سلم التصدير والاستيراد للسوق المشتركة بقيت محصورة في النطاق التجاري البحت ، دون ان يكون هناك برنامجا منظما لنقل التكنولوجيا وتطوير اقتصاديات الدول العربية • فحتى الاتفاقيات الاخيرة التي

• على اعتبار ان اسبانيا من أبرز الدول الاوروبية في صناعة المنسوجات •

•• مرفق جدول يوضح النسبة المئوية لتجارة كل دولة عربية مع منظمة السوق ، بالمقارنة مع الدول الرئيسية الثلاثة (الاتحاد السوفياتي واليابان والولايات المتحدة) •

••• لا يعني ذلك بأن لا مصلحة تجارية للسوق من خلال تبادلها التجاري مع اسرائيل ولكنها تاتي في الدرجة الثانية من الاهمية • وكان هذا هو احد الاسباب التي ادت الى عدم انضمام اسرائيل للاتفاقية الثالثة مع السوق عام ١٩٧٥ كما رأينا •

Digitized by Birzeit University Library

عقدتها مع بعض الاقطار العربية . والسابق الاشارة اليها لا يمكن وضعها وتصنيفها بنفس مرتبة الاتفاقية التي وقعت مع اسرائيل عام ١٩٧٥ · سواء من حيث حجم المعونات السنوية المقررة للاقطار العربية السبعة . أو من حيث تنمية الصناعات المحلية بها .

● ان حجم الارباح المباشرة (تحقيق فائض دائم في الميزان التجاري لدول السوق) وغير المباشرة من خلال استثمار وتخزين الاموال العربية النفطية في البنوك والمؤسسات المالية الاوروبية . أدى الى استمرار تطور ونمو اقتصادياتها · فالاقطار العربية تعتبر اكبر مستثمر في هذه الاسواق ·

● الموقف السياسي العربي ضد احتلال اسرائيل للاراضي العربية · فباستثناء البيان الذي صدر عقب حرب اكتوبر ، حول ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ . لم تقم هذه الدول بالضغط على اسرائيل من خلال تأجيلها توقيع الاتفاقية الثالثة مثلا ، او ربطها ما بين توقيع الاتفاقية والانسحاب الاسرائيلي· بل ان بعض الاقطار الاوروبية ، كهولندة والمانيا غ · وبلجيكا ، تعلن ، صراحة وعلنا . تأييدها الكامل لاسرائيل ·

يبين الجدول التالي اجمالي الصادرات والواردات للاقطار العربية مع السوق المشتركة

الوحدة = ١٠٠٠ ي =

السنة	اجمالي حجوم الصادرات العربية	اجمالي حجوم الواردات العربية
١٩٧٠	٦٢١٣٥٨٣ ·	٣٢٧٩١٣٩ ·
١٩٧١	٧٤١٥٨٠٢ (١)	٣٥٣٥٢٥٩ (١)
١٩٧٢	٨٦٠٥٣٥٥ (٢)	٤٥٤٣٩١٣ (٣)
١٩٧٣	١١٩٩١٨٢٨ (٢)	٦٠٤٠٢٨١ (٣)
١٩٧٤	٣٣٥٧٨٩٠٦ (٤)	١٠٠٥١٢٦٣ (٥)
١٩٧٥	٢٧٦٨٠٨٦٩ (٦)	١٥٧٤٧٧٠٠ (٧)
١٩٧٦	٢٩٧٨٢٨٧٧ (٨)	١٧٦٥٢٢٠٠ (٩)

● كافة الارقام مجمعة من قبل الباحث ·

المصدر : Year Book of International Trade Statistics, op. Cit., P. ?

· باستثناء اليمن الديمقراطية والامارات العربية وسلطنة عمان ودجيبوتي ·

(١) باستثناء اليمن الديمقراطية والامارات العربية وسلطنة عمان ودجيبوتي وقطر ·

(٢) باستثناء اليمن الديمقراطية وسلطنة عمان ودجيبوتي وصادرات النفط العراقية ·

(٣) باستثناء اليمن الديمقراطية وسلطنة عمان ودجيبوتي ·

(٤) باستثناء لبنان واليمن · د وسلطنة عمان ودجيبوتي وصادرات النفط العراقية ·

(٥) باستثناء لبنان واليمن د· وسلطنة عمان ودجيبوتي ·

(٦) باستثناء لبنان واليمن د· وسلطنة عمان ودجيبوتي وقطر ·

(٧) باستثناء لبنان واليمن د· وسلطنة عمان ودجيبوتي ·

(٨) باستثناء لبنان واليمن د · وسلطنة عمان ودجيبوتي والصومال وصادرات النفط العراقي ·

(٩) باستثناء لبنان واليمن د· وسلطنة عمان ودجيبوتي والصومال ·

Digitized by Birzeit University Library

قراءة في الشورى

يوسف حداد

واكب نشوء الصحف وانتشارها في فلسطين نشوء الصحف وانتشارها في الاقطار العربية الاخرى . فلقد بدأ ظهورها تباعا بالقدس ويافا وغيرهما من المدن الفلسطينية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . وكانت « القدس الشريف » الجريدة الاولى التي رأت النور عام ١٨٧٦ (١) وهي جريدة رسمية شبيهة بالجرائد الرسمية التي ظهرت في عواصم الاقطار العربية المجاورة باوقات متقاربة وكان من بينها على سبيل المثال جريدة «سورية» وقد صدرت في دمشق عام ١٨٦٥ وجريدة « الزوراء » ، وقد صدرت في بغداد عام ١٨٦٩ (٢).

غير ان الانتشار السريع وتعدد الصحف الفلسطينية بدأ عام اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ . اذ ظهر في هذا العام خمس عشرة صحيفة ومجلة ، بينها « الاصمعي » وهي ادبية اجتماعية . و « القدس » وهي علمية ادبية اخبارية . و « النفائس » ، وهي فكاهية ادبية و « النجاح » ، وهي سياسية ادبية علمية زراعية . و « جراب الكردي » ، وهي سياسية هزلية و « الكرمل » وهي تعنى بالشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية (٣). ولقد كان محررو هذه الصحف واصحابها فلسطينيين . واستمر عددها يتزايد بسرعة حتى بلغ عدد ما صدر حتى عام النكبة ١٩٤٨ مائة واربعا وخمسين جريدة (٤). وهذا الرقم قياسي بالنسبة لتعداد السكان في ذلك الوقت ولمساحة القطر .

وكما انشأ الصحافيون اللبنانيون جرائد خارج قطرهم لا سيما في مصر كان من بينها « الاهرام » و « المقطم » ، فقد انشأ الصحافيون الفلسطينيون جرائد خارج قطرهم لتكون منبرا اعلاميا لقضية فلسطين عاملا على توعية شعوب الاقطار العربية المحيطة بقطرهم منبهة الى الخطر المحدق ببلدهم . والذي يتهدد مستقبلا اقطارهم . ولقد كان من بين هذه الجرائد « الف باء » التي اصدرها يوسف العيسى في دمشق عام ١٩٢٠

(١) د . خوري ، يوسف . **الصحافة العربية في فلسطين** . مؤسسة الدراسات

(٢) دي طرازي ، فيليب . **تاريخ الصحافة العربية** . ج ٣ ، ص ٤٢ و ٧٦ .

(٣) خوري يوسف ، **المصدر السابق** ، ص ٧ ـ ١٤ .

(٤) العقاد ، احمد خليل . **الصحافة العربية في فلسطين** . ص ٥١ .

Digitized by Birzeit University Library

و «الشرق» التي اصدرها حسين البهائي في بغداد سنة ١٩٢٠ و « الشورى » وقد اصدرها محمد علي الطاهر في القاهرة عام ١٩٢٤ ، و « الشريعة » وقد اصدرها محمود الكرمي وكمال عباس في عمان عام ١٩٢٧ (٥) .

ومن الملاحظ ان الصحافة الفلسطينية سايرت ركب الصحافة العالمية « من حيث التحرير ونشر الانباء المحلية والعالمية . واستعملت احدث الالات الاتوماتيكية لتلقي الانباء واحدث الات الطباعة (٦) » . ولقد عاشت عهدين مميزين: هما العهد العثماني الذي ساد فيه الجهل والقمع والاستبداد ايام عبد الحميد والتعاطف مع الحركة الصهيونية وفتح باب الهجرة اليهودية الى فلسطين . وظهور النزعة العنصرية الطورانية في عاصمة السلطنة بعد خلع عبد الحميد سنة ١٩٠٩ ، ووصول جماعة « الاتحاد والترقي» الى السلطة . وتجدر الاشارة الى ان الصحافة الفلسطينية في هذه المرحلة لا سيما « الكرمل » تصدت بحزم وذكاء للسياسة التركية الجديدة المتعاطفة مع الحركة الصهيونية . وتعرضت للتعطيل تكرارا كما تعرضت للغرامات المالية مرارا . ومع نشوء الحرب العالمية الاولى توقفت الصحف عن الصدور . اما العهد الثاني فكان العهد البريطاني . الذي حمل معه « وعد بلفور » و « صك الانتداب » الذي تضمن تنفيذ هذا الوعد ، فقد كان على الصحافة ان تواجه هذا التحدي وان تنبه الى الخطر المحدق والمتحصر في تهويد فلسطين . واقتلاع شعبها منها . وذلك بفتح باب الهجرة اليهودية على مصراعيه ، وتسهيل انتقال الاراضي العربية لليهود . ونتيجة لهذا التحدي ورغبة من بريطانيا في انجاز وعدها لجأت الى الضغط ، وفرضت الرقابة الصارمة . كما لجأت الى تعطيل الصحف وتوقيفها ، مما اضطر بعض الاقلام المناضلة ان تنشيء منابر لها خارج فلسطين كما فعل محمد علي الطاهر بانشائه « الشورى » في القاهرة حيث المجال ارحب نسبيا مما هو متوفر في قطره . هذا وتجدر الاشارة ان غالبية الصحف توقفت عن الصدور في فلسطين بعد عام ١٩٤٨ باستثناء البعض من امثال « الشعب » « الفجر » « القدس » الاتحاد » التي لا تزال تصدر تحت نير الاحتلال الصهيوني حتى يومنا هذا .

الشورى

عاصر الطاهر المرحلة الاخيرة من الحكم التركي . وشهد بداية المؤامرة على وطنه فلسطين عندما اخذ الانقلابيون الاتراك ابتداء من عام ١٩٠٩ يتساهلون بامر الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وبامر شراء اليهود للاراضي الفلسطينية العربية . كما شهد قيام الانتداب البريطاني والفرنسي على بلاد الشام بعد قيام معاهدة سايكس بيكو وتنفيذها ، وخلق كيانات عربية مصطنعة كان بنتيجتها انتداب بريطانيا على فلسطين بعد صدور وعد بلفور وسعيها الحثيث لتهويدها .

عمل عام ١٩١٤ . وهو في العشرين من عمره . مراسلا لجريدة « فتى العرب » البيروتيه في يافا ، وكتب مقالا عنوانه « الصهيونيون في فلسطين » اوضح فيه « ان يهود « حارة تل ابيب » يستعملون نقودا نحاسيه نقش عليها خاتم سليمان »

(٥) المصدر نفسه . ص ١٨٠ .
(٦) المصدر نفسه . ص ٣ .

Digitized by Birzeit University Library

وان لهم طوابع بريدية عليها صورة هرتزل وان يهود « حارة تل ابيب » يعملون استعراضات عسكرية . تم حذر الناس من اليهود الذين يقومون بانشاء حكومة يهودية داخل الحكومة العثمانية » .

ساهم بعد الحرب العالمية الاولى في تحرير جريدة « سورية الجنوبية » التي كانت تصدر في القدس . « لكن ظلم الانكليز حمله على الهجرة لمصر . دار الاحرار ، ليشرح ظلامة فلسطين وليكشف عن النوايا الخبيثة التي يضمرها المستعمرون لتهويد البلاد المقدسة وطرد اصحابها الشرعيين منها . وقذفهم الى الصحراء حطابين وسقاة ماء (٧) » .

وفي مصر اصدر في الثاني والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٢٤ جريدة «الشورى» التي ناصبت الامبريالية الغربية العداء المرير . وكانت لسان حال الاحرار في العالمين العربي والاسلامي الامر الذي اغاظ الدوائر الامبريالية وزبانيتها في المنطقة العربية فحاربتها بقوة ، ومنع دخولها الى الاقطار العربية الواقعة تحت النفوذ البريطاني والفرنسي والايطالي. واتجه النفوذ الامبريالي للضغط على صاحب الشورى في مصر عبر السلطات المصرية فبدأت هذه السلطات تعمد الى مصادرة اعداد الشورى حينا ، وتعطيل صدورها حينا آخر . فلجأ الى اصدارها باسماء اخرى منها : الرقيب، المنهاج ، الناس ، الجديد ، الشباب، العلم المصري . وعلى الرغم من هذه الوسيلة التي اعتمدها بقي التعطيل والمصادرة يضيقان الخناق على قلم الطاهر ، حتى ان حكومة الانتداب في فلسطين اصدرت امرا بمنع اي جريدة يحررها محمد علي الطاهر من دخول الاراضي الفلسطينية . ولم يكن هذا الامر مستغربا فالشورى كانت جريدة نضالية لا تعرف المهادنة على الساحتين الداخلية حيث تتصدى للفساد ولزبانية الاستعمار من الحكام الوطنيين والخارجية حيث تشن حربا ضروسا على الاستعمار خاصة الانكليزي الساعي الى تهويد فلسطين .

« لم تكن ، الشورى كصحف زمانها او كجرائد اليوم ، بل كانت جريدة رأي وتعليق ، قبل كل شيء .. تتبع اخبار المجاهدين والثوار في فلسطين ولبنان . وسورية ، والعراق ، وليبيا ، وشمال افريقيا واليمن وعدن ومصر وحضر موت.. وتهاجم المستعمرين واعوانهم من خونة العرب في كل مكان .

ويكفي الشورى فخرا . انها كانت ترفض نشر اي اعلان فيها خشية ان يصبح لصاحب الاعلان دالة عليها . او تقبل اشتراكا من دائرة حكومية، او سفارة اجنبية حتى لا تصبح اسيرة لهذه الدائرة . وكانت تعيش على اشتراكات الناس العاديين المنتشرين في شتى انحاء المعمورة من مغتربين ومواطنين عرب » (٩) .

والصحافة في مفهوم الطاهر رسالة قومية هادفة الى تقويض الاستعمار وركائزه، وتحقيق الحرية والعدالة والديمقراطية . وهي بالتالي ليست مهنة ارتزاق وارتهان لمولين . انها سهام مسمومة توجه الى اعداء الامم والشعوب على الصعيدين المحلي

(٧) الطاهر ، محمد علي . **خمسون عاما في القضايا العربية** . ص ٧٦ .
(٨) **المصدر نفسه** . ص ٧٧ .
(٩) مجلة **السياحة** ، ١٥ ايلول ١٩٧٤ .

Digitized by Birzeit University Library

والخارجي . وهكذا لم تسلم الامبريالية الغربية بدولها المتعددة من سهام ابي الحسن محمد على صفحات « الشورى » وغيرها من عشرات الصحف التي بها كتب طبلة سني حياته .

على اننا قبل الولوج الى خط الشورى الملتزم وصراعها الدامي مع الاستعمار وتبيان ميادين هذا الصراع والسيوف المشاركة مع ابي الحسن فيه نود ان نعطي وصفا سريعا لهذه الصحيفة المناضلة .

١ ـ كانت اسبوعية تصدر كل يوم اربعاء وقد وضع صاحبها هويتها بسطر دائم كان ينشر في كل عدد منها . وهو انها « جريدة تدافع عن سورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن » ولما اتسع مجال نشرها استبدل الشعار السابق بشعار جديد يصف اغراضها بانها « جريدة تبحث في شؤون البلاد العربية والاقطار المستعبدة » .

٢ ـ لم يكن للاعلانات فيها مكان . وهي بالتالي لا تريد ان ترتهن كما انها لا تريد ان تخضع لضغوطات المعلنين ، وهذا يعني انها كانت حافلة بالمقالات والتعليقات والاخبار .

٣ ـ لم تكن « الشورى » مصورة الا في المناسبات غير العادية وعند الضرورة . وكانت في مثل هذه الاوقات تزيد عدد صفحاتها الى ست .

٤ ـ مراسلوها هم انصارها واصدقاء صاحبها . وهم كثر ومنتشرون في شتى الاقطار العربية وفي بلدان الاغتراب .

٥ ـ كتابها من كبار رجال الفكر والادب والسياسة في المشرق العربي والمغرب العربي وقد جاء في العدد الاول منها انه « سيكتب فيها من حين الى اخر عدد كبير من افاضل العلماء ورجال السياسة الشرقية كالاساتذة الكبار : احمد ذكي باشا ، الدكتور مو فهمي ، خليل افندي السكاكيني ، عا افندي جبر ، نسيم افندي صيبعة ، افندي الحداد محب الدين افندي لخ خير الدين افندي الزركلي الدكتور ركي مبارك الخ . هذا وهناك طائفة اخرى م افاضل كتاب تونس وسورية والجزائ يضطرون لكتمان اسمائهم بسبب التضيي الواقع على سكان هذه الاقطار الت ولاعتبارات اخرى ١٠ » . ومن الك البارزين الذين كتبوا فيها بشكل مستم الامير شكيب ارسلان ، والتعالبي الكاتب والزعيم التونسي المعروف ، والدكتور ع الرحمن الشهبندر .

٦ ـ تبويبها ، يغلب على الصفحة الا المقالات والتعليقات ، اما الصفحة الثاني فهي تشمل على تغطية « احوال البلا المستعبدة » ، ونجد في الصفحة الثالثة مقالات واخبار وشؤون ادبية . اما الص الاخيرة ففيها تتمات الصفحات الت اضافة لبعض الاخبار والتعليقات .

٧ ـ اتصاف كل ما فيها بالالتزام الق من المقاله الى الخبر ، الى التعليق الى العناوين وعدم مهادنة احد حتى من الذ كتبوا فيها ، وكانوا من مناصريها اذا انهم انحرفوا ولو قليلا عن الخط القوم المستقيم . وعلى سبيل المثال الدكتو عبد الرحمن الشهبندر الذي افسحت له صدر صفحاتها الاولى فترة ليست بالقل عادت لنصب جام غضبها عليه لمها الاستعمار على حد رأيها .

٨ ـ الاهتمام باخبار الثورات :لك ج وقائعها ، وايراد التعليق مع الوعي وفضح قوى التآمر الامبريالي واساليبه خاصة اخبار الثورات والانتفاضا

(١٠) **الشورى** ، العدد الاول ، ٢٢ اكتوبر ١٩٢٤ .

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطينية ، والتركيز على التشهير بالمتخاذلين والمتعاملين مع السلطات الاجنبية بزخم وبقوة . الى جانب التعظيم والتقديس للوطنيين الشرفاء .

٩ ـ حملت لواء التصدي للاقلام المأجورة والصحف العميلة التي كانت تمالىء الحركة الصهيونية والسلطة البريطانية بلا مواربة ولا هوادة .

١٠ ـ استطاعت الشورى ان تبدد بعض الضباب الذي كان يكتنف القضية الفلسطينية خارج فلسطين حتى في الاقطار العربية المجاورة ، ومرد ذلك الى الجهل من جهة ومن جهة ثانية الى التجهيل المتعمد من السياسه الامبريالية والاقلام المأجورة الدائرة في فلكها . ولقد شرح الطاهر ما لاقى من عقبات في دعوته للقضية الفلسطينية بقوله « كان بعض الناس يقولون له من هو الخواجا فلسطين ، وبعضهم يظن الصهيونية اسما لامرأة ، فيقول لي ماذا عملت معك هذه المرأة ، وشيخ عظيم قال لي ولن معي فلسطين تبقى ديه ايه ، وهناك شيخ عظيم مثله كان يستغرب ما يجري في فلسطين من جهاد ويظن المسلمين فيها متعصبين يضطهدون اليهود . وشيخ ثالث هو مفتي الديار « رفض اعطاء فتوى يكفر الفلسطيني الذي يبيع ارضا لليهود » ، جرائد عربية كانت ترفض نشر شيء عن فلسطين حتى لا يغضب اليهود ، وبعضها كان يرفض النشر عن الصهيونية الا اذا نشرت مقابل ذلك مقال يهودي بالرد عليه ، وهناك جرائد كانت ترفض نشر مقالاته رفضا اصليا بحجة انها لا تريد ان تتدخل في المسائل الطائفية ، وبعضها يرفض ان تنشر الا اذا عرضته على قسم الاعلانات فان وجدت ان هناك يهوديا يعلن عن بضائعه فيها ، او عن احدى الشركات اليهودية فمصير ما يكتب الاهمال (١١) » .

١١ ـ كان صاحب الشورى يقوم بتحريرها ، وتصحيحها وترتيب وتنظيم حرمه الادارة والمطبعة حتى الحسابات والمراسلات كان يقوم بها بنفسه ، بدون مساعد ، هذا مع التمكن من ضبط مواعيد صدورها بدقة (١٢) .

هذه بعض الايماءات حول « الشورى » وقبل الانتقال الى تسليط الاضواء على مواقفها من الاحداث لا بد لنا من اعطاء صورة واضحة عن مفهوم صاحبها للصحافة ، ودورها في حياة الامم والشعوب . انها في مفهومه « مدرسة واسعة يتلقى فيها الانسان انواع السياسة والعلم والادب ، والصحافيون هم رسل الحضارة وقادة الافكار بلا مراء بل هم صلة التعارف بين الشعوب والاحرار منهم لا يقفون عند هذا الحد ، فهم يحاربون ايضا مطامع الامم القوية ويعارضون كل حركة معاكسة للحق وسلاحهم في ذلك الضمير الشريف والنفس الابية (١٣) » .

هذا ومن المستحسن جعل دراستنا للشورى عبر مرحلتين ، مرحلة العشرينات التي تبتديء من تاريخ صدورها عام ١٩٢٤ حتى بداية الثلاثينات والمرحلة الثانية من اوائل الثلاثينات حتى توقفها عن الصدور نهائيا عام ١٩٣٩ مع بداية الحرب العالمية الثانية .

ـ المرحلة الاولى ١٩٢٤ ـ ١٩٣٠

بدأت في هذه المرحلة تتضح ابعاد السياسه البريطانية في فلسطين الرامية الى

(١١) الطاهر ، **المصدر السابق** ، ص ٧٧ .
(١٢) **الشورى** ، عدد ١٥٩ ، ٨ ديسمبر ١٩٢٧ .
(١٣) **المصدر نفسه** ، عدد ٤٤ ، ٢٧ اغسطس ١٩٢٧ .

Digitized by Birzeit University Library

خلق كيان عنصري على حساب سكانها واصحابها الشرعيين . فكان من الطبيعي ان ينبري الطاهر في جريدته للتصدي بعنف لما يجري في وطنه لا شيما وانه ادرك مخاطر الصهيونية قبل ظهور وعد بلفور وقيام الانتداب البريطاني ، ناهيك بانه اكتوى مع بني وطنه بنار العسف البريطاني واضطر الى الاقامة في القاهرة تخلصا من عسف الانتداب . من هنا كان عينا يقظة لما يحاك من مؤامرات على وطنه ، ولما يجري من تنفيذ لهذه المؤامرات فلا يترك وسيلة نافعة لاحباطها الا ولجأ اليها غير عابيء بعواقب. ولئن كان ميدانه الرئيسي في مقارعة الاستعمار على الساحة الفلسطينية فهذا لا يعني انه هادن هذا العدو على اية ساحة عربية او اسلامية او عالمية .

هكذا بات بمقدورنا ايضاح الدور المميز الذي لعبته الشورى في هذه المرحلة على الساحتين الفلسطينية من جهة ، والعالمية بما فيها العربية والاسلامية من جهة ثانية.

الشورى وفلسطين

لم يترك ابو الحسن حدثا او حادثة في فلسطين تمر الا واورد الحدث او الحادثة في صحيفته كخبر مضيفا اليه تعليقا ومقالة ، ولم يترك المجال لحظة لصحيفة في العالم العربي تهمل الحدث او الحادثة ولا تعطيهما الاهتمام اللازم ولا تتخذ الموقف المبدأي الواضح الا ورشقها بسهامه القاتلة. اما الاقلام المناضلة فكان ينبري للدفاع عنها والاشادة بها . تحال جريدة فلسطين للمحاكمة بسبب نشرها محاكمة المناضل سليم عبدالرحمن فيصدر ملحقا للشورى يشيد فيه بعيسى العيسى صاحب «فلسطين» ويخاطب المحكمة الانكليزية التي تحاكمه بقوله : « ان هذا لعجيب يا اعوان الصهيونية فقد عرفناكم مذ عرفناكم وليتها كانت ساعة سوداء يوم عرفناكم » (١٤) .

تعطي سلطة الانتداب امتياز الكهرباء لروتنبرغ الصهيوني ففراه يكلل. جبين الصفحة الاولى من العدد بالعنوان التالي « الاحتجاج على مشروع روتنبرغ » والى جانب هذا العنوان نجد عنوانا اخر «محاكمة سليم عبدالرحمن ـ شهادات زور ـ الفظائع التعذيب الاذلال الامتهان ـ الناس يبكون في المحكمة » (١٥) .

وتتصاعد حملة ابي الحسن على اليهود وبريطانيا لدرجة حملت احد كتاب الشورى الدكتور محمود عزمي على لومه واتهامه بمعاداة اليهود كل اليهود ، لانهم في ذاتهم يهود ، فيرد الطاهر بأنه ولد في يافا ولعب في صباه مع فتيان اليهود، ولم يشعر بعداء لهم ويمضي الى القول « ولكن لما اعلن وعد بلفور وجدنا نحن اهل فلسطين ان اليهود الوطنيين الذين عشنا نحن معهم ، وعاشوا معنا قد تنكروا لنا وانضموا الى الصهيونيين دفعة واحدة ، وكنا كما قلنا لاوربا : « ان يهود فلسطين ليسوا صهيونيين ، كذبونا وسفهونا وقالوا بل نحن صهيونيين ولما حدثت ثورة ١٩٢١ انضم اليهود الوطنيون الى الصهيونيين الغرباء . فهل نلام بعد ذلك ان حسبنا كل

(١٤) الشورى ، ١٦ نوفمبر ١٩٢٤ .

(١٥) الشورى ، ١٢ نوفمبر ١٩٢٤ .

Digitized by Birzeit University Library

يهودي صهيوني . وكل صهيوني يهودي قبل كل شيء » (١٦) .

يصدر ابراهيم النجار جريدة « لسان العرب » في القدس عام ١٩٢١ . ويلاحظ ابو الحسن انها بريطانية الهوى فيثور عليها وعلى المتعاطفين معها ممن تصدروا الواجهة السياسية كراغب النشاشيبي . « يقولون لماذا تسخط الامة على حضرة راغب بك النشاشيبي ولماذا الغضب عليه : يسألون هذا السؤال وكأنهم نسوا ان حضرته هو الذي جلب النجار لفلسطين ثم جعل ابن عمه فخري النشاشيبي مديرا لادارة « لسان العرب » ! والله لو لا كيد بعض ابناء هذه الامة بامتهم لما نال فلسطين عشر ما تلقى من البلاء » ١٧ .

ويلاحظ الطاهر مبكرا تمدد الاخطبوط الصهيوني لابتلاع فلسطين كل فلسطين فينبه « اهل القبور » الى ما يجري ويقول : « يريد الصهيونيون امتلاك فلسطين فعلا وقولا . هذه حقيقة لا ريب فيها ، ولذلك نراهم قد اهتموا اولا باستعمار حيفا . فالطلة التي اخذتها لهم حكومة فلسطين من سوريا ، فقريبا شلالات تل الشهاب لاتمام مشروع غوتنبرغ . ثم استعمروا يافا فمدوا حدود تل ابيب حتى الساحل فحصروا يافا من جهة الشمال ، وهم يسعون لجعل ميناء يافا في تل ابيب ، وقد اشتروا بعض الاراضي الرملية جنوب يافا حتى شاطىء البحر وامتلكوا اكثر الاراضي التي تحد يافا شرقا ، وبذلك تم تطويقها ، وحالوا دون توسيع الاحياء الوطنية فيها وقد بدأوا يبتاعون الدور في داخل المدينة ، وعما قريب لا يبقى للوطنيين الا اشخاصهم فاذا عضهم الضيق مرة تركوها وبذلك تعفو اثارهم منها .

ان مشروع تجديد غزة لا يد للوطنيين فيه ، وانما هو مشروع صهيوني بحت . ذلك انهم يريدون بناء مدينة صهيونية باسم (واشنطن الجديدة) فلم يجدوا موقعا انسب مما بين غزة والبحر فاذا انشئت واشنطن الجديدة اصبحت الميناء ميناء غزة بقبضتهم وبذلك يكونون قد قبضوا على وطنية الثغر الجنوبي الفلسطيني (١٨) » .

راى ان عملية تهويد فلسطين تسير قدما وان اخطر ما يجري في سبيل تحقيق التهويد انما هو في بيع الاراضي العربية لليهود ، اذ رأى « ان بيع الارض لليهود خطر اشد من وعد بلفور ، اذ ليس وعد بلفور بدونه الا حبرا على ورق وبيبع الارض من اليهود يتحقق بناء الوطن القومي اليهودي . اذن الوطن القومي لا يقوم في السماء ولا في الهواء انما يقوم على الارض » . وهذا ما جعله يدعو لاعلان الحرب على باعة الارض وعلى السماسرة (١٩) .

وفي اذار ١٩٢٥ يصل بلفور صاحب الوعد المشؤوم الى القاهرة في طريقه الى القدس ليشارك في تأسيس الجامعة العبرية مكرسا بذلك الخيانه البريطانية التي بدأت بقيام الوعد . وتفسح الشورى صفحاتها لاخبار الزيارة بحيث تنحصر مواد الاعداد في هذه الفترة بالمقالات والتعليقات وسرد وقائع صدى الزيارة. فعلى سبيل المثال تضع على صدر صفحاتها الاولى نص البرقية التي وجهتها اللجنة الفلسطينية العربية الى اللورد بلفور والمتضمنة الامور التالية :

---

(١٦) **الشورى** ، العدد ٨ ، ١٠ ديسمبر ١٩٢٤ .
(١٧) **الشورى** ، العدد ٩ ، ١٧ ديسمبر ١٩٢٤ .
(١٨) **الشورى** ، عدد ١١ ، ٣١ ديسمبر ١٩٢٤ .
(١٩) **الشورى** ، ١٢ يناير ١٩٢٥ .

Digitized by Birzeit University Library

١ ـ الاضراب العام في جميع فلسطين يوم وصول بلفور ·

٢ ـ الاضراب في كل مدينة يزورها على حدة ·

٣ ـ الاجتماع في المعابد ايام الاضراب للدعاء من اجل خلاص فلسطين من محنتها·

٤ ـ الامتناع عن مقابلة بلفور ·

٥ ـ عدم تمكينه من زيارة الاماكن المقدسة ·

٦ ـ الطلب لاصحاب الصحف اصدارها مجللة بالسواد مع نشر كلمة بالانكليزية حول تصريح بلفور على ان ترسل نسخا منها الى الصحف والاندية السياسية الاوروبية ·

٧ ـ تنبيه سلطة الانتداب الى المحاذير التي تنجم عن سماحها لليهود باقامة اية مظاهرة · ·

٨ ـ الطلب الى جميع الاندية السياسية العربية تأييد القضية الفلسطينية وشجب وعد بلفور ابتداء من يوم وصوله ·

٩ ـ ارسال مضمون هذه النقاط الى الصحف البريطانية ·

والى جانب نص البرقية يكتب صاحب « الشورى تعليقا يقول فيه : « ان اللورد بلفور قادم لفلسطين ليرى هل تم ما اراد فعمل من اجله ؟ · انه قادم ليرى هل بقي فيكم من الرمق وروح الحياة ما يمكنكم من الثبات او ما يحول دون جعل فلسطين يهودية كما ان انكلترا انكليزية واميركا اميركية ؟ (٢٠) » ·

وتتخذ سلطات الانتداب قرارا بمنع دخول « الشورى » الى فلسطين بعد تزايد خملتها على بلفور وبريطانية ، وينتج عن ذلك سخط عام يترجمه الجمهور بعرائض احتجاج ، كما ان الصحافة الفلسطينية انتقدت بشدة قرار المنع وايدت اعتراضه الشديد لهذا الاجراء · ويعلق ابو الحسن على هذا القرار بقوله : « ما معنى هذه الضجة ؟ · معناها حكم الامة المبرم ورأيها في المخلصين والخوارج (٢١) » ·

استمرت « الشورى » بتغطية نبأ زيارة بلفور وانعكاساتها ، واصبحت صفحاتها الاربع مخصصة لهذا الموضوع ، فمن مقالات الى تحليلات الى وصف لاخبار المظاهرات والاضرابات الموجهة ضد بلفور داخل فلسطين وخارجها ، ولم يعد يكتفي باصدار جريدته في موعدها بل اخذ يصدر الملاحق لها ، الامر الذي اغاظ بريطانيا ونتج عن ذلك اعتقال السلطات المصرية له لانه نادى بحياة فلسطين اثناء مرور بلفور بالقاهرة (٢٢) · ومن غريب المفارقات ان يذهب احمد لطفي السيد الكاتب المصري المعروف الى القدس ممثلا الحكومة المصرية لحضور تأسيس الجامعة العبرية فتشن الصحافة الفلسطينية حملة قاسية عليه ، وعلى حكومته ، كان ابرزها حملة «الكرمل» التي شنها صاحبها نجيب نصار والتي تضمنت هجاء للطفي السيد نظمه وديع البستاني ، ومن المفارقات ايضا ان الصحف المصرية التزمت عدم الخوض في هذا الموضوع · والانكى من ذلك ان « الاهرام » عمدت الى تبرير زيارة لطفي السيد مما حذا بالشورى الى توجيه انتقادها الشديد للاهرام الذي جاء فيه « جاء السيد الى بلادنا برغم انوفنا مجاملة لغاصب وطننا فنحن لا نستطيع ان نرى وجهه ولا نريد ان

.....

(٢٠) **الشورى** ٥ ، اذار ١٩٢٥ .

(٢١) **المصدر السابق** ٥، اذار ١٩٢٥

(٢٢) **المصدر السابق** ٢ ، نيسان ١٩٢٥ .

Digitized by Birzeit University Library

يزور معاهدنا ولا نرغب ان نسمح باسمه (٢٣) » .

ولا يترك ابو الحسن احدا من اضراب احمد لطفي السيد الا ويعريه ، ينتقد بشدة محاولة خليل طوطح منح طلاب دار المعلمين المشاركة في الاضراب ، وينتقد بشدة ايضا راغب النشاشيبي وجريدة فلسطين التي بررت حضوره ، حفلة افتتاح الجامعة العبرية (٢٤) .

يصف الدكتور عبد الوهاب الكيالي زيارة بلفور لفلسطين فيقول : « وفي اليوم الذي وطئت فيه قدما اللورد بلفور ارض فلسطين اعلن في البلاد اضراب عام شمل المتاجر والمدارس والسيارات الخ وتقيد به المسلمون والمسيحيون في مختلف انحاء البلاد . ورفعت الرايات السود واصدرت صحيفة فلسطيين عددا خاصا باللغة الانكليزية . والقى خليل السكاكيني (وهو مسيحي) خطابا وطنيا من فوق منصة الحرم الشريف وعلى الاثر اتخذ قرار ، بصيغة ليست مهذبة كثيرا ، يدعو اللورد بلفور الى مغادرة البلاد التي دخلها خلافا لرغبات لرغبات سكانها واهلها ، وبلغ القرار الى المندوب السامي بواسطة حاكم اللواء (٢٥) » .

يخرج بلفور من فلسطين بعد ظهور استياء شعبي عارم متوجها الى دمشق فيستقبل بمثل ما استقبل به في القدس ، وتستمر الشورى بحملتها وتظهر فيها العناوين التالية : اللورد بلفور والاضراب العام في عاصمة سوريا . العطف على فلسطين . سوريا تلبس السواد حزنا علينا . بيروت وحلب وسائر العواصم السورية ، تزمجر غضبا . مظاهرات دمشق ، القتال في شوراع العاصمة العربية . فرار بلفور من دمشق . فرار بلفور من بيروت .

وتورد الشورى في نفس العدد عريضة الاحتجاج التي قدمها اليه مجلس النواب السوري والتي نصت على « ان الشعب السوري على اختلاف طبقاته ومذاهبه يغتنم فرصة قدوم اللورد بلفور الى سوريا ليجدد احتجاجه على ذلك الوعد المشؤوم الذي رمى به قلب هذه البلاد قادماه » ، وتصف الشورى اغلاق الجامع الاموي بوجه بلفور وخروج المصلين بمظاهرة تنادي بحياة فلسطين وبسقوط وعد بلفور كما تصف الصدامات الدموية التي وقعت بين المتظاهرين والسلطة العسكرية الفرنسية . كما تورد الشورى برقيه اهالي دمشق التي وجهت للوزير البريطاني الزائر وقد جاء فيها « بلاد الشام العربية من جبال طوروس الى حدود سيناء ورفح ذات الوحدة الجغرافية والجنسية التاريخية تحتج بمناسبة قدومكم الى دمشق على الوعد الجائر الذي قطعتموه للرأسماليين من اليهود بانشاء الوطن القومي الصهيوني في جزئها الجنوبي - فلسطين - وتعده باعث خطر على السلام في الشرقين الادنى والاقصى وتسال عنه بريطانيا التي قطعت العهد رأسا وتتحمل سائر ما ينجم عنه من الاخطار والمصائب التي تهدد السلام (٢٦) » .

ويعود الطاهر بعد ما رأى من مواقف صلبة في القدس ودمشق وبيروت الى تعنيف احمد لطفي السيد ومن يمثل فيقول : « ولكن

(٢٣) **المصدر السابق** ، ٢ نيسان ١٩٢٥ .
(٢٤) **المصدر السابق** ، ٢ نيسان ١٩٢٥ .
(٢٥) الكيالي ، عبد الوهاب ، **تاريخ فلسطين الحديث** ، ص ٢٢٣ .
(٢٦) **الشورى** ، ١٦ نيسان ١٩٢٥ .

Digitized by Birzeit University Library

لو اظهر السوريون او الفلسطينيون شيئا من الاستخفاف باستقلال مصر وعمل الانكليز حفلة مشروع وقاطعه جميع المصريين ، فجاء النـاس مـن السوريين والفلسطينيين ، وشهدوا تلك الحفلة بالرغم من مقاطعة المصريين لها فهل يرضى عن هذا العمل المصريون ؟ .

والظاهر ان بعض اخواننا المصريين - لا اقول الجميع ولا اقول الاكثرين - يرون لانفسهم من الحق ما لا يرونه لغيرهم ويرضون لغيرهم ما لا يرضونه لانفسهم ويجدون انهم هم يستغنون عن سواهم في الشرق وان سواهم لا يستغني عنهم (٢٧) .

حتى الادبيات باتت على صفحات الشورى ملتزمة ، وفي ابان موجة الرفض العارمة ضد بلفور وما يمثل تصدرت صفحاتها قصائد وطنية ملتهبة للزركلي ، وشوقي والزهاوي وطوقان وقد جاء في قصيدة للاخير :

عجبا لقومي مقعدين ونوما
وعدوهم عن سحقهم لا ينثني
قد كنت احسب في التمدن نعمة
حتى رأيت شراسة المتمدن
الذئب ذئبي يوم هممت بحبهم
يا موطني هذا فؤادي فاطعن (٢٨) .

اما فهمي هاشم النابلسي فيقول :

هو الشعب سارت في دمشق مواكبه
فلله هذا الشعب من ذا يغالبه
رعى الله سوريا فمنها تعلمت
بنو العرب كيف الحق يبغيه طالبه (٢٩)

كانت القضية الفلسطينية هاجس الطاهر الاكبر ، لانه ادرك بعمق الرؤية جسامة الخطر الداهم ، وهاله لا مبالاة الكثيرين وخيانة اخرين من ساسة وصحافيين فكان عليه ان يخوض المعركة على كل الجبهات مع كل هذه الزمر ، فلم ينس احدا ولم يرحم منحرفا يتمادى ابراهيم النجار صاحب « لسان العرب » في غيه وعمالته ، فيكتب الطاهر في الشورى قائلا : « كانت مصائب فلسطين ثلاثة الاحتلال والصهيونية وابراهيم سليم النجار . فالاحتلال يكتنفنا بقوته ، والصهيونية تهدم كياننا ، واما ابراهيم سليم النجار فانه كان وجريدته السوس الذي ينخر عظام الامة والسل الذي يذيب حياتها والبلاء الذي انصب على رأسها (٣٠) .

وتنتهج جريدة « فلسطين » سياسة خاطئة ، اذ تكتفي بالتعرض للصهيونية دون بريطانيا بغية تحييد الاخيرة وهذا محال ، فالطاهر يرى ان بريطانيا اصل الداء والبلاء ولولاها لما كان للصهيونية اي اثر او خطر ، ان هذا التحليل دفعه لانتقاد صاحب جريدة فلسطين بعدان امتدحه فترة وقد علل موقفه المتبدل منه بقوله : « لماذا كنتم تنعتون جريدة فلسطين بالاخلاص ثم صرتم تنعتونها بالخيانة ، والجواب على ذلك ان الامة كانت تنعت جريدة فلسطين بالاخلاص لما كانت مخلصة فلما خرجت على الجماعة وضربت الامة في وجهها قالت لها الامة يا لك من خائنة (٣١) » .

هذا الموقف المتشدد للشورى دفع سلطة الانتداب مجددا لمنعها من دخول الاراضي الفلسطينية مما حذا بالقوى الوطنية الى

(٢٧) المصدر السابق ، ٢٣ نيسان ١٩٢٥ .
(٢٨) الشورى ، ١٦ يوليو ١٩٢٥ .
(٢٩) المصدر السابق ، ٢٨ مايو ١٩٢٥ .
(٣٠) المصدر السابق ، ٤ يونيو ١٩٢٥ .
(٣١) المصدر السابق ، ١ سبتمبر ١٩٢٧ .

Digitized by Birzeit University Library

الاحتجاج تكرارا الى ان الغي هذا المنع الذي استمر سبعة اشهر (٣٢) . لكن هذا الالغاء لم يستمر وعادت السلطة البريطانية لمنعها مجددا من دخول فلسطين كما منعت من دخول العراق ، ويعلق الطاهر على هذه الاجراءات التعسفية بقوله : « يريدون خنق فلسطين ولا يسمحون للمسكينة ان تتأوه (٣٣) » . ويتجه النفوذ البريطاني في مصر بعد ان ضاق ذرعا بابي الحسن للضغط على السلطات المصرية لاخراجه من مصر على اعتبار انه شيوعي ، ويأتي التعليق على هذا الاتهام الباطل « اما اتهامنا بالشيوعية فهذا مضحك ، واننا لنتحدى الناس جميعا ونقول ان هذه الجريدة المطاردة من جميع حكومات الاستعمار لم تتناول ما لا او مساعدة من احد ، لا من فرد ولا من حزب ولا من هيئة ولا من جماعة ولا من حكومة مطلقا ، ولا يمكن ان تقبل هبة من احد ، ولا يمكن ان نتنازل الى ذلك لا في الحال ولا في المستقبل (٣٤) » .

انه لمن الطبيعي ان يتهم الرجل بالشيوعية وان تمنع جريدته من دخول فلسطينيين وسواها وان يهدد باخراجه من مصر مكان اقامته ، ذلك لانه لم يهادن الاستعمار البريطاني والدائرين في فلكه لحظة واحدة . ولم يترك مؤامرة امبريالية تحاك ضد وطنه الا وفضحها وفضح ادواتها . تارة ينتقد اجرام بريطانيا السياسي في عملية التهويد لبلده ، وطورا ينتقد ادارة المعارف فيها ، وينـ... حينا اخر بالتشريعات والقوانين التي اصدرتها سلطة الانتداب ، تصدر هذه السلطة قانونا جديدا للضرائب فيكتب قائلا « هذا القانون الذي نحن بصدده يخول بريطانيا استيفاء ضريبة على الاملاك قدرها اثنا عشر ونصف بالمائة من قيمة الاجرة والمباني للارض التي تصلح للبناء فاذا اضفنا الى ذلك ثمانية بالمائة للبلدية كان المجموع عشرين ونصف بالمائة فاذا طبق هذا القانون قضي على ثروة فلسطين قضاء مبرما (٣٥) » .

ومع كل هذا الحصار الذي ضرب على « الشورى » وعلى صاحبها استمرت في خطها النضالي لا تحيد قيد انملة عنه . تخوض المعركة على كل الجبهات ، تذكر جريدة « اسرائيل » الصهيونية التي تصدر بالقاهرة حديثا دار بين خاخام اليهود الاكبر بفلسطين وبين حضرة قنصل مصر فيها حينما زار الخاخام دار القنصلية لمناسبة عيد الجلوس وقد جاء فيه ان محمد بك عابدين خاطب الخاخام بما يلي :

« ان الحكومة المصرية والشعب المصري يأسفان لحوادث فلسطين الاخيرة ويحفظان اصدق المودة للاستعمار اليهود بفلسطين وانهم في مصر ليقدرون اماني اليهود احسن تقدير في تحويل فلسطين الى بلاد راقية متحضرة » . ويوجه الطاهر عبر الشورى استجوابا للخارجية المصرية يقول فيه : « اني اسأل معالي وزير الخارجية الذي طاف فلسطين وخبر احوالها هل يوافق على ما اتاه هذا القنصل من القول الجارح (٣٦)» .

وتعصف الثورة في فلسطين في آب ١٩٢٩ ، فتملأ اخبار الثورة واخبار

(٣٢) المصدر السابق ، ١٥ يوليو ١٩٢٦ .
(٣٣) المصدر السابق ، ٨ مارس و ٥ ، ابريل ١٩٢٨ .
(٣٤) المصدر السابق ، ٢ فبراير ١٩٢٨ .
(٣٥) المصدر السابق ، ٩ فبراير ١٩٢٨ .
(٣٦) المصدر السابق ، ٣٠ اكتوبر ١٩٢٩ .

Digitized by Birzeit University Library

الوحشية البريطانية كل الصحيفة من بابها الى محرابها ، فتعيش الصراع وتشارك فيه بحروف ملتهبة بالنار والدم ، وتزين صفحاتها ادبيات ثائرة . فهذا الزركلي يقول :

امست فلسطين مناخا للردى
وترابها بدمائها مجبول
في كل رابية جسوم مزقت
وبكل ناد رنة وعويل
ما كان اشأمه واسوأ يومه
(وعدا) عليه من الانام مدول
رفرف على الوطن المهيض جناحه
واذكر بانك عن دم مسؤول (٣٧)

وتستمر في نشر القصائد الوطنية وفي جمع الاكتتابات والتبرعات للمناضلين والمتضررين . ونورد من القصائد قصيدة لايليا ابو ماضي كان قد القاها في المؤتمر العربي العام في نيويورك في الخامس والعشرين من ايلول ١٩٢٩ والتي قال فيها :

ديار السلام وارض الهنا
يعز على الكل ان تحزنا
فخطب فلسطين خطب العلى
وما كان رزء العلى هينا
سهرنا له فكأن السيوف
تحز باكبادنا ها هنا
فانا سنجعل من ارضها
لنا موطنا ولكم مدفنا (٣٨)

ومن بين الادبيات المتعددة نشرت الشورى قصيدة للزهاوي جاء فيها :

بلفور وعدك لم تحمد عواقبه
ما ان يقوم على الاشلاء عمران
يا وعد بلفور خلو انت من سفن
وانت بالشر كل الشر ملآن
ابناء صهيون ما فازوا ببغيهم
لو كان في لندن للحق اعوان (٣٩)

هذا هو موقف الشورى الثابت في هذه المرحلة على الساحة الفلسطينية وهو لم يكن ليختلف عنه في الساحات الاخرى العربية والعالمية ، وسنحاول ان نعطي بعض الاضواء عن هذه المواقف على هذه الساحات .

الشورى والساحات العربية والعالمية

لم تنحصر معركة الشورى مع الاستعمار على الساحة الفلسطينية وحدها بل على ساحات متعددة ، وان تلك الصدامات على الساحة الفلسطينية اكثر شراسة فان الطاهر خاض معركة المستعبدين ضد الغرب الامبريالي حينما كان له وجود خاصة في العالمين : العربي والاسلامي .

يسير امير الاردن ، عبد الله بن الحسين في ركاب بريطانيا مستسلما لمشيئتها فتذكره الشورى بصحائف بريطانيا السوداء مع ابيه الشريف وبخدلانها له ليكون في ذلك عظة وعبرة فيكف عن مسايرة السياسة البريطانية التي جرت وتجر الويلات على العرب . وفي دمشق تشدد الرقابة الفرنسية ضغطها على الصحافة محاولة خنق انفاسها فتهب الشورى مدافعة ومنددة وشاجبة هذا الاجراء التعسفي (٤٠) .

(٣٧) المصدر السابق ، ١٦ اكتوبر ١٩٢٩ .
(٣٨) المصدر السابق ، ١٣ نوفمبر ١٩٢٩ .
(٣٩) المصدر السابق ، ٢٥ ديسمبر ١٩٢٩ .
(٤٠) المصدر السابق ، ٢٢ اكتوبر ١٩٢٤ .

Digitized by Birzeit University Library

وفي المغرب العربي خاضت الشورى المعركة ضد الفرنسيين مفسحة المجال للكتاب هناك في التصدي للاستعمار ومقارعته ، مظهرة الخداع الفرنسي الشبيه بالخداع البريطاني « ولما وقعت الحرب الكبرى جاد الفرنسيون على تونس بالوعود ، كما جاد الانكليز على مصر وبلاد العرب بالعهود فامنوا انتفاض تونس واستفادوا من صبرها ، فلما انتصروا تنكروا للتونسيين » ، وموضحة اساليب المستعمرين المستحدثة « اما اسلوب الاستعمار هذا الذي نراه اليوم فان طريقته ان تتدخل الدولة المستعمرة في سائر شؤون الامة الواقعة في قبضتها فهي لا تفرض اتاوة سنوية بل تقبض على مرافقها الحيوية من خناقها ، فتجعل الملك او الامراء او الحكام من صنائعها والوزارات والمصالح الكبرى تحت سيطرة رجالها ، ورؤساء الادارات والحكام من الصغار من اذنابها (٤١) .

ولا تحصر الشورى معركتها مع الاستعمار بل تنقلها الى ادواته وابواقه . فابراهيم النجار صاحب لسان العرب يسمي الوطنيين بالشام مشاغبين ويفند محاسن فرنسا ويمضي الى القول « ولئن وقفت فرنسا بالامس موقف العدو ضد الحكومة العربية في الشام فما ذلك الا للضرورة التي ألجأتها اليه بعد ان فرغ صبرها تهدئة للخواطر وتقريرا للامن وتأمينا لاهالي منطقة نفوذها على ارواحهم واموالهم » . ويكتب الطاهر معلقا على هذا الدس المسموم « ايها الفلسطيني أتدري من هي الجريدة التي كتبت عن وطنك تلك السموم اعلموا انها جريدة لسان العرب ، وان الذ قال ذلك ابراهيم افندي النجار » (٤٢).

تندلع الثورة السورية ضد الطغيان الفرنسي عام ١٩٢٥ فتخوض الشورى الثورة ، والى جانب الوصف التفصيلي لما كان يجري من صدامات تجلت فيها همجية الفرنسيين وقسوتهم البالغة نجد المقالات والقصائد والتعليقات والمناقشات لافتراءات الصحف الفرنسية وحكومة باريس ، وما يقال عن موقف الشورى المشرف من الثورة السورية يقال عن موقفها من ثورة الريف المغربي بقيادة الامير عبدالكريم الخطابي عام ١٩٢٥ ضد الاسبان والفرنسيين ، لقد خاضت في العام نفسه المعركة ضد الاستعمار على جبهتين شرقية وغربية ، وهذا خيرالدين الزركلي يقول على صفحاتها :

اجهر برأيك لا يأخذك ترويع
لا ينفع الصوت الا وهو مسموع
الريف في الغرب مرفوع له علم
فهل لواؤك يا ابن الشرق مرفوع (٤٣)

وتتهكم الشورى على الغرب المدعي المدنية والمتباهي بالحضارة وهو ابعد ما يكون عنهما فتقول : « كنا اعزاء آمنين يوم كان « ظلم » الاتراك يحوطنا . فاصبحنا اذلاء خائفين يوم رفرفت فوق ربوعنا « حريتكم » التي تتشدقون بها (٤٤) » .

وكما فعلت بريطانيا في فلسطين وفعلت فرنسا في المشرق العربي والمغرب العربي كذلك كانت فظائع الايطاليين في ليبيا اذ « ارادت ايطاليا اخضاع الطرابلسيين بكل

(٤١) المصدر السابق ، ١٠ ديسمبر ١٩٢٤ .
(٤٢) المصدر السابق ، ٢٦ فبراير ١٩٢٥ .
(٤٣) المصدر السابق ، ١٥ اكتوبر ١٩٢٥ .
(٤٤) المصدر السابق ، ٢٩ اكتوبر ١٩٢٥ .

Digitized by Birzeit University Library

وسائل الارهاب ولم تترك صغيرة ولا كبيرة من الوسائل التي تعد في هذا القرن من الهمجية والوحشية الا وارتكبتها معهم وهم يستغيثون ولا يغاثون . ظلم لم يسبق له مثيل حتى في القرون الوسطى المنسوب اليها الظلم والتوحش (٤٥) .

هذا وانصب اهتمام الشورى اضافة للمشرق العربي والمغرب العربي على امور بلدان شبه الجزيرة بحيث لم تترك شاردة او واردة تمر دون التعليق عليها بعد التغطية الواسعة ـ ومن المدى العربي تنتقل نضالات الشورى الى المدى العالمي فهي ملتزمة بقضايا التحرر ومحاربة الاستعمار اينما كان فمن الهند الصينية في شرقي اسيا الى اميركا الجنوبية في الغرب تصول وتجول في مقارعة الامبريالية وتمجيد ثورات الاحرار ضدها .

لقد بهرت الثورة البلشفية انظار العالم في توجهها النضالي لدعم ثورات الشعوب وتأييدها لها لكي تتخلص من الامبريالية الرأسمالية الغربية . وتنبهت الشورى لهذا التوجه واخذت تغطي المواقف السوفياتية المؤيدة للانتفاضات والثورات ضد الظلم والقهر والاستغلال . فالامير شكيب ارسلان احد ابرز كتابها الدائمين يرى ان الامبريالية تستخدم المقهورين من شعبها اداة لقهر الامم المستضعة . ويذكر تصريحا للنين يدعو الى « تحرير الامم المقهورة واعادة المستعمرات الى اهلها ويوصي العمال والفلاحين ان لا يطيعوا قوادهم اذا امروهم بقتال اهل المستعمرات وان يروا فيهم اخوانا لا يحل قتالهم بوجه من الوجوه (٤٦) » . ويشدد الامير على دور لنين في حركة التحرر ، وعن رضاه وتأييده لهذا الدور . وتستمر الشورى في هذا الخط النضالي الملتزم ، صادقة مع الشعار الذي اختطت لها منذ تأسيسها والقائم على الالتزام بقضايا التحرر ومحاربة الظلم في كل الدنيا ولا سيما في الوطن العربي الكبير المبتلى بظلم الغرب وظلم ادواته وركائزه من الحكام العرب .

المرحلة الثانية ١٩٣٠ ـ ١٩٣٩

تزايد الحصار على الشورى في القاهرة بسبب مواقفها التحررية ومعاداتها الحادة للاستعمار . فبعد قرارات المنع التي حالت دون دخولها الى فلسطين وسوريا والعراق بدأ الضغط المباشر عليها في القاهرة ، وذلك نتيجة متوقعة لسياستها المعادية للغرب واذنابه . وعلى الرغم من قضاء صاحبها سنوات طوال في مصر لم يتمكن من الحصول على الجنسية المصرية ، واستصدرت السلطات المصرية قانونا جديدا للمطبوعات فكان هذا القانون عقبة كأداء في وجه الشورى واستمراريتها في الصدور ، ولقد اوضح ذلك الطاهر بقوله : « يسؤنا ان نذكر ان القيود والتعجيزات التي وصفها القانون الجديد واهمها النظر بمسألة الجنسية والتأمين لا تزال على حالها (٤٧) » ، وهذا يعني توقفها عن الصدور ..

وحسب الاستعمار وعملاؤه انهم يحرموا الجولة واخرسوا الصوت المجلجل في الدفاع عن الحريات والتحرر ، وشاء القدر ان يعود هذا الصوت المدوي على صفحات « الشباب » التي اعاره اياها الدكتور محمود عزمي بلا

(٤٥) **المصدر السابق** ، ٢٢ ديسمبر ١٩٢٧ .
(٤٦) **المصدر السابق** ، ٢٩ ديسمبر ١٩٢٧ .
(٤٧) **المصدر السابق** ، ٥ اغسطس ١٩٣١ .

Digitized by Birzeit University Library

شرط ولا اجر » كما فعل منذ عشر سنوات « ليشرف على تحريرها وادارتها بمطلق حريته دفاعا عن الحقوق العربية » راجيا ان يساهم بعض المساهمة في نصرة القضية العربية الكبرى وطلب منه العودة الى جهاده الصحفي المقدور في سبيل العروبة والحرية (٤٨) » . وسنعود لنرى دور « الشباب » في نضالها وجبهاتها في هذه المرحلة .

الشباب وفلسطين

كان من الطبيعي ان تلعب « الشباب » الدور النضالي الذي بدأته الشورى ، وبدا لكل مراقب ان التغير الوحيد انما كان في تبديل الاسم . وهكذا باتت الشباب المنبر الفلسطيني القوي المدافع عن الحق العربي والمنبر العالمي المدافع عن حقوق الشعوب في كل امصار الارض ولقد صدر للعدد الاول منها في ١٧ فبراير ١٩٣٧ .

تحتدم ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ فاذا هي شغل « الشباب » الشاغل . واذا هي حربة مقاتلة بجانب حراب الثوار . يطرح مشروع التقسيم فتصدر صفحاتها برفضه وتنبه الى خطره وتفضح القابلين به والمطبلين له من امير الاردن الى جون فيلبي الذي ادعى الاسلام زورا ، الى تهاون السلطات المصرية بما يجري ويعد لفلسطين فيقول : « ان وجود دولة يهودية على حدود مصر الشرقية سيكون خطرا عليها يتهددها ، واذا كان بعض الناس يظنون ذلك بعيدا فحسبهم ان يعلموا ان قيام الدولة اليهودية بجوار مصر لم يحتج الى اكثر من عشرين سنة ، وان عدد يهود فلسطين قد زاد في هذه المدة من خمسين الف نسمة الى نصف مليون (٤٩) » . ونراه في مناسبة اخرى يقول متألما : « لقد مضى على مدير « الشباب » سبع عشرة سنة وهو يصيح في الجرائد ويحذر ساسة مصر من قيام دولة يهودية في فلسطين تجاور مصر فكانوا يهزأون من هذا التخوف ، ولا يصدقون صيحات اهل فلسطين من هذا الخطر » وينتهي الى القول : « والخلاصة ان الخطر على مصر من قيام الدولة اليهودية بجوارها لهو اعظم بكثير مما يبدو .

وستكشف الايام حقيقته تدريجيا وسيندم ابناء هذا الجيل على ما فرطوا ، كما ندم ابناء الجيل السابق على تهاونه وسياتي اليوم الموعود الذي يقول فيه ساسه مصر ليتنا قلنا . ليتنا فعلنا (٥٠) » .

وفي مجال مناقشة امير الاردن الذي تهدد وتوعد رافضي التقسيم كتب يقول : « اذا كان في مقدور سموه تحطيم الرؤوس فليحطم لنا رؤوس اعداء الامة . اما ان يحطم راس فلسطين فهذا غير معقول وقد جاءت فلسطين بسموه ليكون لها لا ليحطم بقوة . الاجانب راسها (٥١) » .

ويلاحظ الطاهر ان الخطر اليهودي يهدد لبنان وان هناك امورا تطبخ في الكواليس من شأنها تزعزع كيان هذا القطر ، فيدعو لبنان الى اليقظة والتبصر ويقول : « الامر جد والخطر واقع واذن يترتب على فلسطين التي ابتلت باليهود من قبل وعرفت مايرافقهم من شرور ومصائب وويلات واجب هو

(٤٨) الطاهر ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٨٠ .
(٤٩) **الشباب** ، ٢١ يوليو ١٩٣٧ .
(٥٠) **المصدر السابق** ، ٢١ يوليو ١٩٣٧ .
(٥١) **المصدر السابق** ، ٢١ يوليو ١٩٣٧ .

Digitized by Birzeit University Library

مسؤولية امام الله والعروبة ان تؤديه . وهو تحذير لبنان وانذاره وتعريفه بوجوه الضرر والتلويح له باشارة الخطر ! (٥٢) » .

كما يرى ان فلسطين لا تتسع للايين اليهود وهذا يعني انها لا تحل المشكلة اليهودية ويذهب الى تبيان خطرهم الاقتصادي على الاقطار العربية المجاورة واخصها لبنان وذلك لتوسيع رقعة الوطن القومي ، والافاد من السيطرة على مركز لبنان التجاري والمالي ، ويمضي في تحذيره فيقول : « واذا فرضنا ان وطأة اليهود واطماعهم في لبنان ستكون اخف منها في فلسطين فسيكونون في كل حال عنصرا دخيلا يعيش لنفسه ولا يخلص الا لجنسه كما هو شأن اليهود في كل الاقطار التي اقاموا بها وسيكونون دائما مصدر تعب ومبعث مشاكل وارتباكات لا يعرف كيف تبدأ وابن تنتهي (٥٣) » .

وتداب « الشباب » على التحذير المستمر من الخطر الصهيوني الداهم على لبنان من كل الوجوه الاقتصادية وترى ان اليهود في حقل التجارة يستطيعون « ان يقيموا اعمالهم التجارية على اساس امتن ومقياس اوسع » وان لهم مؤسسات مالية ضخمة تغذي مشاريعهم وهم اكثر اتصالا بمصادر التجارة العالمية لكونهم هاجروا من بلدان مراكز التجارة العالمية المتقدمة صناعيا والتي لهم فيها مؤسسات وجاليات . « وعلى هذا اذا جاء اليهود لبنان فلسوف يزاحمون اهله في التجارة ويستولون عليها . ولسوف يتخذونه مستودعا للبضائع ومركزا للتوزيع في اسواق الشرق كما فعلوا في فلسطين وفي الاسكندرية وبذلك يسلبون ابناءه اهم موارد الرزق الموجودة في ايديهم » .

وترى « الشباب » المخاطر الاقتصادية المحدقة بلبنان في حقل الاصطياف والصناعة والمهن الحرة لانه غير قادر على مجاراة اليهود بسبب خبرتهم وضخامة رساميلهم ومقاطعتهم للصناعات والمصالح غير اليهودية . لكن الخطر الاكبر انما هو القطاع الزراعي « فالارض التي يشترونها يخرجون منها زراعها وعمالها ويأتون بدلهم بالمهاجرين اليهود » « ان الارض هي راس المال الحقيقي ، والرخاء الذي يقوم على بيع الاراضي وانفاق ثمنها هو رخاء مصطنع » .

وتفند حكاية الرخاء الزائف في فلسطين فاليهود جلبوا رساميل لفلسطين لانفسهم لا لسكانها العرب . « لم يجلب اليهود الى فلسطين اليسر والرخاء وانما سلبوها الامن والراحة والطمأنينة والهناء ، سلبوها نعيم الحرية ولذة الاستمتاع بوطن خالص مستقل (٥٤) » .

وفيما كانت « الشباب » تحذر الاقطار العربية المجاورة من البلاء الصهيوني كانت تملأ صفحاتها باخبار الثوار الفلسطينيين مشيدة ببطولاتهم ، داعية لشد ازرهم ، منددة بالسلطة البريطانية ، واصفة اساليب القمع البربرية من تنكيل وتدمير وحصار وتجويع واحكام اعدامات بحق الثوار الاسرى .

يسقط فرحان السعدي القائد شهيدا فتظهر « الشباب » باعمدة سوداء وعناوين سود بارزة حول الحدث الجلل ، مع شتى التعليقات مبدية السخط العارم على بريطانيا

(٥٢) المصدر السابق ، ١٥ سبتمبر ١٩٣٧ .
(٥٣) المصدر السابق ، ١٥ سبتمبر ١٩٣٧ .
(٥٤) المصدر السابق ، ١٥ سبتمبر ١٩٣٧ .

Digitized by Birzeit University Library

والنقمة التي ما بعدها نقمة عليها (٥٥) ·

تزور فلسطين لجنة ملكية بريطانية للتحقيق في الاحداث الدامية وغايتها النهائية خداع العرب الثائرين · فيقدم لها المطران حجار اللبناني الاصل بيانا عنيفا فيه اسقاط القناع عن الخداع البريطاني والمحاباة البريطانية لليهود ، لقد جاء في هذا البيان: « ان بطريركنا شاء ان يقوم بزيارة دينية رسمية لاول مرة لفلسطين وكان علينا بحسب عوائدنا الدينية ان نمر امامه بموكب ديني مع الصليب في بعض الشوارع فمنعنا الحاكم البريطاني ؛ ولما شاء ان يقوم غبطة البطريرك رسميا من حيفا الى يافا رأسا اوجب عليه الحاكم ان لا يجعل طريقه بتل ابيب او المستعمرات اليهودية فاضطر أن يمر بالقدس ثم يتوجه الى يافا » ·

ويمضي البيان الى المقارنة بين معاملة الانكليز للمسيحيين في فلسطين ومعاملة الاتراك قبلهم فيقول : « واخيرا اقول انه في ظل الخلافة الاسلامية كان المسيحيون يقاسمون اخوانهم المسلمين المحاكم ومجالس الادارة والمجالس البلدية مناصفة بعدد متساو بدون نظر الى اقلية او اكثرية ، فنابلس وعكا وجنين وصفد وغيرها على قلة المسيحيين كانت الحكومة العثمانية تمنحهم حق التساوي مع اخوانهم المسلمين وعندما اتى اليهود لم يستطيعوا بالطبع أن يأخذوا هذا الحق من المسلمين لكثرتهم فسلبوه من النصارى » (٥٦) ·

وعلى الرغم من الخبث البريطاني والسياسة التي اتبعتها بريطانيا في المستعمرات والقائمة على اثارة النعرات الطائفية ، لم تستطع ذلك في فلسطين بفضل الوعي القومي وهذا ما اكده المطران حجار الذي نبه اللبنانيين الى عدم الانخداع بالصهيونية واحابيل الغرب فقال : « انا مطران العرب· هذا لقب جميل اعطاني اياه ابناء بلادي على اختلاف مذاهبهم في كفاحهم وجهادهم لتحرير بلادهم من ربقة الصهيونيين ، وهو يعلي قدري ويزيدني شرفا ويشجعني في نشاطي وكفاحي في سبيل عرب فلسطين وانقاذهم من الخطر الصهيوني الذي لا تشعرون به وتقدرونه قدره في لبنان انتم في لبنان منخدعون بامر الصهيونية لا ترون فيها غير المال الذي جاءت به الى بلادنا ولكنه مال باق لليهود ·

وبينكم من يتغنى بهم ، ومن احباركم الاجلاء من يأخذ جانبهم · ولكن هؤلاء اليهود جاءوا ايضا يشلحوننا نحن النصارى القبر المقدس ، جاءوا يجلوننا بمملكتهم اليهودية عن اراضي سيدنا يسوع المسيح وهم صالبوه ! (٥٧) · والجدير بالذكر ان المطران المذكور مات بحادث دهس اذ صدمته سيارة يهودية بظرف غامض ·

وتستمر « الشباب » في تغطية اخبار الثورة ، مسهبة في تبيان الطغيان البريطاني واصفة اياه بدقة ، منددة بالصحف الصامتة عما يجري ، مشهرة باصحاب العروش في الرياض وصنعاء وعمان كل ذلك يجري « وبلادي تنتهكها الدافع وتغمرها الدماء ويجهز على جرحاها الطغام » واصحاب السمو في صمت المقابر غافون (٥٨) · في حين ينزل الى ميدان المعركة رجال الدين يقاتلون دفاعا عن الارض والمقدسات · فهذا يعقوب الحنا الكاهن المسيحي من قرية الرامة قضاء عكا يترك كنيسته ويمتشق بندقيته

---

(٥٠) المصدر السابق ، ١ ديسمبر ١٩٣٧ ·
(٥٦) المصدر السابق ، ٣٠ مارس ١٩٣٨ ·
(٥٧) المصدر السابق ، ١ حزيران ١٩٣٨ ·
(٥٨) المصدر السابق ، ٢٤ اغسطس ١٩٣٨ ·

Digitized by Birzeit University Library

ويخوض عشرات المعارك في مقارعة الطغيان البريطاني (٥٩) .

ان هذا الموقف المشرف الذي وقفته « الشباب » في معركتها الطاحنة مع الاستعمار البريطاني دفع السلطات الفرنسية لابعاد محمد علي الطاهر من لبنان بطلب من السلطات البريطانية اثناء زيارته قصيرة لهذا القطر ، لكن هذا الاجراء وما سبقه من اجراءات لم يكن ليجعل قناة هذا المناضل الصلب ان تلين بل زاده ذلك ضراوة في النضال وقوة في الدفاع عن الحق القومي المهدد (٦٠) .

واستمرت « الشباب » تنشر الادبيات الوطنية الملتهبة الى جانب التعليقات والمقالات والاخبار ، ومن هذه الادبيات ما قاله الشاعر الثائر عبد الرحيم محمود .

ساحمل روحي على راحتي
والقى بها في مهاوى الردى
فاما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيظ العدى
بقلبي سارمي وجوه العداة
وقلبي حديد ونار لظى
واحمي حياضي بحد الحسام
فيعلم قومي بأني الفتى

وما قاله الشاعر اللبناني المهجري جورج صيدح :

بني فلسطين سيل الغاصبين طما
كونوا له السد لا يعنو لمقتحم
مهد المروّة تأبى ان تدنسه
ان نام فيه بنو صهيون لم ننم

اما الشاعر الفلسطيني ابراهيم الدباغ فقد صب جام نقمته على الحكام العرب المتعامين والمتفرجين على الاحداث الدامية في فلسطين فرأى انهم الاعداء الحقيقيون قبل سواهم .

والحاكمون بكل عصر فتنة وبلاء كل عشيرة رؤساؤها قد مكنوا اعداءها من طعنها برماحهم فهم اذا اعداؤها (٦١) .

هذا والى جانب الاهتمام لاخبار الثورة والنضال تنبهت « الشورى » للدهاء البريطاني الماضي بخبث ومكر في تهويد فلسطين من خلال التشريعات التي تصدرها بريطانيا بين الحين والاخر على ما فيها من مفارقات فهي « لاجل سرعة تهويد بلادنا قد سنت من القوانين واتخذت من القرارات والحيل القانونية ما جعلنا نحن المهاجرين العرب في مصر واوروبا واميركا وسورية ولبنان غير فلسطينيين وقد انكرت تلك الحكومة جنسيتنا » وهي بالمقابل تمنح الجنسية الفلسطينية لكل يهودي وافد الى فلسطين ، في حين ان امم اوروبا القوية قد ضجت منهم ولم تتمكن من حملهم وقبولهم بين ظهرانيها (٦٢) . ولا تنسى ان تذكر باستمرار لعملية الهجرة اليهودية وبيع الاراضي ومخاطر هذه الامور على مستقبل فلسطين .

ولئن ثار على الاستعمار الغربي وعلى الحكام العرب الصامتين عما يجري في فلسطين ارضاء لاسيادهم المستعمرين وتمسكا بعروشهم وحفاظهم عليها ، فلقد انتقدت « الشباب » القيادات الفلسطينية التي تخون الشهداء متطلعة الى مصالحها الخاصة وقد جاء تعليقها على هذه القيادات موضوعيا

(٥٩) المصدر السابق ، ٧ سبتمبر ١٩٣٨ .
(٦٠) المصدر السابق ، ٧ سبتمبر ١٩٣٨ .
(٦١) المصدر السابق ، ١٣ يوليو ١٩٣٨ .
(٦٢) المصدر السابق ، ١٧ فبراير ١٩٣٧ .

Digitized by Birzeit University Library

ودقيقا فلقد ركزت على الامور التالية :

١ ـ الشعب يكافح ويناضل ويبذل . ولكنه لا يجد الفئة الصالحة التي تستثمر جهاده وتضحياته للمصلحة العامة ، وتعرف كيف توجهه بعد ثورته وتقوده عقب كفاحه ·

٢ ـ فقدان الفئة المنظمة المنتظمة التي تتصل بالشعب اتصالا وثيقا والتي مهمتها اعداد الامة لدفع الخطوب ·

٣ ـ فقدان الزعيم القيادي ·

٤ ـ قياس الكثيرين للامور ولعواقبها ولفوائدها واضرارها بمقاييس شخصية محضة لا تمت الى المصلحة العامة بسبب (٦٢) ·

ينخدع البعض باضاليل اليهود فيتعاطفون معهم ويعملون على مناصرتهم ومن بين هؤلاء البطريرك عريضة والمطران مبارك · فلقد خطب الاول رادا على رئيس الطائفة الاسرائيلية في لبنان الذي زاره اثناء حفلة توديع قائلا : « قيل عني انني بطريرك اليهود فانا لليهود وساحامي عن اليهود ، فاليهود اخواننا وكتابهم كتابنا، وانبياؤهم انبياؤنا فنحن واياهم كتلة واحدة » · اما المطران مبارك فقد رحب باليهود في لبنان قائلا « نؤكد لكم يا ابناء اسرائيل الذين طردتم ولم يقبلكم العرب في فلسطين باسم غبطة البطريرك وباسمي ان لبنان يكفينا ويكفيكم » (٦٤) ·

فتفتح « الشباب » صفحاتها للردود والتعليقات على هذه المواقف ، ومن بينها رد الدكتور يعقوب الخوري الذي جاء فيه « ما هو ذنب اهالي فلسطين اذا كان هتلر يضطهد اليهود والكتلكة ، لقد كان في امكان البطريرك والمطران مجاملة اليهود ولكن على حسابيهما لا بالاعتداء على الفلسطينيين ، واتهامهم ظلما وعدوانا بالحسد ونكران الجميل والمذابح والطرد ·

للمطران ان يدعو اليهود الى بيته لا الى لبنان لان لبنان للشعب ورأيه يخالف رأي المطران والامة لم تفوضه بالكلام عنها ولا تقره باي حال من الاحوال على ما صرح به » (٦٥) ·

وتنهال الردود والتعليقات وكان من اهمها رد المطران حجار الذي انتقد بشدة البطريرك والمطران كذلك المذكرة الفلسطينية التي وقعها عشرون شخصية مسيحية والتي حملت الاستنكار الشديد والسخط العارم على الخطابين المذكورين ·

وتستمر « الشباب » في تحذير كافة الاقطار العربية من الخطر المستقبلي الذي لا يتهدد فلسطين وحدها بل العالم العربي برمته وتعجب من امر بعض اللبنانيين الذين يرون في قيام اسرائيل افادة اقتصادية وسياسية غير مدركين لمخاطرها (٦٧) · ان الاحداث جاءت لتؤكد صدق هذا التحليل الذي ان دلّ على شيء فعلى بعد النظر والرؤية المستقبلية للاحداث ·

ويزداد ظهور الصور للاحداث في « الشباب » بعضها يظهر بطولة الثوار ، وبعضها الاخر اثار الدمار الذي كانت تنزله القوات البريطانية بالمنازل العربية ، وتلوح في الافق في اواخر عام ١٩٣٨ دعوات مشبوهة لايقاف الثورة فتتبع « الشباب » التحذير بالتحذير مؤكدة « ان كل من يخالف ارادة الامة ويتعاون مع اعدائها يعرض

(٦٣) المصدر السابق ، ١٩ مايو ١٩٣٧ ·
(٦٤) المصدر السابق ، ٢٨ ابريل ١٩٣٧ ·
(٦٥) المصدر السابق ، ٥ مايو ١٩٣٧ ·
(٦٦) المصدر السابق ، ٥ مايو ١٩٣٧ ·
(٦٧) المصدر السابق ، ٧ ديسمبر ١٩٣٨ ·

Digitized by Birzeit University Library

نفسه للجزاء الصارم بدون هوادة او ضعف، فنحن في اخر الشوط وليس لنا الا النصر او القبر فالحق في جانبنا والله معناء ٠٦٨

كان من بين دعاة التخاذل قادة حزب الدفاع وعلى رأسهم فخري النشاشيبي « الخارجي القديم المزمن » ولم تكن الثورة لترحم احد من هؤلاء الساقطين ، وهذا ما حدا بقيادة الثورة الى اصدار الحكم بالاعدام التالي نصه على فخري النشاشيبي٠

بسم الله الرحمن الرحيم

واعدوالهم ما استطعتم من قوة

العدل اساس الملك

ديوان الثورة العربية الكبرى

سورية الجنوبية ـ فلسطين

التاريخ ٨ ـ ١٠ ـ ٥٧

الرقم ١٠٩ ـ ١٩٣٨

٣٠ ـ ١١ ـ ٣٨

الى الرأي العام

من خرج على الامة وهي جمع ، فاقتلوه بالسيف كائنا من كان ٠

حديث شريف

لما كان فخري النشاشيبي عضو حزب الدفاع قد والى الاعداء بمذكرته التي تهاون فيها بحقوق البلاد ،وادعى ما ليس له حق الادعاء ، ولما خرج على اجماع الامة واتفق مع السلطة الانكليزية والصهيونيين، لذلك فديوان الثورة العربية الكبرى يعتبره مرتكبا لجرم الخيانة العظمى ويقر الحكم عليه بالاعدام ويبيح دمه وماله ٠

على كل عربي ان ينفذ هذا الحكم ان استطاع اليه سبيلا ٠

وكذلك يعلن ديوان الثورة العربية الكبرى ايضا انه يبيح دم ومال كل مشايع لفخري النشاشيبي لخروجه على اجماع الامة ٠

والقضية الوطنية لا تتسامح مع المتآمرين والدساسين ٠ والوطن فوق الجميع وقد اعز من انذر (٦٩)

المتوكل على الله

عارف عبد الرازق

وتعود السياسة البريطانية المخادعة بعد فشلها المتكرر في بث التفرقة الطائفية في فلسطين الى اثارة النعرات الطائفية متذرعة برغبتها في الحفاظ على مسيحي فلسطين ، وتأمين السعادة لهم ،فيوجه عيس البندك صاحب جريدة الشعب المبعد والمعطلة جريدته الى تشمبرلن رئيس وزراء بريطانيا على صفحات « الشباب » كتابا مفتوحا وهو المسيحي البيشلحمي يقول فيه : « اني اعتقد مخلصا ان الضمانة الحقيقية لتحقيق هذا الفرض السامي في تجنب فرض اي نوع من الضمانات ، اذ عندما يعتبر المسيحيون العرب اقلية يظلون فريسة للشبهات في اخلاصهم لوطنهم وذلك يورطهم في مشاكل هم في غنى عنها ٠

ان اسلم ضمانة للمسيحيين العرب هو الا تكون هناك اية ضمانة ٠ ان من اعتبار المسيحيين اقلية هو فصل لهم من جسم الاسرة العربية التي ينتسبون اليها وحرمانا لهم من شرف بطولة الجهاد التاريخي في سبيل حريتهم ذلك الجهاد الذي اشترك فيه المسيحيون جنبا الى جنب مع اخوانهم المسلمين ٠

اذا وجد من يلح في ايجاد ضمانة لحقوق المسيحيين العرب فليس لهذا الالحاح الا نتيجتان :

١ ـ انتفاء البنية الحسنة نحو مستقبل فلسطين وايجاد ثغرة في جسمها لتسرب الدسائس والاضطرابات الى قلبها ٠

٢ ـ اجبار المسيحيين العرب اما ان يعتنقوا الدين الاسلامي ليظلوا جزءا حيا

(٦٨) المصدر السابق ، ٣٠ نوفمبر ١٩٣٨ ٠

(٦٩) المصدر السابق ، ٢١ ديسمبر ١٩٣٨ ٠

Digitized by Birzeit University Library

في صرح القوة التاريخية العربية ، او ان ينزحوا عن البلاد اذ سينظر اليهم اذا تردوا برداء الاقلية بانهم عناصر هدامة في جسم البلاد العربية » (٧٠) .

ومع شعور بريطانيا باقتراب موعد الحرب العالمية الثانية وفشلها في بث التفرقة الطائفية في فلسطين ، لجأت بخداعها الى الانظمة العربية القائمة ولها عليها دالة وتأثير فحركتها لتطلب من الثورة الفلسطينية التوقف مقابل تعهدات بريطانية كاذبة ، وهذا ما كان ، اذ اجهضت الانظمة الثورة وذهبت دماء الشهداء هدرا ، كل ذلك ليستريح الملوك على كراسيهم وينالون بركة بريطانيا صانعتهم وحامية عروشهم .

ان خير ما نختتم به هذه المرحلة التي توقفت فيها « العلم المصري » التي اخذت تصدر محل « الشباب » وقد توقفت بسبب الحرب العالمية الثانية وظروفها في ٣٠ اغسطس ١٩٣٩ بعض الادبيات الوطنية التي زينت بها « الشباب » صفحاتها ومن بين هذه الادبيات قصيدة لمحمد احمد العمد يقول فيها :

اقتلوا يا طغاة فينا الوليدا
واعدوا لكل نفس قيودا
فمن العار ان نعيش بذل
ومن العار ان نظل رقودا (٧١)

وقول ابراهيم الدباغ :

فما تبصر العينان الا مصائبا
تنوء بها صم الجبال وترهق
تقنن جند القرب في الظلم فانبرى
يبيح دماء الامنين ويرهق
يريدون منا ان نذل لحكمهم
وما حكمهم الا الفناء الحقق
فيا رب هلا للنوائب اخر
وهلا منى في ظلمة الخطب يشرق(٧٢)

وقول محمد الاسمر :

فما عاش حرا من مشى في بلاده
وامته قد طوقتها السلاسل
وما « سيشل » عندي التي كنتم بها
ولكنما دار الاذلاء سيشل

وهذا مصطفى البيرقدار المحامي يصف ويلات الفلسطينيين التي نزلت بهم من العسف البريطاني فيقول :

هلا رتيت لما يلقاه ساكنها
ام ليس عندك لاسمع ولابصر
اسمع انين الضحايا حولها سقطت
تصارع الموت لم يرفق بها القدر
تلك الدماء وقد سالت اباطحها
دم الشهيد له الاكباد تنفطر
لئنا خدعنا بكم في بدء نهضتنا
فداك درس لنا في نشره عبر

ويقول الشاعر الثائر عبد الرحيم محمود في رثاء المناضل الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد :

يا شهيدا قد تخذنا قبسا
منه يهدينا الى النهج الجديد
مت في الحرب شريفا لم تطق
ربقة الاسر ولا ذل العبيد
هكذا العار مرير ورده
والردى للحر معسول الورود

(٧٠) المصدر السابق ، ٢٥ يناير ١٩٣٩ .
(٧١) المصدر السابق ، ٧ ديسمبر ١٩٣٨ .
(٧٢) المصدر السابق ، ١١ يناير ١٩٣٩ .
(٧٣) المصدر السابق ، ١١ يناير ١٩٣٩ .
(٧٤) المصدر السابق ، ٢٥ يناير ١٩٣٩ .
(٧٥) المصدر السابق ، ١٠ مايو ١٩٣٩ .

Digitized by Birzeit University Library

المرحلة الثانية ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩
الشباب والعالم العربي والساحات العالمية

وكما حلت « الشباب » في نهجها النضالي الفلسطيني الملتزم محل « الشورى » كذلك قامت بدورها العربي والعالمي في نصرة قضايا المظلومين، وفي التصدي للمستعمرين. لقد كان ابو الحسن صادقا في التعبير عن حقيقة دور جريدته بقوله : « ولذلك اصبح من العسير على الشرقي المظلوم ان يجد جريدة تنشر مظلمته وترفع شكاته وتنصر قومه ، وقد كان هم جريدة الشورى في عهده الماضي الاعتناء بهذه الامور التي يزهد فيها اكثر الصحف ، فلما وقفها الظالمون سنة ١٩٣١ بقوانين واساليب خبيثة استعمارية واصبحت احار كحيرة سواي في حمل الصحف على نشر مظلمة بلادي واعني بها البلاد العربية » (٧٦)

راقبت « الشباب » تفكك العالم العربي وتمزقه فعزت كل ذلك الى فرنسا وانكلترا اللتين لم تكتفيا بالتجزئة والتحكم بهذه الاقطار فقد «اخذوا يتكرمون ببلاد العرب على الغير ، فبريطانيا تعطي اليهود جنوب سورية الذي سمي بفلسطين ، وفرنسا تعطي الترك شمال سورية الذي هو منطقة الاسكندرونة وانطاكية بعد ان اعطتهم عينتاب وكيليكيا وبعد ذلك قسمت بريطانيا فلسطين الى امارات ومناطق يهودية وعربية وقسمت فرنسا بقية سورية الى دول شتى ، كلبنان، وسورية الداخلية وجبل الدروز » (٧٧) .

تثور النزاعات بين اهل الحكم على كرسي السلطة كما حدث في حضرموت فيكون ذلك ذريعة لبريطانية لبسط سلطانها على هذا القطر ، فتتبرى « الشورى » بالسخط والتعنيف على نزاعات الحكام وعلى بريطانيا ، وتظهر خشيتها من قيام نزاعات مماثلة في اقطار عربية اخرى تشكل ذرائع للتدخل الاستعماري (٧٨) .

ومن حضرموت الى البحرين حيث لم تقنع بريطانيا بالهيمنة الاقتصادية والقضائية والسياسية على الجزيرة فقد هيمنت على التعليم وحصرت الوظائف بيد الاجانب الامر الذي دفع « الشباب » للتنديد بالوجود البريطاني والدعوة للتخلص منه (٧٩)

ومن البحرين الى المغرب العربي حيث القهر الفرنسي الذي « جلب الى البلاد نكبة وشر ، وجلب الى البلاد نكبة الاموال ونكبة الاخلاق ونكبة الخيانة فجعل فريقا من هذه الامة المسكينة الة هدم ما بقي في البلاد من ميراث السابقين من السلف الصالح» (٨٠).

وفي البصرة يحاول الطلبة التظاهر تأييدا للقضية الفلسطينية فتأمر السلطة الشرطة بمطاردتهم ارضاء لحكومة صاحب الجلالة في لندن الامر الذي دفع « الشباب » لشن حملة قاسية على مثل هذا الاجراء المدان (٨١) .

لن نطيل في تعداد مواقف الطالب واتجاهاته في مكافحة القهر والتسلط والاستعمار فقد اوردنا ما فيه الكفاية ، بقي

---

(٧٦) **المصدر السابق** ، ١٧ فبراير ١٩٣٧ .
(٧٧) **المصدر السابق** ، ١٦ يونيو ١٩٣٧ .
(٧٨) **المصدر السابق** ، ١٢ مايو ١٩٣٧ .
(٧٩) **المصدر السابق** ، ٦ اكتوبر ١٩٣٧ .
(٨٠) **المصدر السابق** ، ٢٤ اغسطس ١٩٣٨ .
(٨١) **المصدر السابق** ، ١٤ ديسمبر ١٩٣٨ .

Digitized by Birzeit University Library

ان نشير الى اطروحاته على الساحات العالمية التي لم يغفلها اطلاقا لاعتقاده ان قضايا الانسان واحدة وحقه في التحرر واحد في كل زوايا الارض ، يلتفت الى افريقيا فيهوله الاستعمار البريطاني ويصفه بقوله : « يسير الاستعمار البريطاني في العالم وكأنه السرطان الذي يمد شباكه في كل ناحية حوله · فاينما التفت الانسان في آسيا او افريقيا او غيرهما من القارات الفى لهذا السرطان اثرا يعمل لجر المغانم المالية ولو كان في جرها اذلال الناس وجوعهم وقتلهم·

ومثال كينيا يجب ان يكون ماثلا في جميع اذهان الاقطار المنكوبة بالاستعمار فان الاستعمار لا يعرف عهدا او ميثاقا وهو على اهبة الاستعداد لان ينكر باليسار ما خطته اليمين حين تلوح الفائدة والمغنم » (٨٢) ·

وخلاصة القول ان « الشورى » وابنتها « الشباب » كانتا مدرسة صحافية تسبح وحدهما · الصحافة في مفهوم الطاهر عمل نضالي ضد الاستعمار الخارجي والقهر الداخلي وليس عملا تجاريا اعلاميا · انه التزام بقضايا الامة على الصعيد القومي وبقضايا الشعوب على الصعيد الاممي في التطلع نحو التحرر والوحدة والتقدم ·

ان هذا الايمان جعل الطاهر فريدا في عمله ، وحيدا في مفهومه ، وبسبب ذلك لقي الاضطهاد والحرمان والفقر والحصار وايقاف دورياته ، ومع كل ذلك بقي صلبا كالرمح فلم يلن ، ولم يهادن الاستعمار ولا اذنابه ، وشاءت ظروف الحرب العالمية الثانية ان تتوقف الدوريات التي اصدرها تباعا عن الصدور بعد ان عجز الاستعمار واعوانه في المنطقة العربية عن لجم هذا القلم المناضل واسكات هذا الصوت المجلجل، لكن هذا القلم عاد الى الميدان عبر صحف شتى في المشرق العربي والمغرب العربي وحتى في المهاجر ، الى ان اختطفته يد المنون عام ١٩٧٤ · الا انه بقي في سجل الخالدين قلما شريفا واعيا ، قلما قوميا مناضلا ، فحق له ان يشار اليه بالبنان لصدق رؤيته ومضاء عزيمته ونقاوة ضميره ·

(٨٢) المصدر السابق ، ٨ سبتمبر ١٩٣٧ ·

Digitized by Birzeit University Library

كلافديا فيكترفنا عودة فاسيليفا

(كلثوم نصر عوده) *

في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٥ توفيت **كلثوم عوده** ، أول امرأة عربية تحمل درجة برفيسور في الاتحاد السوفييتي ، الاختصاصية الكبيرة في مجالات الادب واللغة العربية ، ويسميها المستشرقون « ام الاستعراب السوفييتي » ٠

كلثوم عوده ، وهذا هو اسمها الحقيقي ، استبدلت اسم كلثوم بتسمية روسيه ، قريبة من حيث اللفظ لاسمها : كلافديا ، ومع الكنية تصرفت بطريقة أبسط ، فترجمت اسم ابيها « نصر » الى الروسيه فيكترفنا ٠ ولدت **كلثوم عوده** في الثاني من نيسان ١٨٩٢، في مدينة الناصرة بفلسطين ، وبعد ان انهت المدرسة المحلية في الناصرة ، عام ١٩٠٠ ، قبلت للدراسة على حساب الحكومة في دار المعلمين التابعة للجمعية الارثوذكسية الفلسطينية الروسية ٠ وفي عام ١٩٠٨ أنهت دار المعلمين ، وعينت مدرسة في مدرسة الاناث في الناصرة ، حيث عملت حتى كانون الثاني ١٩١٤ ٠ وفي عام ١٩١٤ تزوجت **كلثوم عوده** من الطبيب الروسي **ايفان فاسيليف** ، وفي تموز من السنة نفسها رحلت معه الى روسيا ٠ وفي بداية الحرب العالمية الاولى أنهت دورة تمريض ، وذهبت للعمل في صربيا، ومن ثم في منطقة الجبل الاسود مع بعثة جمعية الصليب الاحمر السلافي ٠ وفي عام ١٩١٧ انتقلت مع زوجها الى أوكرانيا ، حيث استمرت في العمل كممرضة٠ وفي آب ١٩١٩ ساهمت فيحملة مكافحة وباء التيفوئيد ، حيث توفي زوجها بعد أن تلوث بالمرض ، وبقيت زوجته مع ثلاثة اطفال ٠

في عام ١٩٢٤ رحلت الى لينغراد ، حيث يقطن أقارب زوجها المتوفي ٠ وحتى عام ١٩٣٨ عملت في معهد اللغات الشرقية الحية ، تحت اشراف عضو

(*) ملحق خاص بمجلة « **شعوب آسيا وافريقيا** » موسكو ، العدد الثاني ، ١٩٦٦ ٠

Digitized by Birzeit University Library

اكاديمية العلوم ، ا · يو · **كراتشكوفسكي** · وبعد اغـــلاق هذا المعهد ، عـام ١٩٣٨ ، عملت في التدريس في جامعة لينغراد ·

أثناء الحرب الوطنية العظمى رحلت **كلثوم عوده** الى موسكو ، حيث بقيت الى آخر أيامها ، وعملت في معهد الاستشراق في موسكو ، منذ عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٥٤ ، وفيما بعد عملت في معاهد تعليمية أخرى في العاصمة السوفيتية ·

ولم تكن **كلثوم عوده** مدرسه للغة العربية الفصحى فحسب ، بل أيضا كانت تدرس اللهجات العربية ، ومن بينها اللهجة السوريـة ، وتعتبر مؤلفة الكتـب التعليمية للغة العربية ·

في عام ١٩٢٦ ، أصدرت « المختارات الابتدائية في اللغة العربية » ، الـذي اكتسب شهرة واسعة ، ليس فقط في الاتحـاد السوفييتي ، ولكن في الخـــارج أيضا · وفي عام ١٩٢٨ ــ ١٩٢٩ ظهر كتاب « نماذج من الأدب العربي المعاصر مع قاموس عربي ــ روسي»، وهو الكتاب الوحيد من نوعه، حتى الان، الذي صدر في الاتحاد السوفييتي · وبسبب ادراكها الحاجة الملحة للكتب التعليمية العربية للطلاب الذين يدرسون العربية ، فانها أصدرت ، عام ١٩٣٦ ، « كتاب اللغـة العربية » ، مع ملحق من النصوص العربية · وأصدرت ، عام ١٩٦٥ ، نمـاذج من النصوص بخط اليد ، مع قاموس عربي ــ روسي كملحق · وعـــام ١٩٥٧ أصدرت كتاب « أحرف الجر في اللغة العربية » ، وكتب مدرسية عديدة أخرى · كما نشرت مجموعة مقالات باللغة العربية مثل « معلومات أولية عن العرب فـي أسيا الوسطى وعن لهجاتهم » ، والذي نشر في مجلة « **الهلال** » المصرية عـــام ١٩٣٦ · وكذلك « حول تاريخ مشكلة اللغة في البلـــدان العربية » · وآخـــر أعمالها الذي لم ينجز كان كتاب « قواعد اللهجة السورية » · وكانت **كلثوم عوده** انسانه ذات أفق ابداعي واسع ، واختصاصية كبيرة في مجال الادب · حيـث كتبت « ملاحظات حول مؤلفـــات الكاتب المصري توفيق الحكيم » ، ومجموعـة مقالات عن الآدب اللبناني والسوري وأخرين ·

كما أن بعض أعمالها الادبية تتعلق بمسائل الاثنوغرافيا (علم الاجناس) ، حيث كتبت مقالا حول « انعكاس واقع المرأة العربية المعاصرة في الرواية » ، و « العادات المتعلقة بالجفاف عند العرب الفلسطينيين » و « العادات المتعلقـــة بالقبائل ، والتعامل مع المولود الجديد عند أهالي شمال فلسطين » ·

واهتمت **كلثوم عوده** كثيرا بنشر الادب العربـي في الاتحـاد السوفييتي ،

Digitized by Birzeit University Library

وكانت لا تكل ولا تتعب ، على صعيد التأليف وعلى صعيد التحرير وكتابة المقدمات للعديد من كتب القصة للكتاب العرب المعاصرين ، وبفضل حرصها وإخلاصها تعرف القارىء السوفييتي على كتاب القصة المصرية والسورية واللبنانية والعراقية ٠

ان **كلثوم عوده** ابنة الشعب العربي التي وجدت في روسيا وطنها الثاني ، زرعت في نفوس تلامذتها الكثيرين ، الشعور بالاحترام العميق للشعوب العربية ، وفي أعمال كافة تلاميذها ، هناك شيء من جهدها الكبير والعنيد ، وحبها الذي لا ينضب الى وطنها الام ٠

كما ان **كلثوم عوده** ، أحبت بعمق واخلاص ، وطنها الثاني الاتحاد السوفييتي ٠ ففي حزيران ١٩٢٧ شاركت في مسابقة أعلنتها مجلة « **الهلال** » المصرية حول موضوع « كيف يجب ان نعيش حتى نكون سعداء » ٠ وفي هذا المقال كتبت **كلثوم عوده** عن حياتها في الاتحاد السوفييتي ، وعن سعادة العمل المتحرر من الاستغلال ، ونالت الجائزة الاولى على مقالها هذا ٠ **كما ترجمت الى العربية كتاب « تانيا » للكاتب ليروف** ، عام ١٩٤٤ و « قصص عن لينين » للكاتب **كانونف** ٠ وترجمت البحث العلمي للاكاديمي **كراتشكوفسكي** «الشيخ الطنطاوي» عام ١٩٦٥ ٠ وعدى عن نشاطها التعليمي ـ العلمي ، والتأليف والترجمة ، فانها أعطت من جهدها الكثير للنشاط الاجتماعي ، حيث كانت عضو في هيئة الرئاسة لجمعية الصداقة العربية ـ السوفيتية ، وكانت تشارك في كافة المناسبات التي تحتفل بها البلدان العربية ٠

في عام ١٩٦٠ ، وتكريما لنشاطها التربوي الطويل ، منحت لقب بروفيسور ومنحتها الحكومة السوفيتية ، التي ثمنت عاليا خدماتها ، بمناسبة عيد ميلادها السبعين عام ١٩٦٢ ، وسام « شارة الشرف » ٠

لقد غادر هذه الدنيا انسان كبير وشجاع ، لقد كانت **كلثوم عوده** امرأة ذات روح نادرة ، وكان بيتها ، دائما عبارة عن « مكة » مميزة لكافة طلابها السابقين، وكل من يأتي اليها يدرك ، دوما ، بأنه سيلقى الاهتمام الكبير ، لانها كانت ، دائما ، تتفاعل مع أفراح وأحزان الانسان ، لقد أحبت الناس ، وأحبها الناس ، لانهم كانوا يدركون أنها ، دائما ، على استعداد لان تسمعهم باهتمام شديد ، وبالرغم من أعوامها الثلاثة والسبعين ، فان كلثوم عوده ظلت شابة بشكل مدهش ٠ وكانت تختزن المشاريع والخطط الابداعية في صدرها ، وكانت تنوي

Digitized by Birzeit University Library

كتابة مذكراتها لتستعرض الطريق الطويل الذي سارته الفتـــاة الصغيرة مـن الناصرة ، والتي بفضل جهدها العنيد أصبحت أول امـــرأة عربية تحمل لقـب بروفيسير في الاتحاد السوفييتي ٠

وفي ذاكرة طلابها العديدين ، وفي ذاكرة اولئك الذين تعرفوا عليها ، بشكل أو باخر ، تبقى **كلثوم عوده** مثالا للكادحة الكبيـرة الذكية والمحبـة للانسان ٠ وهؤلاء سيحملون طوال حياتهم ، الشكر الجزيل **لكلثوم عوده** ليس ، فقط ، على المعارف التي قدمتها بحماس ، ولكن ، ايضا ، لاخلاصها وصداقتها الكبيرة ٠

مجموعة من الرفاق التلاميذ

ترجمة ا ٠ ف٠

Digitized by Birzeit University Library

سنبيدكم واحداً.. واحداً! (*)

علي حسين خلف

مدت يدها تتعسس قاع الغرفة بحثا عن المفتاح فاصطدمت بحافة المد الخشبي · نهضت معتمدة عليه ، وسارت مع الجدار فارتطمت يدها بالمفتاح ، حيث كان معلقا في مسمار قرب الباب · كانت قد أحكمت اغلاق باب الحوش وباب الغرفة واحتضنته · كلما حاول التملص ضغطت على كاحل قدمه ، ومدت يدها الى فمه واغلقته ، وأوصته الا يرفع صوته حتى ولو خلعوا الباب · تململ قلقا وجلبة تتناهى الى مسمعه · أصوات الجنود واقدامهم وقرقعة ما ، تقرع باب الحوش والشباك ، وهما بين النافذة والباب يحبسان انفاسهما · انغلقت النافذة الخشبية نصفين كحبة جوز تحت كعب البندقية ، واطل وجه جندي محتقن ، وعرق رقبته منتفخ كحبل غسيل ، وقذف قنبلة دخانية · رائحة مقززة تداخلت مع دوائر السواد وام عيسى تمد يدها لتتعسس وجهه · كان يسعل وكأنه يغالب نوبة حادة للربو ، ورغبة في التقيء ·

عيسى يما !

بدا وكأنه نائم وجفناه لا يرفان · السخام يتجمع بقعا على جفنيه وحاجبيه ، ويغطي جزءا من خده المزرق وقميصه الابيض الطويل · غيمة من القلق تنهمر مطرا قاتما في صدرها ، وتتحول الى كتلة صلبة من المرارة الخائفة ، وبلحظة خاطفة رسمت مصيرها ·

– عيسى يما !

كان يئن ككومة من القش وهي تشقله الى صدرها ، وتهرع جذعة الى الزقاق · كتلتان من السواد تخبان في الرعب ، وجندي يهرول خلفها ، ويلكز كتفها بعصاه سائلا :

---

* مقطع من رواية « عصافير الشمال » · التي تصدر قريبا عن دار ابن خلدون ·

Digitized by Birzeit University Library

ـ الى اين يا امرأة ؟ تعالي !

تجمد الدم بعروق الجندي وتراجع ببطء شديد وحذر وهو يحملق بوجهها قرص من السواد تبرق داخله عينان حادتـــان · تساقطت العصا من يد الجندي واطلق ساقيه وهو يولول :

ـ بحق الشيطان من تكون ؟ اوه ·· يا الهي !

في ساحة المطحنة ، الشاحنات ما زالت متوقفة والجنود يوالون املائهـــا بالرجال والنساء · فوق كل شاحنة وقف جنديان لحراسة الموقوفين · وبجـوار الشاحنات وقفت سيارتا لاندروفر فارغتين · في المدخل تقف سيارة جيب وهـي اول ما يواجه الداخل الى الساحة · كان باب السيارة الى يمين السائق مفتوحا، ولاح منه وجه جندي منتفخ الاوداج ، يرفع يسراه الى الاعلى ، وبين حين وآخر يطلق رصاصة في الهواء ·

ـ اسمع يا خوي !

لم يلتفت ، وظل يمضغ لبانـــا ويحرك قدميه على قـــاع السيارة بخبطات متلاحقة ·

خذني الى المستشفى ·· الولد يموت !

تطلع نحوها باشمئزاز وجفل عندما وقع بصره على لطخات السّخام · كانت واحدة من الشاحنات تتحرك وتصدر دويـــا غطى على انين عيسى وصيحاتـه المخنوقة وتأوهاته · سعل بتشنج وجندي من الخلف ينغزها بعصاه ·

ـ اذهبي الى البيت !

ـ عيسى يموت

ـ دعيه يموت في المنزل

دقت على صدرها ووضعت ولدها على الكرسي بجوار السائق وهمـــت بالصعود · نترها الجندي الاخر وظل عيسى مغمض العينين ورأسه يتدلى الـى كتفه · سقطت على الارض وقبل ان تتمكن من النهوض ، امسك جنديان بها ، كل واحد بأبط ، وجراها الى الشاحنة وهي تنوح :

ـ يا تاج رأسي يا يما ·· ومنين اجيبك تاج رأسي ؟!

لطمها جندي على مؤخرة رأسها وصرخ :

ـ اخرسي يا امرأة ·· هذا ليس وقتا للغناء !

كانت تجوح والايدي تتراخى ولهاث الجنود يزفر فوق رأسها · دفرته برجلها

Digitized by Birzeit University Library

ووقفت · تناثرت خصلات شعرها الاشيب الاشعث ، والدمع يفتح ممرات خمرية في لطخات السخام · ركضت نحو الجيب وتدافع اثنان خلفها ، والجندي نو الوجه المنتفخ يتابع مضغ العلكة ويطلق رصاصة في الهواء ، بين حين وآخر .

ـ خذوه الى المستشفى

وضعت يدها على رفراف السيارة وتراخت تحت العصا التي طجت على كتفها · اطلقت زفرة مكتومة والسحب الرمادية تمرق فوق تعرجات الطريق الترابية والبساتين · كان الشفق قد نشر لونه الدموي على البيوت الطينية الواطئة ، حين دوت فرامل الشاحنة باتجاه الاسفلت ·

■ ■ ■

حلة من الوهج تنتضج على اطرافها مروج القمح ،
الازقة ممرات من الصمت ،
وساحة المطحنة جزيرة من الطمى المتكلس ·

هكذا كانت « عباد شمس » ظهرا ، دائرة وساق وتبدو من داخلها وكأنها قرية مهجورة ·

قبل بزوغ الشمس ، سرى العمال الى الاسفلت ، وفتحوا صدورهم للريح الغربية المشبعة برطوبة البحر · كانوا يحملون زواداتهم وغابوا بالتقسيط مع السيارات الذاهبة الى حيفا وتل ابيب · وعندما غاب اخر واحد منهم ، كانت ملامح المنازل الضبابية تندغم في لون الارض الداكن ·

الفلاحون خرجوا الى البساتين والحقول والحواكير ، وسرح الراعي مع قطيعه الى وادي ابو صرار ، وبدأت النسوة في تفقد شون الحطب واقنان الدجاج وتحضير الاكل · كانت القرية تخرج من تحت الندى ، وتجفف حيطانها في شمس صافية دافئة ·

■ ■ ■

عند تقاطع الاسفلت مع الشارع الترابي ، كان توفيق السعيد يأخذ طريقه الى المنزل ، ويدندن بأغنية « ع الاوف مشعل » · يقصف عودا من القمح ويفركه السبلة بين يديه ، فتنهرس بعض حباتها النيئة الرطبة · تراجع خطوة الى الخلف، وفتش بعيونه عن مكان يحميه ، فكانت صرخة الجندي وتوقف اللاندروفر أسرع منه ·

ـ تعال يا كلب !

قفز اربعة جنود من صندوق السيارة ولم يعد بمقدوره ان يختفي · غرس

Digitized by Birzeit University Library

اقدامه بالارض ، بلع ريقه وحاول ان يدخن وحزمة من شعاع الشمس تكومت في وجهه · عينان عسليتان تربض فوقهما حواجبه الكثيفة كأجمة من شجر الصنوبر · بين حاجبية تكاثفت ثنيات الغضب كأثلام الارض · تصلب انفه المخروطي وتلاصقت الارنبتان حول منخريه وفوق شنبه الاسود · تلاصقت شفتاه وارتعش الحنكان وهو يقضم اسنانه بحنق · كان الحصان مربوطا الى ساق شجرة الزيتون بجواره · صهل الحصان محاولا الافلات من مذوده ـ الشجرة ، فاطلق جندي رصاصة في الهواء ·

ـ حاسدينا على نتفة هاالارض !

قال توفيق السعيد ، وعجلات السيارة تطوي المسافة ويرتفع غبار الزوبعة · انحنى وتناول حجرا فزمجر الضابط من مقدمة السيارة :

ـ اذا لم ترم الحجر ·· اطلقنا النار !

حبات الزيتون السوداء والخضراء ، حين كانت تتساقط تحت عصي الفلاحين ، يهرع الاطفال ويملأ توفيق السعيد (حرجه) بأعتزاز ونشوة · جدوه ! فتساقط الحجر الى اثلام الارض ، ويداه تتحركان كفروع زيتونة بين العصي وصدور الجنود · ومن بعيد ، همس فلاح لزميله وهما يشاهدان المعركة:

ـ مسكين ! عندما اطلقوا النار ، ماذا اقول ؟ بصراحة ،
انت نفسك اختبأت فوق الشجرة ، فماذا
يفعل الحصان ؟ !

ضرب الارض بحافره ومد عنقه الى الاعلى وصهل بقوة · كانت بندقية العوزي تفتح فمها والحصان يمتد بعنقه الى فروع الزيتون ، محاولا التخلص من القيود والقفز الى اعلى · شخل دمه وسال من الرقبة الى الجسد المرقط وهوى بجوار الساق ، وظل يئن وتطفر من عينيه الدموع ·

عجلات السيارة تطوي المسافة وتوفيق السعيد يتراكض مترنحا خلف اللاندروفر · كانت يداه مقيدتان الى السيارة بحبل يمتد بضعة امتار · كلما اسرع السائق ارتطم رأسه بمؤخرة « اللاند » وانهالت عليه عصي الجنود الجالسين داخله · واذا ابطأت السيارة تحول ظهر توفيق السعيد الى كيس من الرمل تنهال عليه عصا جندي آخر ظل يركض خلفه ·

عجلات السيارة تطوي المسافة والارض تفوح برائحة الشمس رفع يده عن سبل القمح وغاصت قدماه في الطين والاعشاب · خار الثور في العريشة وتطلع مستفسرا :

Digitized by Birzeit University Library

ـ وبعدين يا عمي ؟ شو هالشغله ؟!

التقط ابو فارس حزمة من السبل واحاطوا بـــه ، والثور يجأر بـ « لا » طويلة .

ـ هذا الحيوان افسدوه ايضا ... سنرتاح منه !

قفز الى الخلف وسقط على ركبتيه وكائن مائة رطل هوت على كتفيه . جثا الثور وتحولت انـ « لا » الممدودة الى خوار باهت ظل يخبو حتى امتلأ فمه بتراب العريشة . نهض وفتح ذراعيه فتراجعوا خطوة أو يزيد . يلهث بصعوبة ويوالي فتح ذراعيه ، فيتطاير القمباز ويشكل مع جسده خيمة صغيرة ترفرف ، وعيون كموقد فحم تلمع بالشرر . قذفوه بقنبلة وكعمود من الطين سقط على الارض بين الدوائر اللولبية للدخان .

■■■

الشاحنات توقفت واحجار النرد مرمية على الساحة وامام الصالون بقعة دم لطخت صورة رجل يتنمطق بالمجاند والرصاص في صدر المحل . كان يحمل موس الحلاقة عندما لمحهم في المرآة . وجوه كأوكار الدبابات محفورة بالاغلفة الفارغة . زمجر الدفع فامتدت الهراوة الى باطن يده . التقطها في يســـراه ولوح بالموس في يمينه . صعدوا ظهره وظـــل كقوس الصيد مائلا بين الارض والسقف بين وقت الفراغ في الجاهلية ومقهى ارناؤوط .

■■■

جسد منتفخ كبغل ، وشاربان يرفان على جانبي فمه ، وقهقهة تتلاشى تحت نعال الجنود . كان على باب منزله يلوح للجنود مرحبا !

ـ سنبيدكم واحدا .. واحدا !

قال شرطي وهوى بالعصا . حملق ارناؤوط برعب واحس ان صدره التصق بظهره ، وان لسانه لا يقوى على توضيح المسألة . رفسه آخر على اذنه اليسرى فتدفق الدم الى الحذاء . انحنى الجندي وشد شعر رأسه وقـرب فمه الى نقطة الدم على الحذاء وقال :

ـ العق دمك ايها الوسخ !

كانوا يستبدلون شعر رأســـه بياقـــة القميص ولم تعد عباد شمس ملجأ للعصافير .

■■■

Digitized by Birzeit University Library

قمبازه يتطاير والجنود يركضون خلفه ·

عشرات الامتار تفصل بين جسده وهراواتهم ، ولتوه اغلق الدكان · قلبه كرفاص من الرعب يكبو ثم ينهض · وبينه وبين الموت قامة من الانتظار ·

دفش الباب بكل جســـده فاصبح في حوش الدار واحكم الرتاج · هو في الداخل وخلف الباب اصوات الجنود · عيونه تفر في كل الاتجاهات وترتد الى الجدار ظهره الى الحائط وخلف الباب تعلو الهراوات تطيح وتخلط الشتائم · ولولة الزوجة وبكى الاطفال ولم يعد يلحظ غير حرارة الشمس فيغمض عينيه ·

كسروا الباب واندفعوا الى الحوش ، وفي الازقــة تتساقط الحجارة وتقف النسوة خلف البوابات القديمة · مد يده مستنكرا وصرخ والاقدام تصعد فوقــه وتهرسه :

ـ سنقلع السنتكم حتى تتعلموا الصمت !

صرخت زوجته وتحول صراخها الى صوت مذبوح يجأر ، وتناثرت قطــع جرة الفخار وتنكة « الرصيع » والراديو ، وجميل وادي يفقد وعيه ·

تناثرت قطع العجين على الجدران والمسطبة واحمد منسي يحملق بدهشة ويده ما زالت ممسكة بطرحة الخبز · طوح بالطرحة وقفز من الحفرة الى الزلاقة وبيده الملقط · كان الفرن قد فرغ تماما مــن النسوة والصراخ ، وظلت هراوات الجنود تفترش الارض الترابية · ثلاثة من الجنود يتحفزون للانقضاض واحمد منسي يلوح بالملقط · دار دورتين وهــوى · دورة للنار والايدي وهي تتداخــل وتتلاحق ، ودورة للقنبلة المسيلة للدموع · ومن بين الاورام لمح خوذات الجنود، والدم يتدفق حارا من فمه وانفه ، وهم يسوقونه الى ساحة المطحنة ·

■ ■ ■

الجنود يقفزون من السيارات الى ساحـــة المطحنة ، ولتوه اغلق الدكان واندفعوا خلفه · تتوقف الشاحنات وتوفيق السعيد مــا زال يركض بين عصــا الجندي الذي يركض خلفه ، وبين عصي الجنود في سيارة اللاندروفر ·

بين الزقاق والذاكرة كتب في دفتر يومياته غلة الامس :

« على مائدة المرق الاسود يطهو الخنازير لحم الخنازير بدمنا · في الاسفل نحن ، وفوقنا الطوائف الشرقية ، وفوق الكل الاشكناز · هكذا يريدون تحويــل بلادنا الى عربة الريكشو الصينية ، الاشكناز يجلسون فوقها ونحــن والطوائف الشرقية وفقراء الجميع نجرهم الى الجنة أو النار » !

Digitized by Birzeit University Library

الطفلة ذات القبعة

جميل حتمل

● واقفة الى جانب كومة من الرمل الابيض ، ينرسم حزن على وجهها · حاول ان يبتسم عندما أطل من شباك الباص ، فابتسمت بأسى ·

عند مثل هذه الكومة الرملية البيضاء في شارع عريض ، وفي ليل خريفي بارد ، قال لها بحزم وهدوء :

– أحبك

فبكت ، وقبلها خلسة ، وطار من الفرح· مسحت دمعة مسرعة ، هز رأسه ومد أصابعه من الشباك مرسلا لها قبلة ، فابتسمت بأسى · نظر الى ساعته المكسورة الزجاج ، ثم الى وجهها الحزين · اشار لها بأن تذهب ، هزت رأسها رافضة بغضب· وعندما تحرك الباص أحس بقشعريرة مرة تسحق جسده ، وكانت تبكي ·

– لا تبك ·· أرجوك ·

قالها مرات · كانا يتشاجران بشدة ، يغضب ويشتم ، فتغضب وتصمت ، وتبكي أحيانا ، فيضمها الى صدره المرتجف ، ويصمت مداعبا شعرها الاسود القصير ·

وها هي تبتعد ، شيئا فشيئا تختفي ، وشيئا فشيئا يمتد هذا الذي اسمه الحزن اكثر في جسده المرتجف · أسند رأسه الى الزجاج وتابع الخط الاسفلتي المتلوي ·

حينما سمع صديقه يتشاجر مع الجيران بسبب وجوده ، تملكه وجع وخجل كبيران ·

لملم أوراقه وكتبه المتناثرة ، وخرج صامت مع الصديق ·

قال له :

– أين ستذهب ؟

فأجاب بغير حزم :

– الاماكن كثيرة ، وكان يعرف انه لن يجد مكانا معقولا ينام فيه تلك الليلة ·

منذ اسابيع لم يذهب الى منزله ، ولم يفاجأ حين عرف انهم داهموه · تخيل حزن أهله حينها · وتذكر أخته الصغيرة ، وكتبه التي لا بد أن تتناثر وهم يقلبون صفحاتها بقسوة ·

ومنذ اسابيع مكث في هذه الغرفة ، التي يغادرها حزينا وخجولا · واليها كانت تأتي فيهمس بغضب عندما تصل :

– لم تأتين ؟ ·

فتزعل ·

– قد تكونين مراقبة ·

– أدوخ اباهم ·

ترد بثقة وفرح طفولي ، فيضمها بقوة محاولا ان يضحك ·

وهو لا يعرف ايين سيذهب ، ولذا يتردد عندما قالوا له ستغادر المدينة الى قرية منزوية فكر بها وسألها ، فهمست بأسى مستسلم :

– الافضل أن تغادرها ··

وها هو يهتز مع تخبطات هذا الباص

Digitized by Birzeit University Library

الى جانبه تمتد صحف صفراء ، ورواية (أيام الجفاف) التي سرقتها له منذ ايام وكتبت عليها : (انها أيامنا ايضا) · قلب الصحف ببطء · مد يده الى الكتاب وانغمس في جو الرواية · حين انتهى تخيل شكلا للقرية التي سيصلها مشابهة لقرية الكتاب· فكر : « سأرسل لحيتي هنالك كما فعل بطل الرواية » ، وضحك مصمما ألا ينتحر مثله· وسيكتب · يكتب أشياء عدة ، ورسائل لها:

قالت له :

ـ سأشتري الصحف لك كل يوم ، كما كنت تفعل ·

وقالت له :

ـ وربما آتي اليك ايضا ·

« وأنا سأتي اليك ··· سأتي في كل لحظة » · تعالى صوت فيروز فجأة حارا وصاخبا · أحس أنه سيبكي فهمس لنفسه بخطابية :

ـ على الثوري ألا يكون رومانسيا ومتوترا الى هذا الحد ·

وضحك من نفسه ·

انتبه الى الاصوات المتعالية في الباص· ثلاث فتيات ، سمراوتين وشقراء ، يجلسن قرب المحرك ، فكر لو تستدير الشقراء ليرى وجهها كاملا ·

ـ مائة مرة قلت لك اترك هذه العادة السخيفة ·

كانت تصرخ به ، عندما تشرد عيناه ملاحقة أجساد الفتيات المختلفات ، يتظاهر بعدم السمع ، ويتابع التطلع ليغيظها ·

صوت فيروز ما زال منسابا تلا من الاشتياق ·

انطلقت فجأة بين المقاعد بصخب فتاة صغيرة ، تمنى أن تجلس أمامه ليحدثها عن اشجار ملونة ، وعصافير زرقاء · كانت ترتدي قبعة بيضاء من القش تهتز فوق رأسها ، وهي تتابع تحركها الصاخب بين المقاعد ·· ابتسم لها · قلب الصحف · اسند رأسه الى الشباك مرتاحا لرؤية الصغيرة ·

ـ بطاقتك الشخصية ·

هزته يد ، كان هنالك جسدان ينتصبان قاسيان أمامه ، وكان الباص واقفا تماما· من الشباك ، رأى سيارة رمادية تطل منها وجوه لا لون لها وأمامها وقف مسلح ·

ـ لا احملها ·

ـ هيا انزل اذن ···

هكذا قال أحد الجسدين ·

وقف ، الصحف ما تزال تحتل جزءا من المقعد ، حركوها بعصبية ، سقط كتاب (أيام الجفاف) على أرض الباص ، تطلع به · تطلع من الشباك ، خيط الاسفلت الرمادي كان ممتدا بدون حركة · حدق في وجوه الركاب التي تنظر باستغراب وصمت، كان صوت فيروز ما يزال منطلقا بحماس ·

ـ هيا تحرك ·

جاءه الصوت مرة ثانية ، بقسوة أكبر ·

تحرك خطوة لمح وجه الفتاة الصغيرة ذات القبعة البيضاء من القش ، يبتسم ·

ابتسم وهبط من الباص المتوقف ·

١ ـ ٦ ـ ١٩٧٨

Digitized by Birzeit University Library

الخنجر والعصفور

د. شوقي العمري

- ١ -

أحكي قصةَ عرسِ الموت
كانَ الخنجرُ عصفوراً
كالوترِ المقطوعِ بلا صوت

* * *

- ٢ -

أنا الذي يبيعُ روحهُ ،
بخصلةٍ من الشعاعِ والمطر
بطابعٍ عن النجومِ والقمر
بقطرةٍ من الدماءِ ،
في شريانِ مطبعة
تُعيدُ لي من البحارِ طائرَ السنونو
يا قصةَ الأحزانِ في حقيبةٍ مسافرة
قصائدي سحابةٌ مهاجرة

Digitized by Birzeit University Library

يجيءُ الصبحُ ،
دمعةٌ في القلبِ ،
دمعةٌ تمشي على سيقان
أوراقِ غابةِ النسيان
يجيءُ الصبحُ ،
ها هنا فراشةٌ مُلوّنة
تنداحُ في السكون
تسري كوردةِ الينبوعِ ،
في شقائقِ الجفون
حيرانةً تنسابُ في ظلالِ الصمتِ ،
ترتمي على الأفنان
يجيءُ الصبحُ ،
دمعةٌ في القلبِ ،
دمعةٌ تمشي على سيقان
أوراقِ غابةِ النسيان

* * *

يا أيها البعيدُ ،
انتَ قادمٌ من المنافي
تزورني عيناكَ كالندى ،
كالطيفِ في القوافي
يا أيها الاسيرَ ،
انتَ في هواجسي ،
عواطفي ،
ساعاتِ عمريَ الاخيرة

Digitized by Birzeit University Library

تجيءُ من ثلوجِ الغابةِ السوداءِ ،
بلبلاً ،
فراشةً ،
أسطورة
تَجيئُني عيناكَ زهرتينِ يا حبيبي
تجيئُني يداكَ نجمتينِ في صليبي
ممنوعةٌ رسائلي إليكَ يا مكسيمي
ممنوعةٌ قصائدي بلابلُ النسيمِ
ممنوعةٌ خواتمي ،
أساوري ،
ممنوعةٌ براعمُ النجومِ
يجيءُ الصبحُ ،
دمعةٌ في القلبِ ،
دمعةٌ تمشي على سيقان
أوراقِ غابةِ النسيان

* * *

- ٤ -

مصلوبٌ أنتَ على الثلجِ ،
ومصلوبٌ فميَ المصفودْ
لا خبرٌ يأتيني
لا نسمةُ نورٍ يا ولدي المعبودْ
كفّي في كفكَ
قلبي في قلبكَ
دمُنا مغروسٌ في جذعِ التين
نشربُ في كأسٍ واحدةٍ

Digitized by Birzeit University Library

خمرَ الليمون
وَطنُكَ وَطني
في شِرياني
وَطنُ الأوطانِ فلسطين

* * *

ـ ٥ ـ

سَئمتُ بَيعَ النارِ للجرادِ
سَئمتُ ان يظلَ العشقُ بيننا
وَطفلُنا الوحيدُ في الاصفادِ
سَئمتُ شالَ الوردِ في عينيكِ ،
لَوحةَ الأحزانِ في المزادِ
أيامَ كنتِ لي
وكنتِ موعدي ،
قيثارتي ،
ونجمةَ العذابِ في سهادي
أتذكرينْ ؟
أيامَ كنتِ موئلي ،
وصهوتي ،
وزادي
أيامَ كانَ الحبُ والهوى المنشودْ
أتذكرينَ في اللقاءِ الاولِ البعيدْ
قد كنتِ مثلَ شجرةِ البتولا
في الغابةِ العريانةِ الزرقاءِ ،
تقطفينَ قبلتي
ينامُ الليلُ في ضفائرِ النسائمِ العليلة
وخاتمي ،

Digitized by Birzeit University Library

رباطُنا المقدسُ الذي هَوَى
وَمات
أيامَ كنتِ زهرةَ الغابات
وتهمسينَ لي
في المسرحِ الكبير
حكايةَ السيَّاف
ويمتطي المحاربُ الجسور
في آخرِ المطاف
جيادَه النارية
يدٌ احسُّها على يدي
والصوتُ في الرماد
كالطعنة السرية

* * *

ـ ٦ ـ

أخافُ من غرابِ النارِ في السحائب
يا قصةَ الشراعِ في اغوارِ هذهِ المسارب
الموجةُ التي تُدمى ،
على الرمالِ والصخور
تأكُلها النسور
يموتُ في احشائِها الصياد
جراحُ قلبهِ ينهشُها الجراد
وطفليَ المثقوبُ في فوديهِ ،
في دمائهِ
يُطاولُ السماءَ ،
سيفُهُ على فمِ الثعالب

Digitized by Birzeit University Library

يُصارعُ الأنيابَ والمخالب
يُعطي قصائِدي
أوتارَ قلبهِ الحزينة
يا صاحبي
انّى أسيرُ فوق الخبزِ والنبيذِ ،
والاجراسِ ،
والمعاطفِ الخضراءِ في المدينه
أخافُ من غرابِ النارِ في السحائب
يا قصةَ الشراعِ في أغوارِ هذه المسارب

* * *

ـ ٧ ـ

الموتُ القادمُ يأتينا
في الكأسِ الأصفرِ ،
في الوترِ المكسور
ينطفىءُ القمرُ الفضيُّ على السور
يموتُ العصفور
يهوي البركانُ على مملكةِ القلبِ ،
ويكتسح الزلزال
شموعَ البرقِ وزهرَ الحور

* * *

ـ ٨ ـ

يا نديمي
خمرةٌ في ليلِ مصباحِ الزنابق
يشربُ الناطورُ يبكي

Digitized by Birzeit University Library

في شعابِ الكرمِ آثارُ الحرائق
آتياً كالمارد العملاقِ يحكي
في اباريقِ البغايا
ساعةٌ للموتِ في جرحِ المرايا
أيها الزاني
يموتُ السرُّ في جوفِ المنيَّة
كم على الدربِ،
من الاشواكِ آلافُ الضحايا
عندما تعبرُ في الجسرِ تراني
وأرى اكليلكَ الاسودَ يمضي
في ثواني
يسقطُ الموتُ على كلِ جدار
لا تراني
ذلك العمرَ الذي عشناهُ يذوي
طائرٌ حطَّ على الشبابيكِ،
وطار
في ثواني

* * *

- ٩ -

أيها الحاكي،
صناديقُ العجائب
تنسجُ الفرحةَ منديلَ غرائب
ايهِ يا اسطورةَ الحبِ التي كانت مَنارة
ساحرٌ،
أفعى على هذي البيادر

Digitized by Birzeit University Library

في كتابِ البحرِ أسماك"،
وحيتان"،
وسبّاح" مُغامر
يطلعُ الجني" من سقفِ المغارة
تحتَ شباكِ السنين
يعزفُ الموتَ على الناي الحزين
هذهِ الايامُ تهوي
لا تؤوب
وأنا وحدي دمي ينسابُ في قرصِ المغيب
خاطري المثلوبُ بين القلبِ سكين"،
وفي الطاحونِ أحلام" وأسرار" تطوف
أينما سرتُ على الشوكِ،
أزاهيري سحاباتُ الخريف

بوخارست / اغسطس / ١٩٧٩

Digitized by Birzeit University Library

تنشط اللعبة فوق الخشبة

محمود علي السعيد

تنشط اللعبة' فوق الخشبه
شارع' الموت من النقطة للنقطة
والقبلة للقبلة
قطرة الماء الى فصل المطر
شمعة في الريح ترقص'
غرسة في الشمس تنمو
شارة في الصدر عاشت
رعشة الصمت
ونعش' القصبه
تنشط اللعبة فوق الخشبه

• • •

جثة' الوردة من شكل تجسّد'
قامة الرمح الدمشقيّ
من خيط تشع حرارة' الكلمات
من لون تشبّ
حرائق' الشجن الفلسطينيّ
من شكل
ومن لون
ومن خيط

Digitized by Birzeit University Library

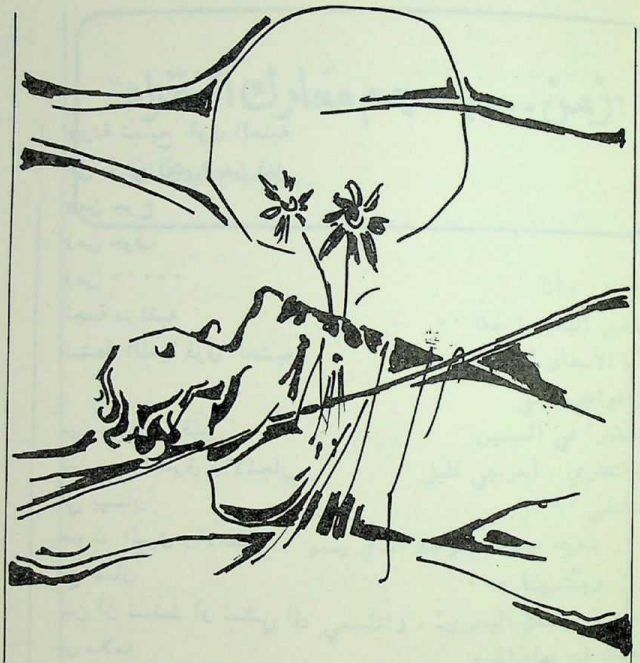

ومن .....
تنشط اللعبة فوق الخشبه

...

شفرة' الحربِ
وريش' الطيرِ
رقصة' الموت ونبض الشجره
رعشة' الفلاح في القفص الحديديّ
فرحة' الشمسِ على جرح القصيدةِ

Digitized by Birzeit University Library

وردة تُذبحُ فوق الحلبه
كل ما في الشرق من قتل
ومن جوع
ومن خوف
ومن .....
نجمة مرتقبه
تنشط اللعبة فوق الخشبه

...

بين بيروت وقلبي
بين ريح الشرق والاشجارِ
في بيسانَ
صوتِ البرق والامطارِ
في عمانَ
بين أن نسقط أو نمشي الى
بر سلامه
فكرة مغتصبه
أخلصوا الموقف للكلمةِ
أخلصوا الموقف للطلقةِ
أخلصوا الموقف للجرحِ الفلسطينيَ
للجرح الجنوبيَ
للجرح الذي
يطرقُ الابواب من نجرانَ حتى العقبه
تنشط اللعبة خلف الخشبه

Digitized by Birzeit University Library

"زمن ... بحجم معارك الفقراء"

عصام ترشحاني

.... وأنا
سفير البحر يا عكا ..
أنا الأسفار أنقاضي
وأمواجي التي
تخضرّ في العينينِ
فانتشري ، أخرجي لليلِ
فالمنفى ..
يُعيد صياغة الوجع الذي ينمو
ويُشبهنا ...
أعيدي نبضك البحريَّ ، واتّسعي
نحبك في بهاء الموجِ
في عرش الصنوبرِ
والمواويل التي
تنداح في الأضلاع والقلبينِ
فاتّصلي بنا ...
الأسماء تنضجُ ،
واللغات تجيء بالاسرار
يتّحد الردى بالحب ،
والوقت المحاصرُ

Digitized by Birzeit University Library

يُخلع الأسوار ....

× ×

ذهبوا الى دمها ...
وأعطوني كفاف دمي ..
لم يسمعوا نبضي المبطن باحتفالات المطر ..
لم يسمعوا صوتي
ولم يتبيَّنوا الوعد الذي
يزكو على جوعين في المنفى
أنا المنفى ..
أقول الماء عنواني اليها
النار قافيتي ..
والخبز صاعقة القصيدة
والوداع حنينها ....
ذهبوا وأعطوني الدفاتر ،
والمناديل الوفيةَ ، والوصايا ..
فانتفضتُ على مدايَ ،
سمعتُ قُبرتينِ
تنتحبان في رأسي
وتقتتلانِ
ـ ذاكرتي تحنّ الى
شظايا البرتقالِ ، ـ
سمعتُ أغنيتينِ
تنفجران في صمتي
وفي لغتي ...
وتلتقيان بالاشجار والانهار ،

Digitized by Birzeit University Library

ـ ذاكرتي تودّعني
وتغسلني من الظلماتِ ـ
.....
.....
هم صعدوا مدينة نومها ...
ناموا على يدها
واستيقظوا في حلم قنبلتينِ
فانفجرت ...
جذور الحلم
والتحم الندى بالدم
واشتعل الصدى ..
ـ بالبرق ينهمر الصدى ـ
وأنا على أبوابها
'أهدي الى السحب الجديدةِ
وردتين وقبلتينِ
أنا وذاكرتي
نعودُ من الغيابِ
رصاصة وحمامتينِ
أنا ابتعدتُ
ولم يعد جرحي ..
تنامى في ذراها غابة
وامتدّ من دمها
الى غدها ...
جرحي لهُ ..
شكل السنابلِ
والقرنفل والضحى ..

Digitized by Birzeit University Library

جرحي له ..
زمن بحجم معارك الفقراءِ
من عصر الرمادِ
الى ...
بدايات الخيانة والحصارِ
أنا اقتربتُ ،
ولم يزل جرحي يسيرُ ،
الآن تتصل الحرائق بالحنينِ
الآن تبتكر العلاقة مجدَ خالقها
فأزجي ..
من لهيب عيونها
قمر البشارة والغناء ..
وأمُرّ في
طيّات صورتها
فتقطفني ..
أميراً للندى والكبرياء ...

× ×

من أين أعلن شهوتي ؟
من ظل هذا العشبِ
في عينيكِ
أم ... من شرفة الحلم الذي
سرق انتشاري
من أين أبدأ ؟
قلتِ لي : ـ
حدّق حبيبي في دمي

Digitized by Birzeit University Library

حدّق حبيبي
في خلاياي الجميلة
وافتتح فرحي ..
هنا قمرانِ
يكتنزان موسيقا
ويرتعشان في صدري
هنا الجسد الذي
تمشي الى دمه
هنا الدنيا ..
وفوضى الماء والكلمات والازهار
قلتُ ،
ـ أخاف من وَلهي عليكِ ـ
ومن جهات يديك أبدأ ،
من حدودِ تجاوري .. أمضي
الى الحلم المؤبدِ في اكتمالكِ
... ...
أيها الشجر الذي
رسم انتحار الليلِ
واستلقى على جبلِ الندى
وحدي أنا
في قمتي معها
وحدي أنا في قمتي معها ...

١٩٧٧/٤/١٨

Digitized by Birzeit University Library

السنديانة

مؤيد عثمان البحش

الاهـداء
الى سنديانه تأويني عند الضعف
الى أخي أبو سلمى ... المعلم

لك كل ما في القلب
من عشق ومن وجع
احبك ...
ام تراني اكره الاوجاع ؟
ام .... ؟
ويقال ان العشق
يكبر خطوة عند الوداع
ولهفة عند الضياع
والف جيل لحظة الاقلاع
من شفة تراود احرف المدن
الكئيبة
عن دماي
الى بلاد ليس تطلبها خطاي
.. اتيت من وجعي
اراود فيك اسرار المدينة
غير منتظر من الحلم المدجج
بالجراح

Digitized by Birzeit University Library

سواى
يأتي من طفولته يفك الحرف لاسم
قد تداخلت الحروف الابجدية
فيه
فهو جميعها في العشق والاوجاع
كل لسانها في القول
كل ترابها في النار
وهو جريحها المفقود
اغلاهم . واجملهم ...
يعود ...
فتستوي الاسماء
في الحلم الموحد غير مفردة
من الاوجاع للعشق المعمد
بالتراب
من المياه ... الى الخراب ...
ومن ... ؟؟

★ ★ ★

احبك
هل ارى وطني بهذا الحب ؟
ام في نخوة الاوجاع
ام ...
امتد اسئلة .. دما .. وطنا
فما عاصرت وجهك مرة
الا وكان الليل
يكشف سره لاعنّة الفرسان

Digitized by Birzeit University Library

يوغل في غبار الليل
يرشق لحمه عند الحصار
متمتما .....
شاهت وجوه بني القتيلة
طوبى لهذا الليل
من عشق ، ومن وجع
فلا عانقت منك سوى ازدهار
النار .
في لغة القبيلة
طوبى لوجهك في ليالي القصف
ذاكرة لاحزان المدينة
من تضاريس القذيفة في الجراح
الى نزيف الرمل والاطفال
والدم والغبار
طوبى لوجهك موغلا في الموت
اسئلة
وفي الارض انتظار

★ ★ ★

بوركت من وجع
احبك ...
اي شيء يحضر الفرسان عند القتل ؟
وجهك ام صهيل الخيل
ام ... ؟
من اين ابدأ فيك سر العشق ؟
من حرف على جدر الزنازن

Digitized by Birzeit University Library

مشبع بالقهر
ام من شهقة في غرفة التعذيب
ام من طلقة يأوى اليها القلب
او يرتادها عند الرحيل
من اين ابدأ فيك هذا العشق ؟
من وجعي ... ؟
وهل وجعي دليل
من اين ابدأ فيك سر العشق ؟
آويني اليك
فأنت في قلبي ازدحام الارض
في لحمي التراب
وفي التراب السنديانة انت
من حيفا الى رحم الجليل

* * *

سم التراب اذن
باسماء الصغار وسمه وجعي
له الاسماء
من وطني الى اقصى المضارب
في مدى الصحراء
سم النار سر الروح
تمطر في الصخور العشب
تبعث في الرماد الخصب
تعصف في ليالي القصف
تروي هامة الشهداء
سم النار ذاكرة التراب ،

Digitized by Birzeit University Library

السنديانة .
سمها وجعي
وبأسمك انت تزدحم الحروف الابجدية
فهو هذا العشق ... هذي النار
من وجع ، ومن وطن يجاسدني
احبك فيه فاتحة لهذا العشق
او امتد اسئلة
فهذا انت
ام وطني ؟
تمثل لي بهيئة فارس من رفقة القسّام
يأويني اليه
فباطل جسدي
وباطلة دماي
بغير فرع السنديانة منك
او وطني .

Digitized by Birzeit University Library

أيها الأقاليم إعلن العصيان

امجد ناصر

« الى ناهض حتر »

أسئلة مقترحة

ما الذي ينبغي قوله
يا أيها الفتى البدوي :
للأرض التي نعرف فطرها قبيل الرعد
ونعرف كبوات خيولها ،
ورائحة قراها ، الجافة في العشيات
للمدينة المتكئة على أضلاعنا السبعة
وللأصدقاء وهم يصفطون ،

- مناشف الوجه
- ماكنات الحلاقة
- خصلات الشعر المعطرة ،

في حقائب المغادرة
وأيضا ما الذي ينبغي قوله
يا ناهض حتّر
للأشجار ،
وهي تمر مسرعة في الصور
الملتقطة من الريف
لزوجة النقابي « موسى قويدر » ،

Digitized by Birzeit University Library

وهي تسأل عن فداحة الاضراب
لعشائر النعيمات ،
والحويطات ،
وبني صخر ،
والمجالي ،
وبني حسن ،
و ...
و ...
و و و و و
أليست عشائرنا
هي تلك الطالعة من البحر الميت ؟
أوليست أغصاننا ، تلك المتهدلة
على جثة الرمل ؟؟

اختيار

ما تبقى لنا
هو هذا الخصاص ،
الضيق ، المتطاول ،
أم تلك الشاهدة !
أيهما نختار ؟
ان مئة ألف بندقية ،
مصوبة نحو الجبل
مئة ألف كتف ،
مئة ألف زناد ،

...

تثاءب الملك السميد

Digitized by Birzeit University Library

في مخدعه الوثير ،
مسح فمه المنفرج
وقال كلمة مبتلة بلعاب الشهوة
كلمة واحدة ،
دوت أثرها مئة ألف طلقة
وانتشرت مئة ألف دائرة دخان

• • •

... ولم يهوِ الجبل

• • •

أيها الاقليم أعلن العصيان

لنقترب من بعضنا البعض
فرائحة الانسان ـ حتى جثته ـ
أكثر انعاشا من رخام الشاهدة ..
هذه يدي ،
طرقات لعبور الخيل المنتسبة ،
الى « السليك ابن السلكة »
وهي ما تزال صالحة للمصافحة ..
وهذه يدي الأخرى
معبر لشفرات العصر
والظلال الطامحة الى التجسيد ،
ولمّا تزل ، متوهجة كالجمرة
في البر الوحيد .

• • •

لنقترب من بعضنا البعض

Digitized by Birzeit University Library

قبل أن تشتد سوافي الفوسفات
على أرضنا الخفيضة ،
وتمحي آثار الابل ،
ذات السنام الواحد ·
لنقترب من بعضنا ،
ولنفكر باحتمالات :
المطر ،
الأرض المستصلحة ،
المحاريث ،
الزرائب ،
اتحاد الفلاحين
قناة الغور الشرقية
السماد الكيماوي
وقبل أن نخرج غداراتنا ،
ذوات الطلقة الواحدة ،
من حظائر الماشية ،
علينا أن نفكر :
هل هبَّت رياح الشعب ؟

· · ·

اذن ،
أيها الاقليم اعلن العصيان ·

Digitized by Birzeit University Library

كتب

قراءة نقدية
"لجدل الشعر والثورة"

« هذا الكتاب يضم قصة الاحداث التي مرت بانسان فرد ، بما فيها أهواؤه وحسراته ومواقفه العلمية التي اتخذها ازاء الموت ، ومخاوفه وأمراضه وآماله واسباب اعتزاره ومعتقداته .. ويكونون مع ذلك ماديين وماديين ديالكتيكيين ، أيضا . ان قصائد هؤلاء الاخيرين أصبحت ملكا للجماهير » .

ناظم حكمت
في مقدمة أعماله الشعرية

« أيها الشعراء لا تتحدثوا عن الوردة .. دعوها تتفتح في قصائدكم » .

بابلو نيرودا

كتب ناقد انجليزي مرة ، متبرما من حالة النقد في زمانه ، يقول : « لا غرابة في ان يكون العسل قليلا اذا كان نحلنا النقدي لا يغامر بالذهاب نحو الحقول البعيدة ولا يحوم عاليا » ، تصبح عبارة الناقد الانجليزي ترفا واشفاقا متعاليا ، حين يكون المرء بصدد الحديث عن نقدنا الادبي الحديث ، لدينا اشياء كثيرة يمكن قولها غير « قلة العسل » ليس أقلها الهجانة والمحاباة وتنحية الحقيقة .

في كل مرة تثار أزمة النقد ننزلق نحو سياق تجريدي ، وتروغ من قبضتنا الازمة نفسها ، متجسدة في كتابات نقدية تؤرخ لنفسها ، وكأنها النقد البكر ، متخطية ، بجسارة فائقة ولا مسؤولة ، نتاج الخبرة النقدية في العالم ، ومسوغة هذا « التخطي» ، تارة بتدني مستوى التلقي لدى قرائنا ... وتارة لا تجد نفسها مسوغة او بحاجة لتسويغ أي شيء ... لانها تغرف حريتها من جهالتها .

هنا يبلغ حذر التعميم أقصاه ، لذا يجدر بنا ان نشير الى مسألتين اساسيتين حول الظاهرة النقدية في ثقافتنا المعاصرة .

Digitized by Birzeit University Library

اولاهما : النقد الجاد ، الباحث عن موقع اصيل في موروث النقد الادبي
نقد متغرب ، مهمل ، ومتهم بالتعالي عن المرحله وعن الذائقه العامة للناس ..
تلك الذائقه المفسدة ، والذي صيغت بنفس الادوات التي صيغت بها الثقافة السائدة
برمتها .

وثانيهما : ان النقد « الاجتماعي » لا الادبي ، والاني لا الكاشف عن قيم
فنية باقية ، يغمر مكتباتنا وصفحاتنا . وبتراكمه السهل وتملقه للذائقة (المفسدة)
يساهم في طرد النقد الجاد ودحره الى زوايا المكتبات وخارج وعي القراء .

في المسافة الحرجة بين الحدث والشهادة تطفو ، كالفطر ، صيحات مدخرة
لتقول كل شيء دفعة واحدة ... ثم لا تقول شيئا على الاطلاق ، الشعر هو
النوع الادبي الاكثر استجابة ... تلك مقولة حظيت بمرونة ومطاطية اتسعت
لاستيعاب الخطبة والنكتة الساذجة ، وجعلت من الشعر خلخلة مازوشية مؤلمة
للضرس المنكوب ، ربما لان الشعر اداته وقماشته الكلام .. وسيلتنا جميعا
للتواصل .. ربما لهذا السبب ، وحده ، كان دائما الفن الاكثر عرضة لسوء
الفهم والتفاهم ، في آن ، وأفرز هذا كله نوعا من النقد الذي يجاري ويؤثر
السلامة واللامغامرة .. ينحني ليلتقط ما تيسر من المعنى المبذول ، ويسرف
في تبعيته للنص ، يلوذ به ، يفككه « نثرا » على هواه :

في غياب قارىء يتساءل ، يقارن بذاكرة مضاءة .. تكون حرية الكائن
الموهومة قد بلغت ذروتها ، حيث لا أحد يحاسب او يعاتب حتى ...

لقدمتنا صلة بحكاية النقد العربي اليوم ، الذي يزدري النص من حيث يظن
انه يباركه ، الشكل ـ المضمون علاقة جدلية في المقدمات النظرية وفي مداخل
الدواوين ، بينما فصلهما أسهل من قشر برتقالة ، في التطبيق ، ما من شاعر في
العالم يشكو من عدم اعانة النقد له كشاعرنا العربي المعاصر ... هذا كله بقليل
عن الظاهرة النقدية في الوطن العربي بعامة ... فماذا عن الرافد الفلسطيني في
هذا النهر ... ؟

هنا تكون الاجابة أكثر تعقيدا ، وعلينا ان نفحص المنجز الشعري الفلسطيني
نفسه أولا ، وهذا ليس من هدفنا في هذه المقالة ... قيض للشعر الفلسطيني
من النقاد العرب من دلله وقتله حبا ، وهؤلاء اذ يحتضنون الطائر يكسرون
البيض ، فقد وجد النقد العربي في الابداع الفلسطيني (مطهرا) يتخلص
بواسطته ، من احساس مقيم بالاثم ، بالقصور وما شابه ، يقول ناقد عربي عن
شعر المقاومة : « انه عصي على الدراسة ويستحيل تفكيكه » . والبعض ذهب

Digitized by Birzeit University Library

بعيدا حد الايحاء بأن الرافد هو النهر كله ... وان كانوا جميعا قد نكصوا دفعة واحدة ، وأخذوا يراجعون بموضوعية ابداع الفلسطينيين ، وأية موضوعية تلك التي تقيم أقصى ردود الفعل ؟؟

جدل الشعر والثورة ، للناقد **نزيه أبو نضال** أثار لدينا ملاحظات من الصعب كبح تداعياتها .. هذا الثالوث اللغوي يتفجر بطاقة حركية لا مثيل لها ... الشعر والجدل والثورة ، يضعنا العنوان في مواجهة السؤال التقليدي : علاقة الشعر بالثورة ، فعله وانفعاله ... دور الكلمة في التغيير ، وما الى ذلك من التفريعات الاخرى ...

سنتوقف قليلا عند المصطلح ، اذا كان شعر المقاومة أو الشعر المقاتل قد وجد من اعترض على تسميته بهذا الاسم ، قبل عدة أعوام ، بأن المصطلح لم يستقر بعد ، يرى **جبرا ابراهيم جبرا** ، في كتابه « النار والجوهر » ، ان شعر المقاومة هو ما يكتبه المقاومون أنفسهم ، ويضرب مثالا **كامو** ، في كتاباته في جريدة « **كومبا** » ، ابان الاحتلال النازي لفرنسا .

في الفصل الاول من الكتاب يجد الناقد « أبو نضال » أن للشعر الفلسطيني جذورا في التراث العربي ، ويعرض بهاجس تأصيلي أمثلة عديدة من شعر الحرب في الجاهلية، أو شعر أيام العرب، كما يقال عن حروب القبائل العربية في الماضي، ويحشد الامثلة من شعراء المعلقات ومن الشعراء الصعاليك وشعر عصر الفتوحات الاسلامية ... الخ . ولا يلتفت الناقد لاختلاف طبيعة المقاومة او المجابهة لهذه الفئات ، وتعبيرها الشعري عن مجابهاتها ربما لم يكن من هدف هذا الفصل أن يتقصى انعكاسات هذا الاختلاف في طبيعة المقاومة .. ضد من ؟ ولماذا ؟ واحساسها بالعدالة منبثقا من طبيعة المرحلة التاريخية ، ووعيها لفكرة « العداء » ، التي تتولد منها ، بالضرورة ، عملية المجابهة ، ان في الواقع أو في الفن ، نصل في النهاية الى « فلطحة » للمصطلح ، تضيع حدوده ومعالمه .

ان منهج الكاتب ، في الفصل الاول ، يقدم لنا شريحة من الكتاب سنرى أن الفصول اللاحقة تحمل كل خصائصها ، فهو معني ، بالدرجة الاولى ، بالتجميع ، حشد الامثلة عن كل ما له علاقة لفظية مباشرة بالحرب وانواع الاسلحة ، واعتراضا على منهج الكاتب لا ينطلق من هذه الملاحظة حسب ، وانما من اهماله للجانب الفني ، الذي يكسب هذا النوع الادبي أو ذاك هويته الخاصة ، خصوصا اذا سلمنا بأن المضمون وحده لا يصنع شعرا .

ان النتيجة القصوى المتوقعة لهذا المنهج هي اهمال (فنية القصيدة) ،

Digitized by Birzeit University Library

اعمال عناصرها : الايقاع ـ التشكيل ـ البناء ـ الزمن الشعري ـ الصورة . لا غرابة اذن أن ينتهي الناقد الى جداول احصائية يصنف في ضوئها انتماءات الشعراء الفلسطينيين للثورة والطبقة .

انه يمر بقضايا تستأهل نقاشا مطولا ، وينتهي الى آراء خاصة ، تستهدف التعميم دون ارتكازات مقنعة للقارىء ـ على سبيل المثال آراؤه في الشاعرين **المتنبي وأبي فراس** ـ فهو يرى أن **المتنبي** حقق درجة عالية من الاندماج بين ذات الشاعر والممدوح والمعركة والقضية ، الا أنه ـ **المتنبي** ـ ظل في اطار المديح ، ليس ثمة متسع لمناقشة هذه المسألة هنا ، وان كان لا بد من الاشارة الى ان الدراسات الحديثة حول شخصية **المتنبي** تخلص الى أن مدائحه **لسيف الدولة** هي مدائح من طراز خاص ... انها وثيقة الصلة بسيكولوجية الشاعر **المتنبي** وتفرده من بعض النواحي في هذا الغرض ، انها مدائح لذاته هو (لسيف دولته الذي يقبع في أعماق لا وعيه ...) ان **سيف الدولة** ، هو **المتنبي** ، متجاوزا احباطاته ومصعدا حتى أقصاه ، انها ممكنات البطل ، لا البطل نفسه ... وأخيرا ، فان المعركة ، كما **سيف الدولة** ، أدوات لديه لبلوغ تطابق مخذول .

ان ولع الناقد بحشد معلومات مدرسية ، صرفة أحيانا ، حول الشعر والقضية يدفعه الى ايراد كل ما يعرفه ويعرفه القارىء أيضا ، من كتب عديدة ـ نجدها في هوامش الكتاب ـ من أبيات تتوفر على فلسطين (المفردة العارية) أو الاستعمار (المفردة المعلنة) . وهكذا نجد القارىء في كتاب **أحمد سليمان الأحمد** « الشعر العربي والقضية الفلسطينية » كثيرا من النماذج المعادة ... ويود قارىء الكتاب لو أن المؤلف آثر التحليل والمقارنة وفحص الظاهرة ، على التجميع « الخام » ذاك الذي وفرته كتب عديدة ، كما أشرنا .

المقاومة ـ الشعر

في الفصل الثاني من الكتاب ـ الشعر الفلسطيني في مواجهة الغزو والانتداب ـ يقدم لنا الناقد مقارنة بين نماذج من الشعر الفلسطيني ـ **القيسي** ، **وبسيسو** ، **وعبد الرحيم عمر** ، وغيرهم ـ وبهدف تجميع قدر ممكن من المادة تضيع فرصة المعاينة ... لنأخذ مثالين :

أولا : في قصيدة بنلوب **لعبد الرحيم عمر** ، استلهام للاسطورة اليونانية المعروفة بهذا الاسم ... الناقد يكتفي باخراج المعنى ، الدلالة الراكدة للاسطورة نفسها ، لا تهمه قدرة الشاعر على هضم الاسطورة وعصرنتها ، بقدر ما يهمه المعنى المباشر الشائع خارج القصيدة .

Digitized by Birzeit University Library

ثانيا : لدى مقارنته بين نموذجين **لمعين بسيسو ومحمد القيسي** يتوصل الى أن **القيسي** واهن الانتماء ، ضعيف الالتزام ذلك لانه يقول :

ولو أن الطريق اليك ميسور ... الخ .

هذا ، برأينا ، تكليف باهظ للشعر والشعراء ، على السواء ، ألأن القيسي ، مثلا ، يرى أن الطريق الى الوطن صعب ، يدمي القدمين والروح ، يصبح فقير الالتزام والاصرار على العودة ؟

هنا تثار المسألة كلها حول شعر المقاومة ، مجددا ، منحيان : أحدهما يضيق فعل المقاومة ، حتى ليقصره على حجم (الفوهة) ، وآخر يبحث عن الانبثاق الانساني للمقاومة ، وتجلياتها المختلفة على كل الانشطة الانسانية ، ان نقدا يتعالى عن الشك والحزن ولحظات الضعف الانساني وتفاصيل العيش هو نقد يطعن بالنبل البشري لهذه الانفعالات ... انه نقد يبالغ ويوهم ، يعد بما لا يستطيع الشعر ، كنشاط بشري وأرضي ، أن يفي به . أن التضخم المبالغ به لدور الكلمة قد أجهز على حيز الفعل أو كاد ، المقاومة ، أساسا ، فعل انساني بالغ التوتر والاهتياج ، في أوج الفرح نلمح ذلك الشيء الحزين النبيل في حزنه ... وفي أوج الحزن يلوح لنا فرح مؤجل . شعر المقاومة ، اذن ، هو شعر الحياة نفسها ، نشيدها في مواجهة الموت وأسبابه ، هكذا يجد الحب عذبه ، والخوف عنفه ، والشك عنفه ، أيضا . كما يجد كل شيء نبضه ، وقد ارتفع معلنا الحياة .

الناقد ينحاز لكل ما هو مباشر في العبارة الشعرية وقاموس الشعر المقاوم، انه ، بمعنى آخر ، يبحث عن النثر في الشعر ، ويهمل الصورة ، كبديل أجمل وأسمى للتعبير المباشر ، حيث تتحول التسمية والتصريح بالانفعالات الى كثافة شعرية للتجربة الحية ... ومزاوجة خلاقة بين أشياء العالم .

يلاحظ القارىء لهذا الكتاب ان الناقد (**ابو نضال**) يبني سياجا حول الشعر الفلسطيني ، يعزله ويبتدع له مقاييس جديدة ، ليست شعرية في معظم الاحوال ... انه لا يقارن بين قصيدة فلسطينية تسقط رمزا تاريخيا أو تستوحي اسطورة بمحاولات سابقة في الشعر العربي الحديث ـ على سبيل المثال قصائد **مي صايغ** عن (صقر قريش) ، و**عبد الرحيم عمر** ـ (بنلوب) ، والرمز التاريخي لدى **أبو خالد ودحبور** . الشعر الفلسطيني يتبادل التأثير مع تيارات الشعر العربي الحديث ، أكثر من ذلك تغذى على انجازاتها في أعلى نماذجه .

يؤكد ملاحظتنا حول عزل الناقد للشعر الفلسطيني تلك الاحكام العامة عن

Digitized by Birzeit University Library

ظاهرة **أدونيس ـ حاوي** ... رغم مابين الشاعرين من فروق تصل حد الجوهر.

او بنعته لتيارات رائدة في الحداثة بأنها تيارات السأم والعبث ، الخ التسميات السياسية السهلة والمربكة .

يلاحظ ، أيضا ، أن الكاتب قد يقدم فكرة في موقع من الكتاب ويعارضها في موقع آخر . على سبيل المثال :

يرى ، في الفصل الخامس من الكتاب ، أن الاتجاه الى الاساطير والرموز اليونانية نوع من التغريب التراثي ، فيما سبق له وأن استخلص معنى مباشرا ، رضي عنه في قصيدة بنلوب **لعبد الرحيم عمر** .

ان آراءه في استخدام الاسطورة اليونانية ـ الاجنبية عموما ـ لا تخلو من تعميم ، وتقفز عن منجزات نقدية في المنهج الاسطوري ، **ليفي شتراوس ونوثروب فراي** وغيرهم ، فالاسطورة ليست ، هي الاخرى ، ذات هوية قومية محددة الحواف ، لها منابع قابعة خلف الجميع ... لهذا ألا يجد الناقد أن تكرار الاسطورة الواحدة بأشكال مختلفة في جميع الحضارات ، أمر يستحق المناقشة.

وهو ، اذ يحصر استخدام الاسطورة الغربية في تيار مناقض للاتجاه العروبي (**أدونيس** ، **انسي الحاج** ، **ويوسف الخال**) ، لا يفطن الى ان **السياب** ، بنماذجه المبكرة ، كان مؤسسا في هذا الاتجاه وهو خارج نطاق التيار الذي يحشره الناقد في خانة ضيقة للغاية ... ليس **السياب** ، فقط . **لعبد الوهاب البياتي** ديوان كامل (الكتابة على الطين) يستوحي الاسطورة البابلية .

ان الناقد ، بحكم تمحوره حول العبارة المباشرة في القصيدة ، يرى ان سبب التغريب في استخدام الاسطورة (اليونانية) هو أن القارىء لا يعرف **ميدوزا** أو **سيزيف** ... بينما يعرف جيدا **عمرين الخطاب وعنترة** ... الخ . انه يفترض ان الاسطورة تأتي الى القصيدة عبر عنوانها ـ اسمها فقط ، وكأنها مجرد تعريفات لاسماء أجنبية . .

وانسجاما مع نظرية البحث عن النثر في الشعر يريد من القصيدة أن تذكرنا بما تعرف . أن تكرسنا ، أليس هناك **رموز** من التراث العربي أقل شيوعا من الاسماء الطافية على ذاكرة الناس ؟ أليس جهل القارىء العربي بهذه الرموز المنزوية في قاع التاريخ لا يقل عن جهله **بميدوزا** وشقيقاتها اليونانيات . انه يذكرنا بما قاله **مارك دورين** : « الشعر يجب ان يكون ممتعا للشعب ، واذا لم يجده الشعب كذلك ، فلعل الذنب ذنبه ، فقد نسي كيف يقرأ ، فالشعب ، لا الشاعر ، هو الذي فقد الصلة بالتراث » .

Digitized by Birzeit University Library

يعيدنا الناقد ، مرة أخرى ، الى الشعر ـ المقاومة ، حين يقول : « في تعامل الشعر الفلسطيني مع الرموز الاسطورية لا يوجد مكان للهموم الذاتية ، ولكنه مرتبط بقضايا الوطن والجماهير » ·

خلت في البداية أن الناقد يشير الى شيء يماثل ما سماه ـ **اليوت** ـ المعادل الموضوعي ، أو ما سماه **كيتس** ـ من قبل ، الهروب من الذاتية ··· لكن القرائن جميعها أملت علي اعادة التفسير ·· ان الغاء الهم الذاتي ، كما نفهم من السياق ، ياتي بمثابة الاندغام في المجموع ، التخلي المطلق عن الفرادة ، واخيرا التخلي عن كل خصوصية ممكنة في تجربة المبدع · هذا الانزلاق ، مرة اخرى ، نحو التجريد يلغي حقيقة ان المجموع ليس ، في النهاية ، سوى هذه الاحاد المتناغمة ، والتي يقوم الفن بجرح ايقاعاتها ·

ليس من السهل علينا مناقشة كل القضايا التي تجدر مناقشتها في هذا الكتاب ، لهذا سنحاول تلخيص بعضها في النقاط التالية :

١ ـ الشكل الفني لا يأخذ من كتاب يقع في مائتين وخمسين صفحة سوى عشرين صفحة ، وهذه مسألة لها دلالتها الواضحة ، فالنقد المضموني سيجد نفسه وقد تخلى عن الشعر في حين يدرسه ، وبهذا يكون قد تخلى ، ايضا ، عن (جدليته) المبتغاة ·

٢ ـ يرى في ما يسميه شعر الفقرة ، وهو يقصد ما يسمى عروضيا (التدوير) ، فقرا في الايقاع وانحدارا نحو النثرية ، لان القافية تختفي في المقطع الشعري الطويل ـ يضرب مثلا فقرة من قصيدة **لأحمد دحبور** ـ وهو لا يبحث في الدوافع النفسية التي تستدعي هذا الشكل (التدوير) ولا البدائل الايقاعية التي يقدمها هذا النمط الشعري ·

٣ ـ يؤاخي بين نصوص مستلة من سياقات متغايرة ، بهدف توكيد فكرة ما لديه ، وهو لا يجد حائلا دون دمج نصوص من **أدونيس وعز الدين اسماعيل والنويهي** ··· الخ ·

٤ ـ ان التصنيف الطبقي والانتمائي للثورة يكون معياره الوحيد وشاح من المفردات المعينة ، كالجوع والفقر والثورة والمخيم ··· الخ · هذا **التصنيف** يؤدي ، في النهاية ، الى استنتاجات لا تخلو من طرافة : ··· **مي صايغ** تصبح غير قادرة على الفكاك من بورجوازتها ، لانها تكرر مفردة الزهور وأنواعها ، عددا معينا من المرات ·· فالزهور بالمعيار الواقعي (الصرف) نبات بورجوازي لانه لا يؤكل · ان بوسع شاعر سيء النية يستطيع ان ينظم خريطة بمفردات

Digitized by Birzeit University Library

الجوع والعذاب والموت والاسلحة ، وعلينا أن نتخيل سلالا مليئة بمفردات « الوشاح الفلسطيني » الشائع في الشعر فيما تزدحم سلال الحياة بتفاصيل الحياة كلها ، التي هي وليمة الفن بامتياز ·

قد يسأل القارىء ·· لماذا هذا التقصد في عرض سلبيات كتاب نقدي ·· نقول بدورنا أن ايجابية كتاب ما هي بقدر ما يثير من المشكلات ··· والشعر الفلسطيني ، هذا الغزير النادر في أيامنا ، ينبغي أن لا يعيش بفضل الشرر حسب ، عليه أن يشارك في الفضل ، أن يرى ، يحدس ، ويخرج من دائرة الصدى ، ان كان خليقا باسمه ، وخير من يعينه على هذا الهم العالي هو النقد حين يكون ابداعا بطريقته · الشعر الفلسطيني في بعض نماذجه قطع شوطا ـ أما النقد فعليه ان يجد مبتدأه ···

خيري منصور

Digitized by Birzeit University Library

كتاب أفلت من مؤلفه المنهج وأشياء اخرى *

الفكرة لدى المثاليين حقيقة تترجم ذاتها عيانيا في الواقع ، وتمتلك قوة دفع الاشياء وتوظيفها في عملية التجسيد هذه ، التي تسقط البعد الزمني من سيرورتها ، وتخرج من اطار المكان بقدر ما تطال العام انسانيا. وهي سياسيا جغرافيا محددة ، ويؤخذ عليها في هذه الحالة قصورها وضيق افق واضعها .

اما الفكرة لدى الماديين ، فهي حلم مشروع ، امكانية تحققه العملي مرهونة بالمكان والزمان البشريين ، ليست مطلقة ، لان أدواتها كثيرة التقلب سلبا أو ايجابا بالشرط المحيط (الموضوعي) ، استجابة او نقضا له ، وهي في السياسة برنامج يلبي حاجات اجتماعية محددة في المكان والزمان ، شكله حلقة ليست مغلقة ،وتترابط مع ما قبلها في التاريخ ، بالتكرس منه عيانيا في المجتمع ، وتؤسس في الحاضر باتجاهين ، حصيلة او انجازات تتطلبها حاجات اجتماعية ملحة في الحاضر ،وترسخ في الآن ذاته جذور الآتي . وكما قلنا ليست مطلقة ابدا ، وأي اطلاق لها يفقدها ميزتها، ويضعها في الموقع الموازي (المثالية) .

الثورة كفكرة ، أو كحلم ممكن التحقيق، نراها سياسيا ، ومن تجارب التاريخ ،تندرج في الشق الثاني من المدخل . وهي كمشروع، حلم نخبة في المجتمع ، منه وبه وله ، وهي كفعل ، ممارسة اجتماعية متحدة او متعارضة تبعا لعلاقات المجتمع الداخلية ، وعلاقاته بالمحيط ، وهي في كل الحالات مشروع تغيير يتحقق وفق درجة التناقض الاجتماعي ووعيه العام ، ويسقط مشروع النخبة ، او ينجح ، تبعا لدرجة تعبيره عن الحاجات الاجتماعية الراهنة والمستقبلية ، ولا تلغي احداهما الاخرى ، لكن التأسيس العملي للمشروع يبدأ من الاولى(الاستقطاب) ويقتضي هذا من النخبة معرفة ودراية واسعة بالحاجات الاجتماعية المحددة في المكان والزمان ، وبعلاقات المجتمع التي تربط بنيانه انطلاقا من حاجاته ، هذا في اطار جهد النخبة،التي تبدأ ترجمة مشروعها في تنظيم يضمها كنخبة ما ، رافعة ومثال . فهي رافعة بمقدار رسوخها الاجتماعي ،وهي مثال بعلاقاتها فيما بينها اولا ، وبالمجتمع ثانيا ، وتتراكب هاتان الحالتان بحيث يصعب بينها الفصل . وكما يقول العامة في معرض نقد تنظيمات النخبة . اذا كانت سليبا (اذا بين بعضهم هيك ، كيف مع الناس) . والمجتمع ليس افرادا معزولين . لكن ليس منظما على شاكلة وحدات الجيش القتالية ، وهو يتنظم بالضرورة اجتماعيا ، دون ان يلغي فرادة التفرد . وان كان يعارض شططها (الجنون ، والشذوذ) ،وهو أعجز من منع تأثيرها ، لكنه قادر على الحد منها في المكان ، لكنها تعمل ضده في الزمان ، والنخبة في المجتمع تمايز لحظة

(*) سميح سماره . العمل الشيوعي في فلسطين ـ الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية . بيروت، دار الفارابي ١٩٧٩.

Digitized by Birzeit University Library

ما تستوعب النخبة تمايزها الآني ومسافته الاجتماعية ، بقدر ما تبتعد عن الانغلاق تنظيميا ، والانقلابية سياسيا ..

في هذا الاطار المحدد من العلاقات التراكبية ، والمتفاعلة جدليا ، تنبني سيرورة المشروع السياسي في المجتمع ، التي تبدو في التاريخ ، وليس تمايزا مطلقا . وبقدر اكثر تركيزا في الحزب ، لذا عندما يدرس تاريخ حزب سياسي ، لا يمكن دراستها الا بما هي تاريخ مجتمع ، وعند محاكمة تجربة حزب ما ، يقتضي النظر اليها بالحجم الذي كان الحزب فيه تعبيرا اجتماعيا ، لا بقدر تمنياتنا او تمنيات أفراده . فعندما نقول حزب الطبقة العاملة، يعني التعبير السياسي عن فعلها التحتي في الصراع الطبقي ، وعندما لا تكون هذه الطبقة قائمة الا في اذهان النخبة ، يصبح الحديث عن مهام حزبها قبض ريح ، ايضا حين نتحدث عن طبقة بورجوازية في المجتمع ، ومهام ديمقراطية وطنية ،يفترض ان تكون هذه الطبقة سائدة اقلها في الانتاج . والا اصبح الحديث عنها وعن مهامها كالحديث عن الطير الابابيل وحجارتها . والتاريخ لا يجري وفق تمنياتنا ، بل وفق شروط المجتمع الخاصة وبفعله ، اما الانتصار الحاسم للقضايا التي اعلنها البيان فقد كان ماركس ينتظره من تطور الطبقة العاملة الذهني الذي سينتج بالضرورة من النشاط المشترك والمناقشة . اذ تستطيع الاحداث وتعاقب الانتصارات والانحدارات ، والانحدارات تستطيع اكثر بكثير من الانتصارات ان تشعر المناضلين بعجز وصفاتهم السحرية التي طالما اتكلوا عليها وذلك ما سيقودهم الى الادراك العميق للشروط الحقيقية للتحرر العمالي ... فبروليتاريا ١٨٧٤ ، مختلفة كليا عن بروليتاريا ١٩٦٤ - انجلز ، مقدمة البيان الشيوعي ١٨٩٠ ، .

لكن صديقنا سميح سمارة ، تمسك ، بل تشبث بوصفته السحرية ، وحاكم بموجبها التجربة الشيوعية في فلسطين تحت عنوان العمل الشيوعي في فلسطين - الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية - صادر عن دار الفارابي في بيروت ١٩٧٩ .

احلال التمنيات محل التاريخ :

قدم للكتاب اميل حبيبي ، الذي عامل البحث جادا ، منطلقا في تعامله مع الكتاب كمن يقيم حزبا سياسيا ، فسجل له الحسنات ، وناقشه في السلبيات ، وقد قال حبيبي في التقديم : « أهم ما يميز هذه الدراسة هي محاولة واضعها ، محاولة صادقة ، ولكنها فاشلة - مع الاسف ، . وينتقل حبيبي ليعدد سلبيات البحث ، ليتعارض كليا مع استنتاجات سمارة ،الذي يرى في بحثه ان العمل الشيوعي العربي - اليهودي المشترك هو الخطأ القاتل الذي وقعت فيه الحركة الشيوعية في فلسطين ، بينما يعارضه حبيبي معارضة كاملة . وكلا الموقفين قابلان للحوار لانهما موضوعان سياسيان . ما زالا يقلقان حاضرنا ، لان تعقيد القضية الفلسطينية عبر ما قطعت من مسارات ، اصعب من ان يجاب عليه ببساطة ويسر العمليات الحسابية . وقد وجد سمارة في بحثه يسرا ان يعتبر الوجود اليهودي في فلسطين بالكامل « مشروعا كولونياليا » ، ويستطيع الاستناد على ماركس لاثبات ذلك « لقد تحولت بريطانيا بالكامل الى امة ظالمة - ماركس انجلز عن الاستعمار » ، بينما عارضه حبيبي من منطلق « وحدة البروليتاريا الاممية » . ورد عليه سمارة في مقدمة اخرى ردا على المقدمة بلؤم ، فلم يقل بشكل فج ان حبيبي يزور التاريخ « في الحديث عن حكاية الاقلية والاكثرية في العصبة » . بل اشار الى وثائق الحزب الشيوعي الاردني ، وأوردها في نهاية الكتاب على شكل ملاحق ، وتحكي تلك الوثائق حكاية الاقلية والاكثرية

Digitized by Birzeit University Library

التي نفاها حبيبي في تقديمه لكتاب سمارة. ولن ندخل طرفا ثالثا في السجال ، بل سنحاول تسجيل ملاحظات منهجية بحته على البحث الذي أعده سمارة عن تاريخ الحزب الشيوعي الفلسطيني ، معتمدين على المنهج المادي في كتابة التاريخ . الذي يقول ان تاريخ اي شعب هو من صنعه نفسه ، ونضالات أي طبقة هي نضالاتها لا نضالات أولياء أمورها .

ملاحظات منهجية اولية على البحث :

١ ـ ينطلق الكاتب من افتراضات مسبقة الصنع ، ونشتم ذلك من الصفحة الاولى في الفصل الثاني ، حيث يقول : « في هذا المناخ ، الذي شكل مقدمات التحقق العملي للمشروع الكولونيالي في فلسطين ، ظهرت سنة ١٩١٩ القوتان الرئيسيتان اللتان ستقودان الحركة الجماهيرية العادية للمشروع : الحركة الوطنية الفلسطينية التي شهدنا في الفصل السابق حيثيات نشأتها . ثم الحركة الشيوعية في فلسطين». ففي قوله « ستقودان الحركة الجماهيرية » ، مع كل ما بين يديه من وثائق عن تاريخ القضية الفلسطينية وتاريخ الحزب الشيوعي ، التي تؤكد ان الحزب الشيوعي بالكاد استطاع الاعلان عن وجوده ، فكيف يفترض سمارة قيادة الحزب الشيوعي للجماهير . لكن ، بما ان سمارة قرر ادانة التجربة بشكل مسبق ، توجب عليه ان يوكل للحزب الشيوعي دورا لم يتمكن الحزب من ممارسته « لاسباب موضوعية وذاتية الموضوعي فيها قاهر » ، ليتوصل سمارة الى الاستنتاج الذي يبدو انه قد وضعه في باله قبل البدء بالبحث ، وهذه الحالة ، ليست جديدة ، بل هي ظاهرة رافقت تشكل الظواهر الماركسية في المنطقة العربية المعارضة للاحزاب « الشيوعية الرسمية » ، ولم يكن في ذلك باحثا ، بل كان معارضا ، يبحث عن تبرير لماركسية خارج الحزب التقليدي ، ولا نعارض حقه في ذلك ، لكن هذا يجب ان لا يوظف مبررا لوضع البحث والتاريخ خارج ما تحقق منه ، اذ يصبح ، في هذه الحالة ، تحريضا سياسيا ، وليس بحثا تاريخيا. وتكثر في البحث استشهادات تبدو انتقائية هادفة ، لكني اعتقد ان سببها الاضافي ، عدا ما تقدم ، هو الوثائق التي اعتمدها سمارة دون ان يميز بين ما هو منها مدون كاثبات لحدث تاريخي ، وبين ما اعد منها ليستخدم في اعمال التحريض السياسي . وقد اخطأ في ذلك كباحث . والامثلة في البحث كثيرة .

٢ ـ تعامله في البحث مع المصطلحات جاء خارج معنى هذه المصطلحات ومدلولاتها في المفاهيم المادية . ووقع في جملة من المغالطات ، على سبيل المثال ، ناقش سمارة في الصفحة ١٩٥ من بحثه ، الفقرة الخامسة من برنامج الحزب الشيوعي الفلسطيني التي تتحدث عن اشكال النضال التي حددتها الفقرة بشكلين ، رئيسي وثانوي ، وراح صديقنا سمارة ليفسر الثانوي بالسلبي ، وهو يقصد من ذلك تقليل قيمته ، فأعطى بذلك معنى آخر للرئيسي بمعنى الايجابي ، وللحق لم يقل ذلك بالحرف ، لكن تفسيره بصيغة بخسة للاول ، يدل على ما يقصده من الثاني ، ونود ان نوضح للصديق سمارة ، ان كل اشكال النضال الثانوية والرئيسية من موقع المعارضة والتناقض هي نضالات سلبية ، والنضالات الايجابية هي نضالات ادوات المشروع وهي قائمة في كل حزب او دولة بأدواتها ، ولا تعني حدة في التناقض كما قصد من تفسيره . مثال آخر ، لا يسعنا الا ايراده ، وكي نشير الى نقطة الضعف في استخدام المصطلحات نورد الفقرة التالية : « نذكر هنا ـ كما مر معنا ـ ان الحزب الشيوعي الفلسطيني كان قد حصل في الانتخابات الماضية سنة ١٩٢٥ على ستة مقاعد بحيث عكس ذلك

Digitized by Birzeit University Library

محاولته السابقة في اقامة التوازن بين شيوعيته وبين خروجه من قلب المجتمع الصهيوني . لكن الان وبعد كل هذا الاختلاف والتغير في خط الحزب الايديولوجي والتغيير في خط الحزب الايديولوجي والسياسي ... ، نتوقف قليلا هنا عند كلمة التغيير في الخط الاديولوجي . ونذكر ان سمارة يتحدث عن حزب شيوعي ، يتبنى اديولوجيا واحدة وحيدة هي اديولوجيا الطبقة العاملة ، كما حددها مؤسسو ومنظرو الفكر الشيوعي ، فهل بالاعلان عن الاستعداد لممارسة استقطاب العناصر العربية في صفوف الحزب ، كف الحزب عن ان يكون حزبا يتبنى الاديولوجيا العمالية ، اي بمعنى كف عن ان يكون حزبا شيوعيا ،واذا كان الامر كذلك ، أصبح حزب أي طبقة ، الا اذا كان سمارة يقصد ان الطبقة العاملة هي العرب ككل ، والبرجوازية هم اليهود ككل ، ولا أظنه قصد ذلك ، فهو يعرف ان الطبقات تترتب وفق علاقات العمل لا الجغرافيا والعرق ، لكنه اخطأ من حيث لا يقصد ، « والطريق الى الجحيم مبلطة بالنوايا الطيبة » . أيضا الامثلة كثيرة على ضحالة استخدام سمارة للمصطلحات ، وسبب ذلك في رأيي ، التسرع في اعداد البحث ، لانه على ما يبدو احب ان يقدم نفسه على غلاف كتاب ، لا ان يقدم تاريخ الحزب الشيوعي الفلسطيني في كتاب . يمكن الاطالة في استعراض الاخطاء المنهجية التي وقع فيها الباحث ، لكني لست في معرض استعراض كامل الاخطاء ، بل في معرض الاشارة الى الاتجاه المتسرع في تناول الاشياء ، فقليلا من الصبر والاناة وطول النفس .

نسيت ان اشير الى ان الكتاب شغل ٣٦٧ صفحة من ضمنها الفهرس ، مقسمة على سبعة فصول ميوبة ، والمادة الاساسية في البحث هي الاستشهادات التي تشغل مساحة اكثر من ٧٥٪ من البحث ، اكتفى الباحث بالتعليق والربط بينها ودفعها بشكل استفزازي لتأكيد فرضياته التي قد نحاور بها يوما ما ، اذا اراد .

احمد شاهين

Digitized by Birzeit University Library

• رسالة من محمد الاشمر عن كتاب سميح سمارة

فاجأتنا دار الفارابي ، ذات السمعة التقدمية ، باصدار كتاب لسميح سمارة ، كنا نتمنى الا « تقترف » طباعته ، وحمل الكتاب عنوان «العمل الشيوعي في فلسطين»·

ومنذ البداية ظننت أن ثمة مبدأ للعمل الشيوعي في مواجهة مبدأ « العمل العبري » الذي ابتدعه الصهاينة ، بهدف منع العمال العرب الفلسطينيين من الاشتغال في المؤسسات والمصانع والمزارع اليهودية · لكنني سرعان ما تبينت ان الامر يتعلق بنشاط الحزب الشيوعي الفلسطيني ، خلال فترة الاحتلال البريطاني ·

وسرعان ما وقعت عيناي ، بعد العنوان. على اسم اميل حبيبي ، حيث نسب اليه التقديم المثبت في أولى صفحات هذا الكتاب· وما أن قرأت التقديم حتى استهجنت اقدام دار الفارابي على نشر الكتاب بعد الخطايا التي أمسك حبيبي المؤلف متلبسا باقترافها· ويبدو أن المؤلف أراد ان يستثمر اسم حبيبي ، فثبته على الغلاف ، ربما لانه « يبيع » . وذلك على الرغم من أن تقديم حبيبي كان أحرى أن يسمى « تأخيرا » ·

فحبيبي يأخذ على سمارة أنه « تعامل مع المراجع الرجعية ، وحتى الصهيونية ، بالمستوى الذي تعامل فيه مع المصادر الشيوعية التقدمية · فكان لا بد أن يقع في أخطاء فاحشة · وقد وقع » (ص ٦) · وفي الصفحة نفسها يشير حبيبي الى أن أهم « ما يميز هذا الدراسة هي محاولة واضعها ، محاولة صادقة ولكنها فاشلة ـ مع الاسف ـ الاستفادة من التجربة الغنية وباهظة الثمن التي يحتويها تاريخ الحزب الشيوعي الفلسطيني لمصلحة النضال ، في الوقت الحاضر وفي المستقبل ، من أجل حل القضية الفلسطينية حلا عادلا » ·

وفي الصفحة التالية يؤكد اميل حبيبي أن « مأساة سميح سمارة (ومن قبله مأساتنا) أن حرقته على ما اصاب شعبه من نكبات أو هتافة في المقابر الماضي ـ « ألم يكن من الممكن تغيير مسار التاريخ ؟ » ـ جعلته يحمل العامل الذاتي اكثر مما يحتمل ، وجعلته يعزل المقولة الذاتية عن المقولة الموضوعية ، عزلا تعسفيا · ولولا ما في هذا الخطأ من اساءة الى ضرورات النفس الطويل في الكفاح ـ وأيضا في الوقت الحاضر ـ ولولا ما فيه من تهاون عن المجرمين الحقيقيين ، وما فيه من تفريغ للتجربة من كنوزها الثمينة . لكنا اكتفينا باحالة سميح سمارة على حكمتنا الشعبية. ذات الديالكتيكية العفوية . أن : « **هيك مزبطة بدها هيك ختم** » ·

وهذا الذي قاله اميل حبيبي لا يصنفه ضمن سلبيات الكتاب· اذ ينتقل الى الحديث عن السلبيات ، فيقسمها الى (١) سلبيات

Digitized by Birzeit University Library

(اخطاء) في الاستنتاجات ، (٢) وسلبيات (اخطاء) في التفاصيل ·

وتحت العنوان الاول يقول حبيبي :

١ ـ « انه يعتقد (سمارة) أن الشيوعيين في فلسطين قد أخطأوا في محاولاتهم المستمرة أن يفصلوا الجماهير اليهودية عن قيادتها الصهيونية وعن المشروع الكولونيالي الصهيوني نفسه، وفي اعتمادهم على الصراع الطبقي داخل المجتمع اليهودي نفسه ، لتطويره في اتجاه الصراع ضد الاستعمار من أجل تحرير فلسطين واستقلالها ». وبعد أن يدلل حبيبي على مقولته هذه بجملة استشهادات من سمارة ، يقول « وهكذا ، وقع سميح سمارة ، دون أن يدري، في شرك المفاهيم الصهيونية نفسها ، التي يدعي أصحابها أن الصهيونية والجماهير اليهودية هي أمر واحد ، وينشرون في العالم الفرية القذرة عن أن كفاحنا ضد الصهيونية هو كفاح (لا سامي) ضد اليهود » · ويرجع اميل حبيبي وقوع سمارة في هذا الشرك الى « انه تأثر ، باستنتاجاته هذه، بالمراجع الصهيونية ، التي اعتمد عليها اعتمادا مذهلا في بحثه ، وخصوصا اعتماده شبه الشامل على كتاب ا· جريسامير (الشيوعيون الاسرائيليون) ، الذي صدر في باريس بالفرنسية في العام ١٩٧٨ ، بالاضافة الى أنه كان مؤهلا ، كما يبدو ، بآرائه المسبقة، الى قبول هذه الفرية الصهيونية » .

٢ ـ « ... ان سميح سمارة يعتقد ـ وهذا هو استنتاجه « العام » ـ أن الحزب الشيوعي الفلسطيني ، برفضه التخلي عن دوره في داخل المجتمع اليهودي ، قد فوت على نفسه (وبالتالي على قضية التحرر الوطني الفلسطينية) فرصا تاريخية وحاسمة كان عليها ، لو لم تفوت ، أن تغير مسار الاحداث في فلسطين » .

ويشير حبيبي الى ما نوه به سمارة من نواقص حركة عز الدين القسام ، الى أن يقول سمارة « وعلى أي حال من الظ مطالبة الحركة القسامية بكل ذلك (أي بتلافي النواقص) · لكن المؤشر الاساس الذي تحمله أنها تولت طرح شعارا وأشكال نضال القوى السياسية الوحيد المؤهلة لقيادة هذا النضال الجماهيري نح النصر ، في حين ان هذه القوى (أي الحرك الشيوعية) كانت لم تزل مشغولة بصياغ بنيتها · ومن هذا الموقع ، بالضبط ، ولد كارثة فلسطين » · هنا يصرخ أميل حبيبي بكل سخرية « أما حكي » !

وبعد أن يشيد حبيبي بجهود العديد من الشبان التقدميين الفلسطينيين في دراسة التجربة الشيوعية الفلسطينية ، يقول : « والان ، نجابه ، في كتاب سميح سمارة، عملا قد يؤدي ، ولو عن غير قصد ، الى سد منفذ الضوء الوحيد ، المخرج الوحيد ، الذي تتلمسه الاجيال الشابة الفلسطينية مخرجا من الديماس المظلم الضيق الذي حشرتها فيه الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية » ·

ويعد حبيبي ، بدون تأكيد ، أن يرد تفصيليا ، فيما بعد « على (صينية القفراء) هذه ، التي يريد سميح سمارة أن يقدمها الينا على طبق كتابه المنمق بالمراجع ، ويكتفي المفكر التقدمي الفلسطيني اميل حبيبي بايراد بعض الردود التي يعتبرها اساسية ·

« اولا ـ ... اننا منعنا ـ نحن الشيوعيين الفلسطينيين ـ من تحمل أية مسؤولية في تقرير مصير القضية الفلسطينية، وفي مراحل هذه القضية ، حتى ولا المشاركة في تحمل أي قسط من هذه المسؤولية· وسميح سمارة يذكر هذه الحقيقة في العديد من صفحات كتابه » · ويرد اميل حبيبي على قول سمارة هنا بأننا « لم نتهرب بل ، على العكس، (استقتلنا) في محاولة ان نتحملها أو أن نشارك، على الاقل ، في تحملها...

Digitized by Birzeit University Library

« ثانيا ـ ليس من الضروري ، ولا من الصحيح في تبرير اتجاه الحركة الوطنية، في مرحلة معينة، الى النضال المسلح تخطئة حزبها الشيوعي على انه لم يلتجيء الى النضال المسلح في مرحلة سابقة من المراحل. كما انه ليس صحيحا، بالمرة ، أن الشيوعيين هم (القوى السياسية الوحيدة المؤهلة لقيادة الجماهير في نضال مسلح) . ففي الثورة الجزائرية ، مثلا ، ظهر أن قوى أخرى مؤهلة أيضا ، في مراحل معينة. وقد انتصرت هذه الثورة ... ومع العلم بأن الشيوعيين الفلسطينيين قد شاركوا في ثورة ١٩٣٦ ، بقدر ما أتيح لهم ذلك وهذا ما أشار اليه سميح سمارة في كتابه ، الا انه من قبيل (شلل الاطفال) ، لان ، الحكم عليهم بأنهم أحجموا عن قيادة النضال المسلح في ظروف فلسطين الانتدابية وهيمنة الامبريالية والرجعية على البلدان العربية وصعود الفاشية على الصعيد العالمي . ان في هذا الحكم تجاهلا للوقائع التاريخية ، الموضوعية، التي تؤكد ان الوعي الجماهيري ـ تجربة وتنظيما ـ كان بعيدا جدا عن ان يكون مؤهلا لهذا الدور القيادي. اننا نطلب من الباحث العلمي أن ينظر الى التجربة التاريخية بعين ارتباطها العضوي مع عناصرها ، لا أن ينظر اليها بعين الوقت الحاضر ، نظرة ذاتية » .

« ثالثا ـ ... ولنبدأ بتوضيح المفاهيم التي اختلطت على سميح سمارة :

« الماركسية اللينينية لا تنظر الى الظواهر على انها حقائق جامدة وأبدية . صحيح أن (كل الادبيات الماركسية والشيوعية ، منذ بروز مسألة اضطهاد اليهود ، تنفي وجود أمة يهودية) ، ولكنها تنفي وجود أمة يهودية عالمية . أن الحل لما يسمى (المشكلة اليهودية) هو في نضال اليهود حيث هم ، جنبا الى جنب مع بقية القوى الديمقراطية، من أجل قيام انظمة ديمقراطية وأنظمة اشتراكية تجتث الجذور التي تنمو عليها العنصرية واللاسامية من اساسها . وليس ان قيام اسرائيل قد حل هذه المشكلة اليهودية بل ربما زادها تعقيدا، وفجر مشاكل ملتهبة جديدة .

« كما أنه ليس صحيحا القول (ان تجمع المستوطنين ، مهما مضى عليه الزمن ، لا يمكنه ان ينتج الطبقتين اللتين تشكلان الان: البرجوازية والبروليتاريا). فحتى في جنوب افريقيا يوجد برجوازية بيضاء وبروليتاريا بيضاء . وفي الوقت نفسه ليس صحيحا أن الطبقتين الرئيسيتين ، اللتين تشكلان الامة ، هما البرجوازية والبروليتارية . فالامم القديمة لم تكن تتالف من هاتين الطبقتين ، كما أن الامم الحديثة ـ الاشتراكية ـ لا تضم البرجوازية ... ان مثل هذا النقاش يذكرنا بالجهد المضني (والضائع) الذي بذله العديد من رجال العلم العرب لكي يفندوا دعاوى الصهيونية بأن فلسطين كانت وطن (أجدادهم) قبل ألفي سنة ... كان على الشيوعيين، اليهود والعرب ، أن يتصدوا لهذه السياسة (سياسة فرق تسد) ... وكانوا جميعا ـ المستعمرين البريطانيين والرجعية العربية والصهيونية ـ يتهموننا بالخيانة العظمى ويطاردوننا حين كنا ندعو الى تضامن المظلومين العرب واليهود ـ « التآخي اليهودي العربي » ، كما يسميه سميح سمارة ، تعييبا . وأذكر ان الرقيب الانتدابي البريطاني شطب العديد من المقالات التي أردنا أن ننشرها في (الاتحاد) في هذا الموضوع ، حتى صرنا نتحايل عليه لتحرير أفكارنا ، ولو بصورة عامة .

« لقد لاحظنا أن سميح سمارة تجاهل ، كليا ، سياسة (فرق تسد) البريطانية هذه، كما تجاهلها العديد ممن سبقوه . لماذا ؟ الان مصادرهم الصهيونية قد تجاهلتها، أم لسبب اخر ؟ » .

Digitized by Birzeit University Library

وفي قرف شديد يخاطب اميل حبيبي مؤلف الكتاب ، ويزجره بأنه « لا يجوز الكذب على الاحياء » ، وذلك شجبا من حبيبي لاعادة سمارة بأن اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني انقسمت ازاء قرار التقسيم الذي اصدرته الامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، الى أقلية توافق على القرار وأكثرية تعارضه .

وينتقل حبيبي الى موضوع اخر ، حين يشير الى تفسير الصهيونية لمشاركة الشيوعيين الفلسطينيين في الحرب الاسبانية ضد الفاشية ، وهو التفسير القائل بأن الشيوعيين اليهود التحقوا بالفرقة الاممية في أسبانيا (هربا من تناقضاتهم مع سياسة الحزب) . واذا بسميح سمارة يردد هذه الفرية دون أي تمحيص . كما يستعمل تعابير مستقاة من مفاهيم الصهيونية نفسها مثل : « كانت الحركة الصهيونية قد قطعت شوطا مهما في تثبيت أدوات مشروعها التاريخي ؟ » هذا ما لم يشرحه لنا سميح سمارة ، وما لا نوافق عليه البتة » .

وينهي اميل حبيبي « تأخيره » للكتاب القول : « انما الاعمال بالنيات » !

ويأبى سمارة الا ان يقدم جديدا في عالم مقدمات الكتب ، فنراه بدلا من أن يخصص مقدمة كتابه لشرح أهمية الموضوع ، والقاء الضوء على فصول الكتاب ، فضلا عن مراجعه ، والصعوبات التي واجهها أن في التنقيب عن المراجع أو العثور عليها ، أو ... الخ ، نجده يخصص مقدمته للرد على اميل حبيبي ، ولامتداح نفسه ، اذ يقر - بتواضع أمثاله من الثوريين - « كتابة تاريخ الحركة الشيوعية في فلسطين هو عمل اضخم بكثير من أن يكون مهمة فرد واكاد أقول أنه « أضخم بكثير من أن يكون مهمة عدد من الباحثين الثوريين » . ويكتسب هذا المعنى أكثر من مرة ، بنفس الدرجة من التواضع والغيرية .

واذا ما انتقلنا الى فصول الكتاب نجد ما يلي :

١ - « **تكويم** » **للمعلومات** دون تمحيص أو تحليل علمي (علما بأنه يلح على كل التحليل العلمي والفكر العلمي في كتابه هذا) .

٢ - يستطيع أي امرىء أن يعيد الكتاب الى اصوله في المراجع دون أن يتخلص من اي تدخل للمؤلف . فالكتاب هو بطريقة « **القص واللصق** » .

٣ - **الاستنتاجات لا تمت للمقدمات بصلة** وهي استنتاجات متعسفة .

٤ - « **لطش** » **المؤلف مراجع من كتابات سبقته دون** الاشارة اليها ، فهو على سبيل المثال اقتطف من دراسات الاخ عبد الفتاح ياسين اكثر من ثلاثين هامشا دون أن يشير الى هذه الدراسات . وهذه المقتطفات المسروقة هي الهوامش التي تحمل الارقام التالية من الفصل السابع لدراسة سمارة : ١٤٦ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢١٣ - ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٨٩ - ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ - ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ .

رد من المحرر

كنا نود نشر رسالتك ضمن مراجعات الكتب لولا أنها ليست كذلك ، بل تتضمن انتقادات لدار الفارابي والمؤلف ، فنرجو المعذرة . كما نرجو أن تسامحنا على شطب بعض الاوصاف والمسائل الشخصية المتعلقة بالمؤلف ، اذ رأينا ان « الكاتب الفلسطيني »

Digitized by Birzeit University Library

المجلة الادبية الاولى في العالم العربي

رئيس التحرير
الدكتور سهيل ادريس

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ لبنان

دار الآداب تقدم

الشاعر العربي الكبير الاستاذ
سليمان العيسى
في سلسلة

غنوا يا أطفال ...

مجموعة من عشر حلقات تضم ما يزيد على ١٠٠ اغنية ونشيد يتوجه فيها الشاعر الى جميع اطفال العرب في مختلف اقطارهم، وتتميز بالنزعة القومية التقدمية، باسلوب بسيط مشرق يدخل قلوب الاطفال فيحفظون الاناشيد بايسر سبيل

ـ ١٠ اجزاء منفرقة ، كل جزء بـ ٢ ل.ل.
ـ مجموعة الاجزاء العشرة مجلدة بـ ٢٠ ل.ل.

Digitized by Birzeit University Library

سياسية فكرية شهرية

تعنى بقضايا القومية العربية على طريق الوحدة

المشرف على التحرير

عبد العظيم مناف

تصدر عن دار الموقف العربي لـ جافة والنشر والتوزيع

القاهرة ـ ٣٨ شارع القصد العيني . ت ٢٢٢٥١ .

Digitized by Birzeit University Library

دار القدس

تقدم

اسم الكتاب	السعر ل.ل.
ـ **الحكومة الاسلامية** الامام الخميني	٨٠ ل.ل.
ـ **رسائل بن غوريون (الى زوجته)** ترجمة الملكة دينا عبد الحميد	١٥٠ ل.ل.
ـ **الاستراتيجات العربية وردود الفعل الاسرائيلي** يهوشافا هراكابي	٨٠ ل.ل.
ـ **استراتيجية بومدين** ترجمة د. خليل احمد خليل . د. فؤاد شاهين	١٢٠ ل.ل.
ـ **قضايا الجبهة الوطنية التقدمية في مصر** عبد الصمد جاد الولى	٥٠ ل.ل.
ـ **الخطار (قصص)** محمود شاهين	٥٠ ل.ل.
ـ **علي ونينو** قربان سعيد	١٢٠ ل.ل.
ـ **المادية التاريخية والوعي القومي عند العرب** فرحان صالح	٥٠ ل.ل.
ـ **حول الجبهة الوطنية والعمل الشعبي في لبنان** د. خليل احمد خليل . فرحان صالح	٨٠ ل.ل.
ـ **سقوط ال التعريف (شعر)** سعيد المحروق	٥٠ ل.ل.
ـ **القضية (افاق جديدة)** محمود عباس (ابو مازن)	٨٠ ل.ل.
ـ **قضية القدس** د. خيرية قاسمية	١٢٠ ل.ل.
ـ **العيون في العلم**	٤٠ ل.ل.
اطلس الصراع العربي الصهيوني اعداد : مازن البنك	٦٠٠ ل.ل.

دار القدس ص.ب. ٢٤٨٩ ـ ١١ بيروت ـ لبنان

Digitized by Birzeit University Library

رئيس التحرير : د . عبدالوهاب الكيالي

شهرية فكرية مفتوحة لمختلف الاتجاهات التقدمية

سلسلة من الأعداد الخاصة
حول
الوحدة العربية وقضايا المجتمع العربي
حزيران (يونيو) ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩

يكتب فيها أبرز الكتاب والمفكرين العرب من كافة اقطار الوطن العربي - تعالج اهم المشكلات والقضايا المعاصرة للامة العربية بروح الالتزام والبحث العلمي وفي مختلف المواضيع : السياسية ، الاقتصادية ، التاريخية ، الادبية ، الثقافية والفنية - أبواب شهرية ثابتة : عرض أهم الكتب - فن تشكيلي - سينما - وثائق - ببليوغرافيا شهرية : القضايا العربية في الدوريات العربية .

رئيس التحرير الزائر : د . انيس صايغ

المراسلات : ماهر الكيالي - ص . ب . ٥٤٦٠
بيروت/ لبنان العنوان البرقي : موكيالي - ت : ٣١٢١٥٦ .

Digitized by Birzeit University Library

آفـــاق
مجلة اتحاد كتاب المغرب

تنشر الانتاج الفكري والأدبي الذي يشكل الطليعة الثقافية الفاعلة بالمغرب .

يساهم فيها أعضاء اتحاد كتاب المغرب

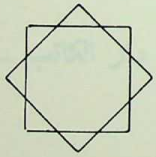

عنوان المجلة : زنقة سوسة
الرباط 5
المغرب

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

مجلة الكاتب الفلسطيني

وجميع الكتب الصادرة عن الاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تطلب من موزعها في لبنان :

دار الكاتب ـ بيروت

بيروت ـ خندق الغميق ـ شارع الشدياق
ملك عسيران ـ تلفون ٢٩٢٨٧١

Digitized by Birzeit University Library

الاشتراكات السنوية

٣٠ ليرة لبنانية في لبنان وسوريا
٦٠ ليرة لبنانية في بقية الاقطار العربية
١٠٠ ليرة لبنانية في اقطار العالم
١٥٠ ليرة لبنانية للمؤسسات

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

بيروت لبنان ـ ص . ب : ٢٠٧٥ تلفون ٣٢٦٠٣١

Digitized by Birzeit University Library